



بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة مدرسة الحياة

(حقيقة العلم النافع)

الدرس [١]

الشيخ أبي إسحاق الحويني

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعين به ونستغفره ونعوذ بالله من شرر أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله تعالى فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمدٍ ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد .

فدرسنا اليوم في مدرسة الحياة وهي خاطرة جديدة من كتاب صيد الخاطر لابن الجوزي - رحمه الله تعالى - ، وقد عنونتها بعنوان: (حقيقة العلم النافع) .

يقول ابن الجوزي - رحمه الله - : (رأيت جماعة من العلماء يتفسحون و يظنون أن العلم يدفع عنهم و ما يدرون أن العلم خصمهم و أنه يُغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يُغفر للعالم ذنب وذاك لأن الجاهل لم يتعرض بالحق والعالم لم يتأدب معه ، ورأيت بعض القوم يقول: أنا قد ألقيت منجلي بين الحصادين ونمت ثم كان يتفسح في أشياء لا تجوز ، فتفكرت فإذا العلم الذي هو معرفة الحقائق والنظر في سير القدماء والتأدب بآداب القوم ومعرفة الحق وما يجب له

ليس عند القوم وإنما عندهم صور ألفاظ يعرفون بها ما يحل وما يحرم وليس ذلك العلم النافع ، إنما العلم فهم الأصول ومعرفة المعبود وعظمته وما يستحقه سبحانه وتعالى ، والنظر في سير الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته والتأدب بآدابهم وفهم ما نقل عنهم ، ذاك هو العلم النافع الذي يدع أعظم العلماء أحقر عند نفسه من أجهل الجهال ، ورأيت بعض من تعبد مدة ثم فتر فبلغني أنه قال : قد عبثته عبادة ما عبده بها أحد ، والآن قد ضعفت ، فقلت : ما أخوفني أن تكون كلمته هذه سببا لرد الكل لأنه قد رأى أنه عمل مع الحق شيئا وإنما وقف يسأل النجاة بطلب الدرجات ففي حق نفسه فعل . وما مثله إلا كمثل من وقف يُكدي فما ينبغي أن يمن على المعطي .

وإنما سبب هذا الانبساط الجهل بالحقائق ، وأين هو من كبار العلماء المعاملة الذين كان فيهم مثل صلة بن أشيم إذا رآه السبع هرب منه وهو يقول إذا انقضى الليل عند صلاته : " يا رب أجرني من النار أو مثلي يسأل الجنة ؟ " ، وأبلغ من ذا قول عمر : " وددت أن أنجو كفافاً لا لي ولا علي " ، وقول سفيان عند موته لحماذ بن سلمة : " أترجو لمثلي أن ينجو من النار ؟ " ، وقول أحمد : " لا بعد " ، فأنا أحمد الله عز وجل إذا تخلصت من جهل المتسمين بالعلم من هؤلاء الذين ذمتهم وبالزهد من هؤلاء الذين عبتهم فإن قد اطلعت من عظمة الخالق و سير المحققين على ما يخرس لسان الانبساط ويمحو النظر إلى كل فعل ، وكيف أنظر إلى فعلي المستحسن وهو الذي وهبه لي و أطلعني على ما خفي عن غيري فهل حصل ذلك بي أو بلطفه ؟ وكيف أشكر توفيق الشكر .

ثم أي عالم إذا سبر أمور العلماء من القدماء لا يحتقر نفسه ؟ ، هذا في صورة العلم فدع معناه وأي عابد يسمع بالعباد و لا يجري في صورة التعبد فدع المعنى ، نسأل الله عز وجل معرفة تعرفنا أقدارنا حتى لا يبقى للعجب بمحتقر ما عندنا أثر في قلوبنا وترغب إليه في معرفة لعظمته تخرس الألسن أن تنطق بالإذلال ، ونرجو من فضله توفيقا نلاحظ به آفات الأعمال التي بها نزهو حتى تثمر الملاحظة لعيوبها الخجل من وجودها إنه قريب مجيب) .

الخاطرة تبدو ألفاظها أو جملها غامضة بعض الغموض لكن مع الشرح والبيان يظهر المراد .

عصب هذه الخاطرة :

هي العلم وصورة العلم ، وهذه مشكلة قديمة أن يخلط الناس عادةً بين العالم وبين شبيه العالم الذي تزي العالم ونطق بالفاظه ، ولعل أبعد مثل في القدم أذكره وورد على خاطري وأنتم تعرفونه جميعاً قصة الذي قتل تسعة وتسعين نفساً ، حديث أبي سعيد في الصحيحين ، رجل قتل تسعة وتسعين نفساً ثم أراد أن يتوب فسأل الناس عن أعلم أهل الأرض ، الناس: أي العوام ، من أعلم أهل الأرض ؟ لا يعرفون صفة الأعلام إلا بالزى والتعبد ، فدلوه على راهب ، ومعروف الرهبان كانوا مستغرقين في العبادة ومتجافين عن الدنيا ولا يطلبون فضول ما عند الناس ، وإذا عرض عليهم مواساة يرفضونها ويفضلون أن يأكلوا أوراق الشجر على أن يستجدوا الناس أو أن يقبلوا من الناس شيئاً ، فطالما أنك متعبد وبعيد عن فضول أموال الناس وأعطياتهم فأنت عندهم العالم .

ولذلك الرجل في أيامنا وفي الأيام السابقة الذي يعالج مسألة الجن ويخرج الجن من البدن ، الناس يعرفون صدقه بل يترقون أكثر من الصدق ويعرفون حسن عبادته وسلامة قلبه بأنه لا يأخذ أجره من الناس، فاستدلوا بترك أخذ الأجرة على إخلاصه ، لماذا ؟ لأن عباد الدنيا يشتغلوا لأجل الدنيا ، وهذا الملحظ أخذوه من سير الأنبياء لما كانوا يقولون: ﴿ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ﴾ (هود: ٢٩) ، ﴿ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ (هود: ٥١) أي نحن نبذل الهدى مجاناً فهذا أخلاق الأنبياء ، فهذا أخذ جزءاً من أخلاق الأنبياء أنه لا يأخذ أجراً فاستدلوا بترك الأجر على الصدق ، فالزهاد في العادة لا يأخذون من الناس شيئاً ويتركون فضول ما عندهم مع تعبدهم الظاهر ، وانجماعهم في الصوامع فينتبغع عند الناس يقولوا بتعبير الناس الدارج يقولوا: هؤلاء أهل ربنا ، من هم ؟ الذين اصطفاهم الله لمناجاته ، فليس عند العوام أعلم من هؤلاء هذا أخذ شكل العالم وزى العالم .

ما أخطأ فيه الراهب مع من أراد التوبة من القتل:

الخطأ الأول: ترك المداراة:

فالرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً ذهب بعد ما سأل الناس قال: دلوني على أعلم أهل الأرض دلوه على راهب بالمواصفات التي ذكرتها ، أول ما وصل للراهب وحكى له ما جرى الراهب كأنه لدغته حية أي تقتل تسعة وتسعين نفساً تذبحهم ذبح النعاج وتأتي تتوب ؟ المظالم والدماء التي في عنقك ، كيف تتخلص منها ؟ فطبيعة العابد لا يقبل مثل هذه المعاصي إذا كان هو يترك الحلال إذا اختلط بالحرام خشية أن يأكل الحرام ، لما واحد يأتي له ويقول له: أنا قتلت تسع وتسعين نفساً ، ما شعور عابد عندما يسمع الكلام هذا ؟ ، قال: ألي توبة ؟ قال له: لا توبة لك ، فقتله فأتم به المائة ، هذا راهب ، لما أراد الله Y لهذا الرجل الخير وأن يتوب قال مرة أخرى وسأل الناس: دلوني على أعلم أهل الأرض ، الحديث يقول: فدلوه على راهب عالم ، دلنا هذا الواصف عالم على أن الراهب الأول جاهل وهو فعلاً جاهل ، لماذا ؟ ، لأن العالم الذي خالط الناس له فراسة يستطيع أن يقرأ الحقائق من وجوه الناس في العادة مثلاً واحد يأتي يكلمه يعرف إذا كان صادقاً أو كاذباً من كثرة ما عامل الناس أصبح لديه علامة في قلبه إذا رآها على وجه الإنسان يقع في قلبه أنه كذاب ، وفي الغالب يكون كذلك ويندر أن تسقط فراسة العالم الذكي الذي خالط الناس .

فهذا رجل قتل تسعة وتسعين نفساً أي منظر الدماء تعود عليها، ومع ذلك قلبه كصخر الجبال يذبحه ، وكل ما يتألم يستمتع وهو يذبح ، عندما يكون واحد قتل تسعة وتسعين نفساً وأنت تقول له: لا ، وأغلقت باب الأمل في وجهه ، ما الذي سيضره أنه يذبحك أنت أيضاً ؟ هذا الجهل بسياسة العلم ، لا يوجد عالم في الدنيا يستطيع أن يكون له لسان صدق ومحبة عند الخلق إلا إذا كان يحسن سياسة العلم ، سياسة العلم أنه ، متى يضع الكلام ؟ الشخص هذا ينفعه الدليل هذا أم لا ينفعه ؟ لا لا ينفعه لكن ينفع الثاني مع أن العلة واحدة والسؤال واحد ، يقول لك: لا ، الكلام هذا ينفع الشخص هذا لكن لا ينفع هذا الشخص ، هذا الشخص ينفعه شيء آخر ، كان المفترض لو كان عالماً يداري يقول له: مر على غداً حتى أراجع لأن

المسألة ملتبسة على أراجع الكتب وأرى أقوال العلماء وغير ذلك ، أو يقول له: ألا أدلك على من هو أعلم مني ؟ فلان الفلاني إنه أعلم مني، لكن لأنه راهب ومنجم على نفسه ولا يعلم إلا الصلاة والصيام وترك النكاح وغير ذلك ومنجم عن الناس ولا يعلم شيئاً عن الناس إطلاقاً ولا عن طباع الناس فلم يستطع أن يستعمل سياسة العلم ، .

أول حاجة أخطأ فيها ترك المداراة والمداواة أصل عظيم من حسن الخلق ، ولا يستطيع إنسان في الدنيا كلها مهما عظم شأنه أن يُهمل هذا الأصل ، الجماعة الذين لا يفهمون يقولوا: أنا أقول لأعور أنت أعور في عينيك ، ويعتقد أن هذه جرأة وصراحة وشجاعة ، هذا غباء مستحکم ليس غباء فقط هذا صاحبه أغبى إنسان على وجه الأرض ، الذي يقول: أنا أقول لأعور أنت أعور في عينيك ولا يهمني ، أنا قلت: المداراة لا يستطيع أفضل إنسان على وجه الأرض أن يستغني عنها ، لأن كل بني آدم فينا بداخله سبع وحش الوحش هذا لا تدري متى ينطلق ؟ ، كلنا لا يوجد واحد فينا إلا بداخله وحش الوحش هذا شرس ممكن يخرج لك في أي لحظة يهجم عليك يأكلك ، وأنا لا أعلم متى سيخرج ؟ ، فالمفروض أن أستعمل المداراة دائماً تعلمون إنساناً أفضل من النبي p ؟ .

استعمال النبي p للمداراة:

ليس هناك أفضل منه أبداً منذ خلق الله آدم ﷺ إلى أن تقوم الساعة هو سيدهم كلهم كان يستعمل المداراة وأنتم تعلمون حديث عائشة ؓ لما استأذن عليه رجل فقال: « **بئس أخو العشيرة** » أو « **بئس رجل العشيرة** » لما دخل الرجل هذا ، ماذا فعل له النبي p ؟ بسط له العباءة وجلس وكلمه بطريقة حسنة وغير ذلك ، لماذا ؟ ، قالت عائشة: يا رسول الله قلت ما قلت وفعلت ما فعلت أنت تقول: « **بئس أخو العشيرة** » أي أنه رجل سيء وأنت رسول الله ﷺ ولك قدرك ومكانتك، ولو رفع رأسه مع النبي يكون كفر على الفور ، فهو رجل سافل ، لست محتاجاً أن تداري هؤلاء السفلة ، لما سألت عن هذا قال: « **إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من يتقى لفحشه** » ، تحترمه لأنه سافل ، فهذا معنى الكلام أقي عرضي بحسن

كلامي ولفظي لكي أتقي هؤلاء ، فلا يوجد إنسان في الدنيا على بعضها لا يستطيع أن يستخدم المداراة أبداً ، المداراة من خلق المؤمن الحاذق الذي يمضي في الدنيا حميداً بأنه يداري ، وطبعاً هناك فرق بين المداراة والكذب أنا سألجأ لها عندما أتي التفريق ما بين العالم وشبيهه العالم في أثناء الخاطرة .

سعة رحمة الله عز وجل:

فالناس لما الرجل الراهب الذي قتل تسعة وتسعين نفساً وأذن الله لهذا بتوبة ليدل على أنه ليس هناك ذنب يتعاضم على الله أن يغفره أبداً ، ونأخذ من هذا عبرة أي بني آدم مهما كان مجرمًا وسمع هذا الحديث وغيره حتى من آيات الله Y ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ (الزمر: ٥٣) .

﴿الذُّنُوبَ﴾: محلى بالألف واللام يفيد العموم ، و﴿جَمِيعًا﴾: لفظ من ألفاظ العموم أيضاً ، ﴿أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ أي ما تركوا ذنباً إلا فعلوه وهذا الإسراف ، تجاوز الحد في كل شيء ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (النساء: ٤٨) والقتل دون الشرك.

أول ديوان ينصب يوم القيامة للقضاء بين الخلائق:

مع أن أول ديوان ينصب يوم القيامة عندما يأتي الله إلى يوم القيامة للفصل بين العباد هو ديوان الدماء ، كما روى الشيخان عن حديث عبد الله بن مسعود «أول ما يقضى فيه بين العباد يوم القيامة الدماء» ، لأننا نعيش الآن مع بلطجية ويقتلوا ويضربوا ويسرقوا وغير ذلك لهم يوم عظيم يقفون فيه ، وما الذي أخذوه من عرض الدنيا فتات لا قيمة له ، إنما الحساب ثقیل إذا لقوا ربهم يوم القيامة .

في المرة الثانية: الناس دلوه على راهب عالم ، نحن ذكرنا الراهب الأول أخطأ خطأين: الخطأ الأول: ترك المداراة .

الخطأ الثاني الذي أخطأ فيه الراهب: أنه تجاوز حدود الفتوى:

وقال ما لا ينبغي لعالم أن يقوله ألا وهو قوله: لا يغفر الله لك ، لا يحل لعالم أبداً أن يفتات أو على الغيب لأنه ليس من صلاحياته ، والعلم النافع يرده أن يتورط في هذا إنما يتورط في هذا الذي أخذ صورة العلم الذي يتكلم عنه ابن الجوزي ، صورة العلم فقط يستطيع أن يتكلم في الفقه ، يستطيع أن يتكلم في المسائل ، يستطيع أن يتكلم في أصول الفقه في الكلام هذا ، لكن في ذاته فاسق وعلى استعداد أن يبدل الدين ويبدل الحقائق وغير ذلك لأي مكسب دنيوي ، يريد أن يظل على كرسي الإفتاء يغير الدين يظل شيخ الأزهر يبدل الدين مثلاً يريد أن يكون وزير الأوقاف يبدل الدين ، وإن كان هو أعلم الناس بمفردات الأحكام الفقهية وغير ذلك تكلمه في الأصول تكلمه في الفروع تجده مائة في المائة ، لكن ليس عنده خشوع ولا خضوع ولا شيء ، وهذه حقيقة العلم:

أن يهديك إلى المخافة من الله Y وإلى تعظيمه هذه حقيقة العلم التي يتكلم فيها ابن الجوزي وأنا اخترت هذه الخاطرة لأنها ستأخذ معنا مدة أكثر من حلقة .

فهو لا يحل له أن يقول له: لا يغفر الله لك ، ما الذي أعلمه أن ربنا لا يغفر له ؟ أحياناً بعض الناس يأتي لواحد من العلماء يقول له: أنا حججت والنفقة حلال وحججت على السنة وغير ذلك ، هل حجي مقبول ؟ يقول له: نعم مقبول ، هذا خطأ ما الذي أعلمه أنه مقبول ؟ ، العالم له صلاحية أن يقول: حجك صحيح ، لكن مقبول ليس عمله ، أنت لما تأتي تقول لي: أنا توضأت وضوءاً صحيحاً، واستقبلت القبلة ، وصليت ، وأعطيت كل ركن حقه من الخشوع والخضوع والذكر وغير ذلك ، أصلاقي مقبولة ؟ أنا لا أستطيع أن أقول لك: مقبولة لأن هذا إطلاع على الغيب ، إنما الذي أستطيع أن أقوله لك: صلاتك صحيحة أي ليست فاسدة ، فنحن كمثلاً مفتين أو طلبة علم أو علماء أو أي وصف من هذه الأوصاف نتكلم في الصحة والبطلان وليس في القبول والرد ، القبول والرد هذا لله وحده ، إنما نحن كناس نتكلم في الصحة والبطلان ، لا ، هذه صلاة باطلة ، هذه صلاة صحيحة ، هذا صيام باطل هذا صيام صحيح ، هذا حج باطل ، هذا حج صحيح ، هذه مهمة العالم لا يستطيع أن يتجاوز لو

تجاوز يكون هكذا افتات على الله Y في الهجوم على الغيب وهذا ليس من صلاحياته ، وهذا يدل على أن هذا كان راهباً جاهلاً .

عندنا في سنن أبي داود ومسنند الإمام أحمد بسند صحيح من حديث أبي هريرة ؓ أن النبي P قال: « كان أخوان في بني إسرائيل يتعبدان » واحد صالح وواحد طالح ، الصالح مجد في العبادة والثاني يعيش حياته ، فالصالح لا يعجبه تصرف الرجل الذي يسير سيراً باطلاً، فينهره بصفة مستمرة أنه لا يحل لك أن تفعل ذلك ، كيف تفعل ذلك ؟ وكل ما يقابله لابد أن يقرعه ، حتى أنه قابله مرة من كثرة التقرع مل هذا الأخ العاصي من النصيحة ، فقال له: خلني وربي ، أجعلك الله عليه حسيباً ، أم أرسلك عليه رقيباً ؟ ، فقال له: والله لا يغفر الله لك ، كلمة قالت ، فقبض الله روحهما وأوقفهما وقال للمطيع: أكنت على ما في يدي قادراً أو كنت بي عالماً أنني لا أغفر له ؟ خذوه إلى النار ، وقال للمفطر: غفرت لك خذوه إلى الجنة ، كلمة واحدة ضيعت عمله كله .

المراد بالإيلاء:

وفي صحيح البخاري من حديث جندب بن عبد الله البجلي أن النبي P قال: « قال رجل لأخيه: والله لا يغفر الله لك ، قال الله: من ذا الذي يتألى عليه ؟ » ، يتألى: أي يحلف علي ، الإله من الحلف ﴿ لِلَّذِينَ يُؤْثِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرْبُصٌ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٢٦) ، ﴿ يُؤْثِرُونَ ﴾: أي يحلف الرجل ألا يقرب امرأته أربعة أشهر ، فهل أنت تحلف على ربنا ، والله لا يغفر الله لك ؟ « فقال الله Y: من ذا الذي يتألى عليه ؟ غفرت له وأحببت عملك » ، وفي رواية أخرى لهذا الحديث « أن الله Y قال لربي هذا الرجل: قل له يستأنف العمل » ، يبدأ يعمل من جديد لأن كل عمله قبل هذه الكلمة سقط يعتبر مازال يعمل من أول وجديد بسبب كلمة، فالذي يقول: هلك الناس فهو أهلكهم ، والذي يقول: إن كل الناس مبتدعة أكيد هو لا يدخل نفسه فيهم ، كأن أقول كل الناس مبتدعة إلا أنا ، جماعة التكفير والهجرة كل الناس كفرة ، لسان الحال يقول إلا أنا طبعاً يكون كفرهم كلهم

وحكم لنفسه الحمقاء بالكلمة هذه ، كلمة مثل هذه ممكن يحدث له مثل ما حدث لهذين الرجلين أو الرجل الذي أخبرنا عنه النبي ρ ، هذا الخطأ الثاني هذا راهب جاهل ، لكن الناس لا تستطيع أن تفرق ما بين العالم وما بين الراهب أي واحد يدخل الجامع هذا هو الخلاصة .

المرّة الثانية عندما دلوه على الراهب العالم سأله نفس السؤال لكنه زاد الضحية الثاني قال له: تسعة وتسعين ، المرة هذه قال له: إني قتلت مائة نفس أي توبة ؟ ، أنظر للعالم عندما يفتي وجمال الفتوى وحلاوة الفتوى في فتوى هذا الراهب ، وينبغي لكل من تصدر للإفتاء صغيراً كان أو كبيراً أن ينظر إلى جمال إجابة هذا العالم سأله: أي توبة ؟ ، الجواب الكامل عن هذا السؤال قال له: نعم ، أليس هذا الجواب فيه حاجة أكثر من هذا ؟ لا يوجد يقول له: أي توبة ؟ قال له: نعم ، ولكن لأن العالم ناصح ينصح الناس ويخاف عليهم وهو أمين لم يرى أن كلمة نعم كافية فزاد عليه شيئين لا تتم توبته ولا يمنع من الرجوع إلى الذنب إلا بهذا ، **« قال له: أي توبة ؟ ، قال: نعم ، ومن يحجب عنك باب التوبة ؟ أخرج إلى أرض كذا وكذا فإن فيها قومًا يعبدون الله فاعبد الله معهم ودع أرضك أرض السوء »** ، الفتوى أعطى له ثلاثة معطيات ، أول كلمة هذه إجابة عن السؤال كانت كافية وينصرف الرجل ، لكن كل إنسان أحياناً في لحظات ضعف الإيمان يحن إلى ماضيه ، فما يؤمني أن يحن هذا الرجل إلى ماضيه فيرجع قاتلاً .

أو إن فيه ناس يتخذوا المثل القائل إذا لم تستطيع أن تقضي على عدوك صاحبه أنت لكي تنقيه إما أن تقضي عليه أو تكون في حاشيته ، فواحد لكي يتقي الذي قتل مائة نفس هذا يقتله يصاحبه ، فلو الرجل هذا تاب وجلس في نفس الأرض التي قتل فيها المائة نفس ، ومعنى يقتل مائة نفس والقرية كلها لا أحد ينطق يكونوا وصلوا إلى مرحلة من الجبن يستحيل أن يقولوا لهذا الرجل بمِمْ ، أي ممكن يرجع ببساطة شديدة وأشرس من الأول في لحظات ضعف إيمانه فلا نكون فعلنا شيء فلا بد أن نفعل له مسألة حجر مثل الحجر الصحي هكذا ، واحد مصاب بالجرب تعزله عن الناس لكي الجرب لا يذهب إلى الآخرين ، ففيه ناس تكون جالسة تحتمي

في هذا تحتمي فيه بأنها تؤذنه إلى الشر أذاً ، الرجل تاب وتوبته صادقة ويريد أن ينهي ويتقرب إلى الله جاء واحد مثلاً قال له كلمة سيئة ، الرجل الثاني الخائف الذي في الحاشية وخائف يقول له: أبو السباع ما الموضوع الولد هذا كان يقدر أن ينظر لك ، أنت تتركه يقول الكلمتين هؤلاء ، ما الذي حدث لك يا أبو السباع ؟ يتدبّر يستفزه فيقومه فيرجعه ، فيكون حله لا بد أن يترك الأرض التي مارس العصيان فيها لأنه سيذهب لأناس جدد صالحين لا يسمحون لأحدٍ بين ظهرائهم أن يبارز بالمعصية يبارز بالمعصية يضربه على رقبتة يقتله يضربه علقه نكتفه ويجد الدنيا كلها عليه لا يستطيع أن يفعل شيء .

المجرم لماذا يمارس الإجرام ؟ لأنه لا يوجد أحد يصده لو وجد إن المجتمع كله صده لا يستطيع أن يمارس إجرامه في المكان ، لماذا ؟ لأن الناس كلها أقوى منه حتى لو كان هو أسداً وكانوا هم غملاً سيغلبونه ، لو النمل تجمعت على الأسد تأكله مليون نملة دخلوا في شعر الأسد ، ماذا سيفعل لهم ؟ يظلوا يقرصوا فيه يقرصوا فيه ويأكلوا ويمصوا الدم وغير ذلك حين أن يوقعوه ، أي حاكم باغي ظالم طاغي هو فرد ، لماذا يستعبد أمة بكاملها ؟ ، اليوم لو واحد مثلاً من الحاشية جعله جالس في اجتماع مع الوزراء وأغلق عليه الباب من الخارج ، وقال: أيها الناس أنا رئيس الجمهورية الذي داخل الغرفة هذا ، هل يستطيع أن يفعل له شيء ؟ ، لا يستطيع أن يفعل له شيء لأنه فرد ، ما الذي جعله يستعبد ؟ ، الحاشية التي نقول عليها الجماعة المنافقون والمتسلقون وإلى آخره ؟ هم الذين أعطوه القوة والزخم فهذا عندما يكون مارس القتل في قرية ولم يقدر أحد أن يصده حين أن قتل تسعة وتسعين نفس وذهب إلى قرية أخرى لا يستطيع أن يرفع طرفه ، لأجل هذا كلمة نعم ليست كافية في الفتوى ، لا، لا بد أن يضيف لها « أخرج إلى أرض كذا وكذا فإن فيها قومًا صالحين فاعبد الله معهم ودع أرضك أرض السوء » ، لماذا ؟ أرض سوء مارس فيها العصيان لم يوجد أحد رده .

ورد في بعض طرق الحديث إن الأرض التي قتل فيها تسعة وتسعين هذه أو المائة كان اسمها كفرة والثانية كان اسمها نصره فقال: حتى الاسم نفسه كفرة ونصرة واضح من الكلام أن من كلمة النصر أن هذه القرية قرية محترمة وجيدة .

مما يدل على جمال الفتوى:

الشيء الثاني في جمال الفتوى: عندما قال له: « ومن يحجب عنك باب التوبة ؟ » ، بَيَّن حقيقة الخط الذي ينبغي أن يقف عنده ولا يتجاوزه قال له: « نعم لك توبة ، لماذا ؟ لسعة رحمة الله » و عندنا نصوص كثيرة بهذا ، نحن لدينا في الإسلام حديث النبي ﷺ: « إن الله خلق الرحمة مائة جزءٍ فأنزل على الأرض جزءاً واحداً يترحم منه الخلائق » إنس وجن وطير وحشرات ونمل وغير ذلك ، كل مخلوق يدب على الأرض أخذ جزءاً من هذا الجزء « أنزل على الأرض جزءاً واحداً يترحم منه الخلائق حتى أن الدابة العجماء » ، العجماء: التي لا تفهم « لترفع حافرها عن وليدها خشية أن تصيبه » ، مع أنه لا يفعل الكلام هذا إلا واحد عنده عقل كنا قديماً نقول: لديه عقل هنا ، لا العقل في القلب ليس في الرأس ، لكن نحن درجنا على ألا نفرق بين المخ والعقل لماذا ؟ لأن كثير من الناس يقول لك: ليس لديك مخ فوضع المخ مكان العقل ، ولذلك ساغ لهم كل ما يتكلموا يقول له: ليس لديك عقل ويطرق على جمجمته ، لا .

هنا المخ وهو الآلة التي تحرك وتصدر الإشارات لأعضاء الجسم كلها أنها تتحرك أو تفعل الحركة أو إلى أخره ، إنما العقل هنا في القلب كما دلت على هذا في أكثر من محاضرة ، مائة جزء جزء واحد نزل ، وما حال التسعة والتسعين ؟ « ادخرها الله لعباده في عرصات القيامة » ، عندما يكون جزء واحد فعل هكذا لدرجة أنك أحياناً عندما تنظر لمنظر واحد ممكن تموت من الحزن عليه وتحزن ، وفي قلبك من الشفقة والرحمة أنك لا تستطيع أن تنام الليل لما تجد واحد عنده مصيبة كبيرة وغير ذلك أنت واحد من مليارات في عصر واحد ، فيه مليارات مضوا في القرون الماضية ومليارات ستأتي إلى أن تقوم الساعة وهذا كله جزء واحد ، فإذا

استعظمت ذنبك على رحمة الله يكون دخل الإنسان في الكفر ، وهو نص قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَا يَنْفَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ ﴾ (يوسف: ٨٧) ، لأن ذنبك مهما عظم شيء ورحمة الله وسعت كل شيء ، فكان أميئاً لما قال: أنا ليس من صالحيتي أن أقول أن توبتك مقبولة أو غير مقبولة ، لا ، إنما لما قال: ألي توبة ؟ قال: نعم ، بخلاف لو قال له: أتعقل توبتي ؟ الله أعلم ، فأنظر إلى الفرق بين السؤالين ، ألي توبة ؟ لك توبة طبعاً ، أتعقل توبتي ؟ لا أعلم ، ففيه فرق في السؤالين ، فقال له: « نعم ومن يحجب عنك باب التوبة ؟ أخرج إلى أرض كذا وكذا » .

أنا أريد عندما وقفت على هذا الحديث وبسطت الكلام فيه بسطاً ما لأنه طويل فوائدة كثيرة جداً ، أريد أن أقول لك: أن الناس لا تفرق بين العالم وشبيهه العالم الكلمة التي ابتدئنا بها الكلام ، فأحياناً يدلون الناس على من ليس بعالم وأقل الناس هو الذي يعلم حقيقة العالم .

حقيقة العالم :

هو الذي لا يتجاوز حدود الله وقلبه محشو بمحبة الله والخوف منه هذا هو العالم ، وهذا يظهر لكي لا يقول لي واحد: ما الذي أدراني بما في قلبه ؟ يظهر على الفور ، الإخلاص له عبق وله رائحة تظهر مهما حاولت أن تخفيه يظهر ، وابن الجوزي ضرب المثل ببعض العلماء أنا سأتى لك كثير ، كيف كانوا يتخلصون من الإخلاص ويعلم الناس أنهم مخلصون أي هو يدفع الإخلاص عن نفسه .

إخلاص صلة بن أشيم:

مثل صلة بن أشيم أبو الصهباء الذي كان يقول لك: السبع كان يهرب منه ، كان يقول: اللهم أجري من النار أو مثلي يسأل أن يدخل الجنة كل الذي أريده لا تدخلني النار فقط ، قل لي: كن تراباً أرحم لي من عن أنا أدخل النار ، لكن أنا ليس لي عمل ادخل به الجنة ، أنا مستحي ، أن أسأل الله Y أن يدخلني الجنة ، الكلام هذا أيضاً فيه كلام دقيق سنصله ، لأن النبي p كان يسأل الله الجنة فهو يقول: أنا أستحي أن أسأل الله الجنة ، هل النبي يسأل الجنة

وهو يستحي أن يسأل الجنة ، هذا عمل العباد الذي سنبينه وكلام ابن الجوزي فيه أيضًا عبارات تحتاج إلى تفصيل لأجل هذا أنا ذكرت لكم هذه الخاطرة ممكن تأخذ معنا أربع خمس مرات وربما تستغرق مدة الاعتكاف كلها على حسب ما يفتح الله I .
أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم .
انتهى الدرس الأول أختكم أم محمد الظن.

بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة مدرسة الحياة

(حقيقة العلم النافع)

الشيخ أبي إسحاق الحويني

الدرس الثاني

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعين به ونستغفره ونعوذ بالله من شر أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله تعالى فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمدٍ ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد .

تكلّمنا في الدرس الأول من هذه الخاطرة التي عنوانها بعنوان: **(حقيقة العلم النافع)** تكلّمنا عن مشكلة اختلاط العالم مع شبيهه العالم في نظر العوام ، وذكرنا في حديث أبي سعيد π في الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً ، ونواصل الكلام عن هذا الموضوع بأن نذكر أن عصب خاطرة ابن الجوزي هذه إنما تنبني على هذا الذي ذكرته في الخاطرة الأولى ، أي هو يقول في أول الخاطرة: **(رأيت جماعة من العلماء يتفلسحون ويظنون أن العلم يدفع عنهم)** ، يتفلسحون: أي يوسعون على أنفسهم في استخدام الرخص ويظنون أن في العلم منجى لهم من هذا التفلسح ، وهذه أول خطأ كبير يخطئه هذا الذي نقول عنه: أنه شبيهه العالم ، لابد أن نفرق بين الرخصة والزلة ، قال الإمام الأوزاعي وقهاها الإمام أحمد بن حنبل وقهاها آخرون ، لكن أول من أعلمه قال هذه الكلمة هو سليمان بن طرخان التيمي كما رواه ابن عبد البر في كتاب جامع العلم وفضله ، قال كلمة ، جديرة بأن تكتب بماء الذهب بل بماء العيون وهو أغلى من ماء الذهب ، قال: **(إذا أخذت برخصة كل عالم اجتمع فيك الشر كله)** ، الرخصة هنا معناها الزلة ، أنا أريد أن أفرق بين الرخصة الشرعية التي تقابل العزيمة مثل قصر الصلاة في السفر ، اسمها : رخصة ، فلما واحد يسمع كلام سليمان التيمي: إذا أخذت برخصة كل عالم ، فلا يعتقد إن الرخصة بكلام سليمان هي الرخصة في كلام الشرع ، لأنه قال: برخصة كل عالم ، لم يقل: إذا أخذت برخصة الشريعة ، لأن العالم غير معصوم العالم يصيب ويخطئ حتى لو كان أعلم العلماء في فنه ممكن يخطئ .

سيبويه نفسه في اللغة أخرجوا عليه أخطاء وناس كتبوا على كتابه ملاحظ ، الجاحظ هذا كان رجل إمام المعتزلة في زمانه لكن كان له باع في اللغة والفهم وغير ذلك أخطئ في تأويل بيت شعر في بنت جارية تقول:

وخير الكلام ما كان لحنا

منطق عذب وتلحن أحياناً

اللحن في الكلام معناه: الغلط ، يقول لك: لدينا في القرآن لحن جلي ولحن خفي ، اللحن الجلي يقول: الصلاة تبطل به ، اللحن: أنك تبدل الحركات حركات الإعراب تقول: رأيت

رجلٌ ، مثلاً هذا خطأ المفروض رأيت رجلاً مفعول به مثلاً ، لكن رأيت رجلاً ذا لا يصح
يقول لك: لحن أي أخطأ ، الجاحظ عندما سمع البيت

منطق عذب وتلحن أحياناً وخير الكلام ما كان لحناً

لم يفهمه على الكلام الذي ذكره الآن ، إنما أخذه على الحمل الآخر في معنى اللحن ، يقول
لك: يستعذب اللحن من الجواري مع إن اللحن قبيح إن واحد يلحن ، مثل بيت المأمون قصته
مع النضر بن شميل أنا لن أحكيها كلها لأنني حكيته قبل ذلك لكن سأخذ القطعة التي أريدها
النضر بن شميل إمام في اللغة والحديث والشعر وغير ذلك جلس مع المأمون فالمأمون يقول:
حدثنا هشيم بن بشير قال: حدثنا مبارك بن فضالة قال: حدثنا الحسن البصري أن النبي ﷺ
قال: «إذا تزوج المرء المرأة لدينها أو الرجل المرأة لزوجها كان له سداداً من عوز» ، فالنضر
رأي المؤمن أخطأ لحن أحب أن يصحح له خطأه لكنه استعمل سياسة العلم كله يدخل لبعضه
، نحن نقول: إن العالم لا بد أن يكون له سياسة في توصيل العلم ، هذا خذوه كمثّل في كيفيه
استعمال العالم السياسة سياسة العلم ؟ ، فقال: صدق أمير المؤمنين حدثنا هشيم ، شيخ من ؟
شيخ المأمون ، قال: حدثنا مبارك بن فضالة أو أتى بسند آخر أن النبي ﷺ قال: «إذا تزوج
الرجل المرأة لدينها كان له سداداً من عوج» ، ماذا قال المأمون ؟ سداداً بفتح السين هو
أحب أن يصحح له خطأه وهو أصل البيت سداداً ، فالمأمون كان متكئاً أول ما سمع الكسرة
كسر وسطه انتصب قاعداً ، وقال: كيف قلت أتلحنني يا نضر ترميني باللحن ؟ وهذا كان
عاراً .

أسمع شغل الذين يخطبوا اليوم هؤلاء المأمون هذا الذي كان يؤدبه الأصمعي عبد الملك بن
كريب الأصمعي ، ومحمد بن حسن الشيباني والجماعة هؤلاء ، كان هارون الرشيد أبوهم أب
الأمين والمأمون والجماعة هؤلاء كان يأتي بأكبر العلماء لكي يعلموهم ، كيف يتكلمون ؟
هذا كان علم بمفرده لكي عندما يملك الرعية يستطيع كيف يخاطب الأنماط المختلفة هذه كلها
، فيقول له: أتلحنني يا نضر بعد ما درست على يد عبد الملك والجماعة هؤلاء وأئمة اللغة

وغير ذلك ؟ ، قال: لا يا أمير المؤمنين إن هشيمًا كان رجلًا لحائًا شيخه ، وكان هشيم يلحن فعلًا ليس النضر بن شميل لصقها في هشيم ظلمًا وعدوانًا ، لا ، لم يكن الجماعة هؤلاء ينافقوا ولا غير ذلك هو هشيم كان يلحن فعلًا ، قال: فتبع أمير المؤمنين لفظه لا يستطيع أن يبدل في رواية الراوي ، وهذا أصل في علم الحديث عندما تروي عن شيخك لفظة ليست صحيحة ترويها عنه أم تبدلها وتضع اللفظة الصحيحة ، قال لك: لا ، تقول الذي قاله شيخك ثم تعقب عليه بما شئت ، لكن لا تتصرف في لفظ شيخك لاحتمال أن يكون هذا هو لغته لغة قومه والعرب كانوا قبائل ، وكانت القبائل مختلفة ، الاختلاف في النحو بين مدرسة الكوفة والبصرة سبب اختلافًا كثيرًا .

ولدينا في بعض الروايات التي ليس من البر الصيام في السفر الرواية المشهورة ليس من البر الصيام في السفر هذا رواية ضعيفة ، لكن هو الحديث يقول: إن بعض الناس الذين كانوا ينطقوا بهذا لما النبي علم أنه من القبيلة هذه فخاطبه بلغته ، فممكّن أنت كرجل عمرك ما سمعت اللغة هذه تقول: ما هذا الكلام الخطأ هذا خطأ صرف ارميه ، ويكون له وجه في اللغة وأنت لا تدريه فقال لك: لا تبدل رواية شيخك ولكن عقب عليه بما شئت لكن بعد ما تروي الرواية ، فهو هنا لا يستطيع المأمون يبدل الرواية التي سمعها من شيخه لاحتمال أن يكون لها وجه في العربية والمأمون لا يعلمه يكون بدل الرواية ، فهو عندما سمع الكلام هذا ويقول له: سِدَادًا ، قال له: أتلحني يا نضر ؟ قال: لا يا أمير المؤمنين بل هشيم كان رجلًا لحائًا وتبع أمير المؤمنين لفظه ، قال ما الفرق بينهما بين سَدَاد وسِدَاد ؟ قال: السَدَاد بفتح السين هو التوسط في كل شيء ، يقال فلان مسدد أي موفق ، السداد: التوسط في الأمور كلها ، أما السِدَاد: فهو البلغة ليست التي تلبسها في قدمك لواحد يعتقد البلغة هذه هي السداد ، لا ، البلغة هي التي يتبلغها الرجل ، ما يتبلغ به .

مثل مثلًا أنت في الشغل كلمت زوجتك قلت لها: أريد أن أتي أجد الغداء جاهز أنت جوعان ، ماذا تفعل ؟ تأكل لك ثمرة تمرتين لكي يوصلوك للغداء وإلا ستقع من طولك من الجوع ،

التمر التي أكلتها هذه لكي توصلك ، ما اسمها ؟ تصبيرة ، عمرك رأيت ثمرة اسمها بلغة أنظر يا أخي نحن في زمن العجائب ، فالبلغة السداد هو البلغة يتبلغ بها الرجل ، قال له المأمون: أتعرف العرب ذلك ؟ قال: نعم قول العرجي:

ليوم كريهة وسداد ثغري

أضاعوني وأي فتى أضاعوا

أتى له بها كان الناس هؤلاء النضر بن شميل هذا عندما تقرأ ترجمة النضر رأسك تدور ، ويمكن النضر كثير منك لا يعرفه ، لا يعرفه إلا واحد يعمل بالحديث أو يعمل باللغة ، لكن هذا كان جبلاً نفخت فيه الروح ، أي هذا أستعير الوصف وصف إبراهيم الحربي عن أبي عبيد القاسم بن سلام ، القاسم بن سلام هذا كان إماماً في اللغة وصاحب كتاب غريب الحديث ، سئل إبراهيم الحربي عنه قال: جبل نفخت فيه الروح تخيل بني آدم أنا لم أجد أبلغ في الثناء من مثل هذه العبارة ، فهذا أيضاً كثير من علمائنا كانوا يستحقون هذا الوصف أن يقال: جبل نفخت فيه الروح ، فالنضر هذا كان أمة وحده أول ما تكلموا لا يجلس يحك في رأسه لا يحفظ شعر ولا حافظ يحفظ كل شيء ، وتدخل فيه منادات ومطارحات ليس محضر لها يأتي لك من تحت تستغرب ، كيف يستحضر هذا كله ؟ وكان هذا ظاهرة موجودة عند سائر علمائنا ، فالمأمون لما النضر بن شميل قال له بيت الشعر هذا ووجد أن هذا في كلام العرب وفي كلام الناس من فصحاء العرب مثل العرجي ، قال: قبح الله من لا أدب له ، كأنه لم يؤدب كأن أباه لم يأتي له كبار العلماء خطأ يخطئه وهو معذور فيها لأنه تبع لفظ شيخه أيضاً ، ومع ذلك لم يلمس لنفسه العذر ولم يقل: أنا فصيح وأنا متربي وغير ذلك ، وأنا تبعت لفظ شيخي ولا أستطيع أن أعدل الرواية كان ممكن يقول الكلام هذا ، لكن استعظم أن يجري الخطأ بغير قصد على لسانه ، والنضير بن شميل كسب من وراء الكسرة هذه ثمانين ألف درهم نظير تصحيح هذا الخطأ أخذ ثمانين ألف .

فأنا أريد أن أقول: اللحن عار ، لكن الجاحظ عندما أتى ليفسر بيت البنت الجارية ، أنتم طبعاً نسيتم الموضوع الذي تعود على بلائي لا ينسى بعض الناس يعتبروني نوعاً من البلاء أبتدئ

بشيء وبعد ذلك أذهب لحد الصين وأرجع ، عندما الجاحظ وأقول لك: كان من كبار علماء اللغة وكان رأس الاعتزال في زمانه لما سمع البنت وهى تقول:

منطق عذب وتلحن أحياناً وخير الكلام ما كان لحنا

قطعاً الجاحظ لا يعني اللحن الذي ذكرناه ، لأنه لا يقال في اللحن خير الكلام مع رجل في العربية له هذا الباع ، لكن الجاحظ فهم اللحن هنا أن البنت أو المرأة تقلب الكلام ، قال: كل ما تقلب الكلام كل ما تكون حلوة جميلة وخفيفة ، مثلاً لو أن امرأة مثلاً تحب الكلام بالعربية ودخلت على البيت عندها وقالت: الغذاء جاهز يا قوم ، ما قوم هذه ؟ لا ، الكلام هذا يقال في موضع آخر لا يقال تحس إن هذه ليست بنت ، أو مثلاً يأتوا بالغذاء هذه القطعة قطعة صغيرة ، أيضاً أنا أقولها تبلع مي نحن الجنس الخشن ، لكن الجنس الناعم تقول: لماذا هذه صغونة ؟ هذا الذي قصده الجاحظ يقول لك:

وخير الكلام ما كان لحنا

تدلع في كلامها وتقلب الكلام وتبهدل اللغة ، لما تكسر في اللغة وتبهدها وتقلبها رأساً على عقب تكون البنت هذه كلامها جميل وخارج من فمها مثل السكر ، الجاحظ قصد هذا لكن البنت لم تكن تقصد هكذا ، واحد فهم الجاحظ خطأه قال له: لا ما كانت تقصد ذلك إنما تدلع في كلامها ، إنما قصدت التورية ، البنت هذه كانت تحب واحد والواحد هذا مار فتريد أن تقول له: ميعادنا تحت الشجرة التي حفرنا قلبي وقلبك عليها بالمسمار وفعلنا سهم خارج وسهم داخل وأدخلنا كيوييد الحب داخل تريد أن تقول له هكذا ، لكن أبوها جالس فتريد أن تقول كلمة هو يفهمها وأبوها لا يفهم وتكون هكذا مرت على قفاه واتخذته جملاً ركبته وسارت ، هي تريد أن تقول هكذا فقالت:

منطق عذب وتلحن أحياناً وخير الكلام ما كان لحنا

أي ألفت كلمة الولد فهمها ولا يوجد أحد من الجالسين كلهم فهموها وذهبوا تقابلوا تحت الشجرة يأكلوا يرتقال مع وهيبة ، أم أنتم لم تحضروا تحت الشجر يا وهيبة يا ما كلنا يرتقال ؟

أنتم جيل جديد نحن مغرقون في القدم كل الكلام هذا كنا ، لا أسير في الشارع إلا أجد الأغنية هذه تحت الشجر يا وهيبة يا ما كلنا برتقال نظرة عينك يا وهيبة أوقعت الجعدان حاجات مثل هذا ، ولا يوجد شارع نذهب إليه إلا لابد تحت الشجر يا وهيبة حين أن قلنا: ماذا نفعل في وهيبة لكي نخلص من همها ؟ .

فالمهم الرجل عندما الرجل قال للجاحظ أنك أخطأت وهذا البنت لا تقصد هكذا قال كلمة التي ينبغي أن يضعها في حسابه كل متكلم في الفتوى ، كلامي الأول هو الذي جعلني أدخل في القصة هذه وأخرج وصلت للصين معكم في الكلام ، أقول لك: العالم يصيب ويخطئ فهو قال: إذا اتبعت رخصة كل عالم ، لم يقل لك: إذا اتبعت رخصة الشريعة ، إذا اتبعت رخصة الشريعة أنت مصيب مائة بالمائة ، لكن العالم ممكن يخطئ فتأخذ خطأه وتتعبد بها تكون مشكلة ، فإذا أفتى العالم بالفتوى الخطأ والمفتي أخذها وسافر وأنت لا تعلم بلاده ، ماذا تفعل ؟ ، هذه الورطة التي يمكن أن يقع فيها العالم ، فماذا قال له الجاحظ عندما قال له: لا ، أنت تفسيرك للبيت خطأ وليس المعني الذي ذكرته ، هذا المعني التورية وهي تقصد تفعل كذا لكي لا أحد ينتبه وغير ذلك ؟ ، فقال له الجاحظ: وكيف لي بما سارت به الركبان ؟ أنت قلت كلامي وكتبته في كتاب والعالم نسخوا الكتب وأخذوها في كتاب الله وكله ينسخ من كله والخطأ أصبح في يد الناس كلها ، ماذا أفعل في الخطأ الذي انتشرت بين أيدي الناس ؟ ، الجاحظ يقول الكلام هذا عندما كان ينسخ الكتاب ثلاثمائة أربعمئة واحد لو واحد يتكلم في الفضائيات مثل حالتنا هكذا ويسمعه الملايين أيضاً ، والقناة الفضائية تعيد وتزيد فيه وتكرر وتكرر البرنامج وخطأك موجود في الكلام ، ماذا تفعل فيه ؟ .

لأجل هذا الذي يتكلم لابد أن يعلم منصب الكلمة لاسيما إذا كانت متعلقة بحكم شرعي ، ويعرف أنه مسجل له وأنه لا يستطيع أن يغيره ، وأحياناً لو غيره المستمع نفسه لا يعلم أنه غيره ولا يستطيع أن يأتي بهذه مقابل هذه لكي يقال إن العالم رجع عن فتواه ، لأن ممكن يكون بين الرجوع وبين الخطأ سنة أو عدة أشهر فلا يعلم النبي آدم يقول: رجع في كلامه

لأنه لا يدري أنه رجع في كلامه ، فقال: كيف لي بما سارت له الركبان ؟ ، فسلیمان التیمی يقول: إذا اتبعت رخصة كل عالم اجتمع فيك الشر كله ، أي إذا جمعت زلات العلماء وتعبدت بها تعبدت بغير ما أنزل الله على رسوله ، فلو أخذت كلام أهل الكوفة في النبذ هذا خطأ ، ولو أخذت بأهل الحجاز في الغناء هذا خطأ ، أنت تأتي تتكلم يأتوا لك الأخطاء هذه لعلماء كبار لكي يسكتك ، يقول لك: أنت تنكر الغناء ؟ كان فلان الفلاني من كبار العلماء في المدينة كان يسمع الغناء وكان يستمع إلى الجواري ، هل أنت أفضل منه ؟ .

نقول: الغالب أنا أقول باعتباري رجل مشغل بالحديث ، وأتمنى أن أكون صاحب حديث أمنية لي أن أكون صاحب حديث قبل أن أموت ، لكنني حتى الآن مشغل بالحديث ، ما الفرق بينهم ؟ أبو القاسم البغوي عبدالله بن عبدالعزيز هو حفيد أحمد بن منيع ، أحمد بن منيع كان من كبار المحدثين هذا حفيده هو أبو القاسم البغوي الذي يقال عنه في بعض الكتب مثل الدار قطني ، يقول: حدثنا بن بنت منيع ، كان أحمد بن منيع كان جده لأمه ذهب لأحمد بن حنبل وقال: اكتب لي إلى فلان عالم من العلماء أنني قادم إليه لكي يعتني بي ، طبعاً لما أحمد بن حنبل يوصي يكتب كتاباً لواحد أي عالم في الدنيا استوصي بفلان خيراً العالم هذا سيحمله على رأسه ، لأن الذي يكتب الكلام الإمام الكبير إمام أهل السنة والجماعة أحمد ، فأحمد كتب قادم إليك رجل يكتب الحديث .

فقال أبو القاسم: يا أبا عبدالله هلا قلت له قادم إليك رجل صاحب حديث ؟ أحمد قال: يكتب الحديث ، هو يريد قادم إليك رجل صاحب حديث ، فقال له أحمد: صاحب الحديث عندنا هو من يعمل بالحديث ، وهناك فرق شاسع بين رجل يكتب الحديث ورجل يتدين بالحديث ويعمل به ، فصاحب الحديث هو الذي يتدين بالحديث يقرأ الحديث يترجمه إلى عمل ، فأنا مشغل بالحديث وأتمنى قبل أن أموت أن يمن الله Y عليه وإن أكون صاحب حديث .

في الغالب بحكم مهنتي كمشتغل بالحديث أن الأسانيد لا تصح إلى العلماء الذين نسب إليهم هذا الكلام ، إنما تجد الكلام هذا أين أسانيدته الذي يتحرى ويدقق ؟ يذهب لكتاب الشعبي الذي كان يكره العرب ، ويلصق كل نقيصة بالأفاضل أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني هذا عمدة كل واحد يلصق نقيصة كهذه برجل فاضل ، لدرجة أن هذا الشعبي الحقيير لما تقرأ كلام رواياته وغير ذلك كل رواياته بحدثنا وأخبرنا لأجل هذا أنا أحلتك إليه عندما تحب أن تتحقق من رواية يقول: حدثنا فلان عن فلان عن فلان عن فلان أكشف عن الإسناد تجده معظمه إما مجاهيل أو كذابين أو متروكين وهكذا ، قل قل أن يصح له إسناد ولا أستبعد أن يكون هو الذي يضع الإسناد هو أيضاً .

عائشة بنت طلحة بن عبيدالله ، وأنتم تعلمون طلحة بن عبيدالله هذا أحد العشرة المبشرين بالجنة وعائشة ابنته كانت من خيار النساء العابدات ، أخرجها في الكتاب هذا تشبه الغانية ، الغانية التي تلاعب الرجال قرية من الزانية ألها لها علاقات محرمة مع سين وصاد ولام وعين وغير ذلك ، هل عائشة بنت طلحة بن عبيدالله ممكن تفعل هذا الكلام ؟ ، تجد كل الأسانيد التي فيها إن عالم من العلماء الفضلاء الأجلاء كان يأتي بالجارية وتجلس تغني له ويرقصوا أمامه وغير ذلك هذا أخذ من الكتاب النجس وهو كتاب الأغاني هذا ، فاشتهر بحكم الشهرة ، لأن ليس معنى الشهرة ألها تساوي الصحة ، لا ، الشهرة لا تساوي الصحة الصحيح قد يكون مشهوراً أو غير مشهور ، والباطل قد يكون مشهوراً أو غير مشهور فاصطلاح الشهرة في علم الحديث لا تعني الصحة عندما نقول: هذا حديث مشهور ، سأقول لك حديث موضوع: « المؤمن كيس فطن » ، أليس هذا كلكم تعلموه ؟ يكون هذا اسمه مشهور لكنه مكذوب موضوع على النبي ﷺ لم يقوله ، فليس معنى الشهرة أنه ثابت ، حديث « إياكم وخضراء الدمن » ، قالوا: وما خضراء الدمن يا رسول الله ؟ قال: « المرأة الحسناء في المنبت السوء » كثير من الناس يعلم هذا الحديث ، الذي يدرس الحديث لا بد أن يدارس اللغة وليس نذهب لتتعلم الكلمات .

ففي الكلمات نحن كالموس في حفظ الكلمات ، قاموس القريطي الأسباني العربي كان ممكن أنا أسمع أغلبه ، ولا أقول لك أنني أسمع كله أو أسمع كثيراً منه ، تقول لي الكلمة بالعربي أقولها لك بالأسباني ، لماذا لأنني لا أعف أن أركب الجملة إلا إذا كان المعجم اللغوي عندي كبير ، لكي أستطيع أن أتصرف وأحضر جملة صحيحة ، فلم نكن ذهبنا لكي نحفظ كلمات لكن ذهبنا لنعرف تراكيب اللغة عند العوام كيف يقولونها ، فنريد أن نمارس الجانب العملي ، فهذا معناه أنك لا بد أن تكون في الشارع ، أنا أخذت معي دفترتي وعلى أساس أنني صحفي وأقابل الناس في أي مكان لكن كان قد أعجبني مكان معين أمام محل اسمه الكوردين جلس وهو كعمر أفندي أو كالمولات الكبيرة الآن ، وطبعاً هذه المولات الكبيرة عندهم منذ زمن بعيد جداً لكنها لم تصل إلينا إلا قريباً وهو الشيء الضخم ، لأن هذا المحل الضخم يدخله ناس كثيرين فأنا أقف أمامه كصحفي فكان في وقتها خوان كارلوس الذي يعيش حتى الآن وهو ملك أسبانيا كان لا يزال متولياً للعرش بعد الجنرال فرانكو الذي كان صاحب الانتصار في الحرب الأسبانية المعروفة وكان ديكتاتوراً ، ثم ربي خوان كارلوس وأعطاه الملك في أوائل ما أنا دخل الكلية سنة خمسة وسبعين ستة وسبعين .

أنا أعرف أن أسبانيا نقول عليها الفردوس المفقود والمسلمين كانوا فيها ثمانية قرون وصف وأريد أن أعمل مقارنة ما بين وضع أسبانيا قبل الإسلام ووضع أسبانيا بعد الإسلام من خلال هؤلاء الناس ، فبدأت أتكلم فأحياناً واحد يتركني ويمشي وينظر لي بشدة ، وأحياناً واحد ييصق على الأرض أول ما أقول المسلمين لما كانوا في الأندلس وهذا الكلام ، وأحياناً واحد يكلمني بعصبية بالغة ، فقلت أغير الموضوع ، فقلت له: أيهما أفضل أيام الجنرال فرانكو أم أيام الملك خوان كارلوس ؟ فكانوا يكلموني بأريحية قليلاً ، ويقولون: خوان كارلوس طبعاً لأنه الملك الموجود ، المهم واحد من هؤلاء الجماعة في يوم من الأيام وكنت أنا وصاحب لي واقفين أمام الكوردين جلس ، فواحد خارج فناديت عليه وقلت له: أننا من إيجيتو وهي تعادل إيجيت ، وقال: برامدس أي بلاد الأهرامات ففرح بنا وقال لا بد أن تأتوا إلى البيت عندي

وذهبنا عنده في البيت ، وهو لكي يكرمنا جداً صعد على سلم وجاء بزجاجتين خمر معتق منذ
قديم الزمن ، مجرد أن تشمها فقط يغمى عليك .

فطبعاً أول ما نزل من فوق وقال هذا بينو ، أي نبذ قديم والذين هم أعزاء عندي أنا الذي
أنزل لهم وأسقيهم من هذا ، فأنا قلت له: أن الخمر حرام عندنا في الإسلام وأنه لا يجوز أن
نشرب الخمر ، فقال: لماذا ؟ قلت له: لأن الخمر تسكر وتذهب بالعقل ، فشرب الزجاجة
وواصل معنا الكلام ولم يغمى عليه ولا أي شيء ، فقال: أين الإسكار الذي تقول عليه ، أنا
شربت الزجاجة ولم يحدث لي شيء ، صاحبي قال نتذوق وأنا غضبت منه وعملت مفاصلة
ويمكن نزلت قبلهم بحوالي شهر غاضب كيف يفعل ذلك ، وصاحبي هذا موجود في أسبانيا
حتى الآن واخذ الجنسية وتزوج من امرأة أسبانية ويرى منها النجوم وسط النهار وكل فترة
أصحابي يقولون ماذا يعمل ويفعل ، واستطعت أن أنزل واحد منهم من أسبانيا ، تزوج
أسبانية وأخذت منه الولد ونصرته ، حتى ما ربنا أكرمه ورفع قضيه واستطاع أن يأتي بالولد ،
مصائب ، فقال: نتذوق ن فأخذ أول شربة فسهرني أنا بجواره طوال الليل ، لماذا ؟ إسها ،
هذه الشربة جعلت عنده إسها طوال الليل ، قلت له: هذا شؤم المعصية .

الشاهد: لما أقول لك لما تشم الزجاجة يغمى عليك وهذا شرها كلها ويقول لي أنا لم أسكر
فهل هذا دليل على أن الخمر لا يسكر ؟ لا ، نحس ووصل إلى درجة أنه فقد ذوقه ، الذوق
نفسه فقده ، فلا يأتي واحد ويقول لي أن النساء ليست فتنة ، نحن نعيش وسط النساء ،
الذئاب البشرية هم الذين يقولون هذا الكلام وهم الذين يأخذوا النساء ويعاقروا النساء
ويعملون كل فاحشة مع النساء وهم الذين يدعون الفضيلة ، ويقول لك: أنا لا يهمني النساء
وأعيش بينهم ، أنتم الذين أشعل الجنس في عقولكم ، وكل شيء عندكم إياكم والنساء وابعده
عن النساء كأن النساء عندهم جرب ، بطلوا الجنس وهم يقولون لنا هذا الكلام وفي الجرائد
والمجلات ولا يستحون ، لماذا ؟ أنه فقد الذوق من أصله ، لأن هذا لو كان عنده ذوق وتربية
لم يكن يرمي الفضلاء بدائه الذي يعاقره ، فهو كثرة فعل الإنسان للمنكر تجعله لا ينكر المنكر

فأنا أريد أن أقول: اليوم لما سليمان بن طرخان يقول: لو اتبعت زلة كل عالم ، فيأتي وينقلون في الكتب أن فلان كان يسمع الغناء وهذا يسمع الغناء ، ويقول لك: أن الغناء لا يثير غرائزي ، هذا ليس لأنك رجل قلبك من حديد من جهة التقوى لكن قلبك فيه علة جعلتك من العلل جعلتك لا تميز بين المعروف والمنكر .

فنحن عندنا زلات العلماء مسألة خطيرة جدًا ، إتباعها وأنت تأخذ من كل عالم الزلة التي وقع فيها فاجتمع فيك الشر كله ، لماذا ؟ لأنك عبدت الله بغير ما أنزل الله على رسوله . في المرة القادمة سنمسك بعض زلات العلماء وأريك كيف وقع هذا في هذا وذاك في ذاك لك تعرف المسألة على حقيقتها .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

انتهى الدرس الثاني أحتكم أم محمد الظن.

بسم الله الرحمن الرحيم

(مدرسة الحياة - حقيقة العلم النافع)

الدرس الثالث

أبي إسحاق الحويني

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعين به ونستغفره ونعوذ بالله من شر أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله تعالى فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمدٍ ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد

كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد .

فهذا هو المجلس الثالث من شرح هذه الخاطرة والتي عنوانها بعنوان: (**حقيقة العلم النافع**)
ونتلوا فيها خاطرة للإمام أبي الفرج بن الجوزي رحمه الله تعالى ثم نتولى بيان كلامها .

قال رحمه الله تعالى: (رأيت جماعة من العلماء يتفلسفون و يظنون أن العلم يدفع عنهم و ما يدرون أن العلم خصمهم و أنه يُغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل أن يُغفر للعالم ذنبا وذاك لأن الجاهل لم يتعرض بالحق والعالم لم يتأدب معه ، ورأيت بعض القوم يقول: أنا قد أُلقيت منجلي بين الحصادين ونمت ثم كان يتفلسف في أشياء لا تجوز ، فتفكرت فإذا العلم الذي هو معرفة الحقائق والنظر في سير القدماء والتأدب بآداب القوم ومعرفة الحق وما يجب له ليس عند القوم ، وإنما عندهم صور ألفاظ يعرفون بها ما يحل وما يحرم وليس ذلك العلم النافع ، وإنما عندهم ألفاظ يعرفون بها ما يحل وما يحرم، وليس ذلك العلم النافع، إنما العلم فهم الأصول ومعرفة المعبود وعظمته وما يستحقه والنظر في سير الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصحابته والتأدب بآدابهم وفهم ما نقل عنهم ، ذاك هو العلم النافع الذي يدع أعظم العلماء أحقر عند نفسه من أجهل الجهال ، ورأيت بعض من تعبد مدة ثم فتر فبلغني أنه قال : عبدته عبادة ما عبده بها أحد ، والآن قد ضعفت ، فقلت: ما أخوفني أن تكون كلمته هذه سببا لرد الكل لأنه قد رأى أنه عمل مع الحق شيئا وإنما وقف يسأل النجاة بطلب الدرجات ففي حق نفسه فعل .

وما مثله إلا كمثل من وقف يُكدي فما ينبغي أن يمن على المعطي
وإنما سبب هذا الانبساط الجهل بالحقائق ، وأين هو من كبار علماء المعاملة الذين كان فيهم مثل صلة بن أشيم إذا رآه السبع هرب منه وهو يقول إذا انقضى الليل عند صلاته : " يا رب أجري من النار أو مثلي يسأل الجنة ؟ " ، وأبلغ من ذا قول عمر: " وددت أن أنجو كفافاً لا لي ولا علي " ، وقول سفيان عند موته لحماذ بن سلمة : " أترجو لمثلي أن ينجو من النار ؟ " ،

وقول أحمد: " لا بعد " ، فأنا أحمد الله عز وجل إذ تخلصت من جهل المتسمين بالعلم من هؤلاء الذين ذمّتهم وبالزهد من هؤلاء الذين عبتهم فإن قد اطلعت من عظمة الخالق و سير المحققين على ما يخرس لسان الانبساط ويمحو النظر إلى كل فعل ، وكيف أنظر إلى فعلي المستحسن وهو الذي وهبه لي وأطلعني على ما خفي عن غيري فهل حصل ذلك بي أو بلطفه ؟ وكيف أشكر توفيقى الشكر .

ثم أي عالم إذا سبر أمور العلماء من القدماء لا يحتقر نفسه ؟ ، هذا في صورة العلم فدع معناه وأي عابد يسمع بالعباد و لا يجري في صورة التبعّد فدع المعنى ، نسأل الله عز وجل معرفة تعرفنا أقدارنا حتى لا يبقى للعجب بمحتقر ما عندنا أثر في قلوبنا ونرغب إليه في معرفة لعظمته تخرس الألسن أن تنطق بالإدلال ، ونرجو من فضله توفيقا نلاحظ به آفات الأعمال التي بها نزهو حتى تُثمر الملاحظة لعيوبها الخجل من وجودها إنه قريب مجيب) .

وكنا تكلمنا في المرة الماضية عن قول ابن الجوزي: (رأيت جماعة من العلماء يتفلسفون) ، وقلت: التفلسف هنا هو تتبع الزلات التي يسميها العلماء رخصاً وقلت: أن هناك فرقاً بين الرخصة الشرعية وبين زلة العالم التي تسمى رخصة أيضاً ، وذكرت كلام سليمان التيمي رحمه الله الذي قال فيه: (إذا تتبع رخصة كل عالم اجتمع فيك الشر كله) ، لأن الذي يتتبع رخص العلماء يتتبع زلاتهم وأخطائهم فيكون كل عمله خارج عن الشريعة ، ربما يكون العالم المخطئ معذوراً ، بذل الوسع ولم يصب الحق وهذا وارد ، فتكلم عن أعلى الناس وأفضلهم ألا وهم الأنبياء و نتلو قوله تعالى: ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴿ (الأنبياء: ٧٨-٧٩) ، إذا لم يفهمها داود و سليمان ، وحتى لا يظن ظان أن عدم إصابة الحق من الفاضل تعد نقصاً ، قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ (الأنبياء: ٧٨) ، لأن جزئيات العلم لا تنتهى ولا يوجد إنسان على وجه الأرض إلا أن يكون نبياً أحاط بكل العلم .

بل إن النبي ρ سئل ف يبعث ما سئل قال: لا أدري ، لكن نحن نستثني الأنبياء لأنهم رسل الله إلى الأرض والله Y هو الذي علمهم ، لكن أي عالم بعد ذلك من الذي علمه ؟ بشر مثله ولا يوجد أحد كما قال الشافعي رحمه الله: ما منا من أحد إلا وتعذب أي تغيب أو تبعد عنه سنة لرسول الله ρ وعندنا سئل أبا بكر عن ميراث الجدة قال: لا أدري ، وعمر بن الخطاب لم يعرف سنة الاستئذان ولم يعرف ما يقال ف الطاعون ولم يعرف ما يقال إذا هبت الريح ، حتى أخبره في الأول عبد الرحمن بن عوف وفي الثاني أبو هريرة τ ، ما غاب عن عثمان أكثر مما غاب عن عمر ، وما غاب عن علي أكثر مما غاب عن عثمان وهكذا دواليك ، فلا يوجد أحد قط يمكن أن يقول أنا جمعت العلم من أطرافه ، فيسأل من مسألة ليس يحضره دليل فيها فيجتهد في أن يبحث عن دليل عام يدخل الحكم تحته أو ربما استدلل بحديث منكر وهو لا يدري ، إلى غير ذلك .

وكان بعض العلماء عطفاً على ما قلته قبل ذلك من كلام الجاحظ لما أخطأ في تأويل بيت وقال: أين لي بما سارت به الركبان ، كان بعض علماء الشريعة كشعبة بن الحجاج رحمه الله وكان إمام أهل البصرة وكان ومقدمهم وكان أول من تكلم في الجرح والتعديل في البصرة ، جرح الرواة وعدلهم وكان صارماً شديداً بحيث أنه كان يرد كلام الراوي أو رواية الراوي لشيء لم يعتبره علماء الجرح والتعديل بعد ذلك ، لما ترك الرواية عن راوٍ من الرواة فقليل له لما تركت الرواية عنه ؟ قال: رأيته يركب برزون يجري ملء فروجه ، والبرزون أي الحصان الفرس ن يجري ملء فروجه أي أن الحصان يجري بأقصى سرعة ، فما الذي في هذا ليرد الرواية به ، طبعاً الفرس لما يجري والذي جرب يركب الفرس أو الحمار ثم نخسه لكي يجري تجده هو نفسه يتنطط على ظهر الفرس ، إذا لم يكن رابط نفسه ويضع رجله في سرج الحصان فيجد نفسه يطلع ويترل ، فشعبة رأى أن هذا من قلة المروءة ، كيف تكون رجل الحصان محترم وتنطط على ظهر الفرس ، فرأى أن هذا من قلة المروءة وأي إنسان مخروم المروءة لا يروى عنه حتى يكون كامل المروءة وحتى يكون على مستوى ما يروى لأنه يروى كلام النبي

p أو تروي كلام الصحابة أو التابعين وهؤلاء خلاصة الأمة كلها ، فرأى شعبة أن هذا من حوار المروءة وهذا الكلام .

العلماء لم يعتبروا كلام شعبة بعد ذلك ، لأنهم يضعون قوانين الجرح والتعديل لم يعتبروا كلام شعبة ، لكن أريد أن أقول لك أنه وصل به الحال في التشديد على رواية الحديث أن يلاحظ مثل هذا ، كان شعبة إذا سأل إنسان مسألة يأخذ اسمه وعنوانه والشارع الذي فيه الدار ، وفي بعض ما قرأت كان يأخذ اسم جاره أيضاً ، فإذا تبين لشعبة أنه أخطأ في الفتوى كان يذهب إليه ويقول له: أنا أخطأت في الفتوى الفلانية والصواب كذا وكذا، لماذا يفعل شعبة هذا ؟ حتى لا يسأل ، أنت أفتيته خطأ لا يسأل فهل كل واحد لابد أن يفعل ما يفعله شعبة ، لا بطبيعة الحال ، المطلوب من العالم أن يستفرغ الوسع قبل أن يفتي ، أخطأ بعد ذلك فهذا يدخل تحت قول النبي p: « إذا أصاب الحاكم فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد » .

فنحن نريد أن نقول: أن خطأ المخطئ بعد أن يستفرغ الوسع لا شيء فيه ، لكن تبقى زلة ، هو معذور لا يؤاخذ بها ولكن تبقى اسمها زلة من زلات العلماء ، وأنا ذكرت لك قصة داوود وسليمان عليهما السلام ، وفيه أكثر من موقف أصاب سليمان الرمية في الفتوى أو في النظر ولم يصبها داوود ، فالحوف من زلة العالم أن يعبد المرء ربه بخلاف ما شرع له ، فالإنسان لا يتبع زلة العلماء ، نحن في عصر تتبع زلات العلماء ، والذي يعمل هذا الكلام المفتي الرسمي في البلد ولا يلزم أن يكون الموجود حالياً علي جمعه ، لا يلزم ، الذي قبله والذي قبله وغير ذلك ، حتى الإنسان الذي يعتبر يتولى منصب أعلى من شيخ الأزهر يرى الناس ماذا يريدون ، وليس الشرع بما يلزمهم ، لا ، على جمعه أنتم أكيد رأيتم الفيديو الخاص به الذي يقول فيه أن النقاب قول الأئمة الثلاثة أنه واجب وقول مالك أنه في باب الاستحباب ، فهو واجب عند الشافعي وواجب عند أحمد وواجب عند أبي حنيفة وعند مالك أقل درجة من الوجوب وليكن مستحب مثلاً أو مباح ، وهذا الكلام لما كان أستاذ في الجامعة .

عندما أصبح مفتي ووجد الدولة تحارب النقاب وتتبع المسائل وممنوع دخول البنات في أي مكان منتقبات ، وحتى مجلة روزل يوسف فيما مضى كانت مستلمة محافظة كافر الشيخ خصوصاً فيما يتعلق بالمرضات المنتقبات ، وطبعاً يرون أن المحرم الأول الذي عمل هذه القصة العبد الفقير لله وهو الذي عمل الحدوتة وألبسهم النقاب وغير ذلك وهذا شيء مما يفتخر به ، أنا أذكر الآن قول الحجاج لعبد الله بن الزبير لما كان يحاربه وفي الآخر قتله وصلبه وهما كانا يتناظران مع بعض فلما كان يريد أن يسبه يقول له: يا ابن ذات النطاقين ، وذات النطاقين هي أسماء ، وأسماء إنما شقت نطاقها لأنها كانت حامل بعبد الله بن الزبير الذي يقول له الحجاج هاتين الكلمتين ، لأنه أول مولود ولد في المدينة وكان الغار الذي فيه النبي وأبو بكر في مكان عالي في الجبل ، فتصور امرأة حامل في الشهر التاسع وتحمل الطعام وتربط على بطنها والنطاق الآخر تربط فيه الطعام لكي تخرج وتعطي الطعام للنبي ﷺ وأبو بكر ، فيقول لما يريد أن يعيره يا ابن ذات النطاقين ، فهل هذا شيء أحد يعيره به ؟ لا يعير بها إلا عالج ، أي رأسه أضخم من هذا العمود الذي أمامي .

فابن الزبير كان يقول له: تلك شكاة ظاهر عنك عارها ، هذا شيء مما يفتخر به ، أنت تعيرني به وهذا مما ينبغي أن يفتخر به كل إنسان .

فكانوا لما يكتبوا البحث أو المقال في مجلة روزل يوسف لابد أن يقولوا أنني السبب في هذه القصة وأن المرضات ملئوا المستشفيات في التأمين الصحي والمستشفى العام وفي معهد الكبد لما ذهبوا إليه وجدوا المنتقبات موجودون ، فيقولوا هذا النقاب لابد أن وزير الصحة يتخذ قرار بإلغاء هذا النقاب ، قرار بأن المنتقبة تفصل ، لماذا ؟ قال: لأن من حق المريض أن يرى الذي يعالجه ، وهل الذي سيعالجه جن ما هو إنسان مثله وصوتها واضح أنها امرأة فما الإشكال ؟ يقول لك: لأنه لابد من التواصل ولا تواصل إلا بلغة العيون ، أنتم تريدون أن تقلبوها للحب وغير ذلك ، وصدر قرار من وزير الصحة ، وانظر كيف يقدر الله I التقدير الذي ينصر به المؤمنين ، أولاً: نقيب الأطباء دكتور حمدي السيد وقف مع المنتقبات وهذا

رجل علايني ، لماذا ؟ قال: لن الممرضة في الأصل لابد أن تلبس ماسك على وجهها من أجل عدوى المريض ، لا يلزم أنها هي التي تنقل العدوى للمريض ولكن هي حتى لا تنتقل العدوى إليها ، فالنقاب مسك فلماذا أنتم تريدون أن تجعلوها تخلع النقاب وهذه كانت مفاجأة من العيار الثقيل أن نقيب الأطباء يقول هذا الكلام .

لما صدر الأمر من وزير الصحة أنه لابد أن المنتقبات يخلعن النقاب ، وطبعاً أمن الدولة هي الأصل لكن وزارة الصحة ترتدي المسك ، مثل القفاز وفيه مثل يقول : قال الحائط للوتد لما تشقني قال: سل من يدقني ، فمن المذنب الوتد أم الذي معه الشاكوش ؟ الذي معه الشاكوش أمن الدولة والوتد هو وزير الصحة ، يأتي له الأمر امنع كذا وهو في الخفاء ، فوزير الصحة يفعل هذا الكلام ، فحدث إشكال في مؤسسة كبيرة جداً في القاهرة صحية أن الذين كانوا ممرضات في قسم القلب كانوا منتقبات ، ف رئيس المؤسسة الصحية قال لهم: هؤلاء ممرضات لهم أكثر من خمسة عشر سنة في هذا الموقع وأنا لكي أنقل الممرضات من قسم القلب من أين أتى بممرضات أخرى ، وكان الممرضات يسألوني ويسألوا غيري من المشايخ كنا نقول لهم: نحرك دون نقابك تقطع رقبتك ولا تخلعي النقاب أبداً فأمسكوا بهذه القصة لاسيما أن المؤسسة أمسكوها من يدها التي تؤلمها ، واحد عمل عملية قلب مفتوح أحضر له بواحدة هاوية أول مرة تعمل في قسم القلب سيموت بذلك ، فأصرت المنتقبات الممرضات ألا يخلعن النقاب ، وفي كل قسم كل واحدة التي تعمل منذ عشر سنين عندها خبرة ، فقبل أن أنقل هؤلاء لابد أن يكون عندي بدائل لهم ، فلم يستطيعوا بطبيعة الحال إحضار البدائل ، طبعاً في أي قسم باطنة مثلاً يحولوها أشعة وهذه يولوها أشعة فوجدوا عندهم في الأشعة تكديس في الممرضات وليس لهم عمل ويرفضون أن يخلعوا النقاب ، فأرجعوا كل واحدة إلى مكانها .

فروزل يوسف جاءت إلى التأمين الصحي هنا وعملوا لقاءات ثم آخر تحقيق عملوه قابلوا فيه المحافظ ، بقدر الله المحافظ الحقيقة كان يرعى دور تحفيظ القرآن في المحافظة وكان متبني هذه المسألة ، والتي تمسك بالإشراف على دور تحفيظ القرآن واحدة منتقبة ، فوجدوا واحدة منتقبة

عند المحافظ ، فسألت البنت المتخصصة في سبي أنا شخصياً والافتراء علي ، سألته أنت ماذا تعمل هذه ووجدت المحافظ يتبسط في الكلام معها ، يا فلانة اعلمي كذا وكذا وأي نقص في المعاهد أعطني خبر فوراً ، نحن عندنا صندوق لرعاية مكاتب تحفيظ القرآن ، والبنت تسمع ولا تصدق نفسها لأنه من المفترض أن المحافظ هو ممثل الدولة في المكان ، فالدولة تحارب النقاب فلا بد أن المحافظ يحارب النقاب وإلا لا يكون يمشي مع سياسة الدولة .

المهم أخذت تسأل وتقول له فقال لها: الطبيعي أننا بدل من أن نترك المسألة هملاً أي واحد متطرف يعمل دار لتحفيظ القرآن ، لكن لما تكون المسألة تحت عيني كرجل مسئول عن المحافظة ومسئول عن هذا الكلام فهذا يكون أجود وأحسن ، المهم طلع العدد مكتوب على الصفحة الأولى الغلاف الخاص بالعدد فضيلة الإمام محافظ كفر الشيخ ، هذا هو العنوان فضيلة الإمام محافظ كفر الشيخ فما الذي تتوقعه أنت سيكون في التحقيق غير الكلام السيئ ، فكان فيه هجمة شرسة جداً جداً على مسألة النقاب و أن هذا ممنوع أن أحد يدخل بالنقاب .

فصاحبنا المفتي في أيام ما كان أستاذ في الجامعة قال الأئمة الأربعة الثلاثة يقولون واجب والإمام مالك لا يوجبه ، وواجب أي أن المرأة تأثم إذا خلعت ، على مذهب الأئمة الثلاثة ، ثم أصبح مفتياً ، فلا بد أن يمشي مع الدولة فما الذي تحتاجه الدولة ، تريد أن النقاب يمنع ، ومن عادة الكذوب أن ينسى كذبه ، الذي لا يرتب أوضاعه لأنه لم يكن يخطر على باله أنه سيكون مفتي ومنه لله الذي اختاره مفتي ربنا يخلص منه سئل عن النقاب قال: الأئمة الثلاثة يقولون مكروه ومالك يقول بدعة ، نحن أتينا بالكلام هذا وهذا ووضعناهم بجوار بعض حتى لا يقول أحد افتراء أو غير ذلك مثل ما يقول الآن أنا كنت ضد التورث ولذلك أبعديني قليلاً ، أنا كلفت بعض إخواننا يأتي لي بكلامه أيام خمسة وعشرين يناير أول يوم من أيام الثورة ، هو قال في الأسبوع الماضي أنني حاولت أن أتصل برئاسة الجمهورية لكي أقول له لا تقتل المتظاهرين ولا تقف ضد المتظاهرين منعوني ، كلامه الذي سمعته بأذني ورأيت به عيني كان

يؤثم ويحرم الذين يذهبون إلى ميدان التحرير ، وما علينا ما هو رأي أنا في الموضوع أو هذا الكلام أنا أكلمك على واقع .

فلا يأتي الآن بعد أن سقط النظام ويعمل بطل ويقول أنا كنت أقول لا بالفهم المليان لكن لم يكن أحد يسمع كلامي ، لو كان قال على مذهب الرجل صاحب المعزة لما وجد معزة في الشارع فذهب إلى شيخ في الجامع فقال له أنا وجدت معزة ، قال له يا بني هذه لقطة لا يحل لك أن تأخذها حتى تعرفها سنة ، فقال له: ماذا أفعل يا عم الشيخ ؟ ، قال له: تنادي في الشارع وتقول من الذي ضاع له معزة بحيث أن صاحب المعزة يأتي ويأخذها ، فتزل في الشارع من الذي ضاع له معزة بصوت منخفض وهكذا يكون فعل ما عليه فهو اليوم لما يأتي ويتكلم ويقول أنا كنت ضد التوريث وهذا الكلام ، لا ، هذا مذهب صاحب المعزة كان ممكن يطلع في الخارج ويتكلم عن التوريث عادي جداً ولا يوجد أي شيء ، ما الذي فعله معاوية بن أبي سفيان ، ورث الحكم لابنه ودولة بني أمية كلها كانت تورث الحكم حتى ذهبت دولة بنو أمية وكذلك دولة بنو العباس الأب يموت يأخذها الولد وهكذا ، فيقول أنا حاولت أتصل بالرئاسة ليمنعوا قتل المتظاهرين وغير هذا ، ما الذي يجعلنا نعرف ذلك ، من جُرب عليه الكذب اتهم في الصدق حتى لو أنه فعل مثل هذا نحن جربنا عليه أن يبدل أحكام الشريعة ، حتى لو فعل ذلك أنا لست محتاجاً أنني أقول له اثبت .

فهذا ينظر للناس ماذا تحتاج ، الشعب المصري كله شعب يحب المقابر والأولياء والذهب عند الأولياء ولا يفهم أن الدنيا تغيرت أو فاهم فقط أكل عيش ، فيقول لك: الصلاة في المساجد التي فيها قبور مستحبة ، حتى ليست مباحة ، وهو لم يأت بها من بنات أفكاره هو أدنى من هذا ، لكنه أخذها من أحد شيوخ المبتدعة أحمد الصديق الغماري الذي له كتاب اسمه: (إحياء المقبور باستحباب الصلاة في المساجد التي فيها قبور) فبدل ما كانت حرام صارت مستحبة ، فيخرج ويقول: إذا كان فيه مسجد فيه قبر أيام النبي ، من أين أتيت بها ؟ هو أتى

بها من قبر أبي بصير ، قصة صلح الحديبية وإلى آخره ، قبر أبي بصير وأنه دفن قبره وكان فيه مسجد بعد ذلك وأنه بني عليه مسجداً ، هذا الكلام .

موسى بن عقبة هو الذي روى هذا الأثر لكن الحافظ بن حجر ، أولاً: الذي روى حديث صلح الحديبية الزهري عن عروة عن المسور ومروان بن الحاكم ، فجاء الزهري بسند صحيح إليه قال: وبلغنا أنه بنو على قبره مسجداً ، الحافظ بن حجر في الفتح قال: وروى موسى بن عقبة عن الزهري بإسناد صحيح أنهم بنو على قبره مسجداً ، فيقول هذا إسناد صحيح والذي يقول هذا الكلام الحافظ بن حجر ، نعم الحافظ بن حجر الإسناد صحيح إلى من ؟ إلى الزهري ، والذي فوق الزهري من ؟ مجهول لا نعرف اسمه لأن الزهري يرويه عن عروة عن المسور والحكم ، في المقطع هذا خاصة الزهري قال: وبلغنا أي ليس له شيخ إنما سمع من أفواه الناس ، وهذا عند علماء الحديث اسمه إسناد معضل ، إذا كان الإسناد المعضل لا يقبل في الأحكام الشرعية العملية في الحلال والحرام ، أيقبل في مثل هذا الأمر العظيم المتعلق بالاعتقاد لاسيما والنبى ﷺ قال قبل أن يموت بثلاث وكان معه خميسة يضعها على وجهه ثم يرفعها وهو يقول: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبياءهم مساجد ألا إني أنهاكم عن ذلك ، ألا إني أنهاكم عن ذلك ، ألا إني أنهاكم عن ذلك » ، ثلاث مرات ، تقول عائشة ؓ تعقيماً على كلام النبى ﷺ: فلولا ذاك أبرز قبره لكنه خشي أن يتخذ مسجداً وهذا كلام عائشة ؓ .

فهو يرى أن دولة التصوف انهزمت بالضربة القاضية أمام الفكر السلفي في مصر فأراد أن يحييها ، لماذا ؟ لأنه ينتفع من هذه العملية فيخرج ويقول أن هذا جائز وغير ذلك ، حتى في نادي روتري ومعروف نادي روتري الذي أنشأه المرابيون العالميون الذين هم سبب كل فساد في الأرض ، المرابون العالميون هم الذين أشعلوا الحرب العالمية الأولى سنة ألف وتسعمائة وأربعة عشر وأشعلوا الحرب العالمية الثانية ألف وتسعمائة وخمسة وأربعين ، وأنا قرأت في كتاب رقعة على أحجار على رقعة الشطرنج لأن هذا الرجل كشف مخطط هؤلاء المرابون العالميون ، أن هؤلاء المرابون أنشئوا نوادي الروتري واليونز وهذا الكلام ، أنهم سيعملوا ثلاث

حروب ، نجحوا في إشعال الحرب العالمية الأولى والثانية بإيغار الإشكالات بين الدول ، قال: وبقيت الحرب العالمية الثالثة ما بين اللوب الصهيوني والعالم الإسلامي هذه سيشعلونها ، وأخذ هذا الكلام من بروتوكولات حكماء صهيون وكان النسخة الأصلية المكتوبة بالخط كانت مع عشيقه واحد من الذين حضروا بروتوكولات حكماء صهيون الذين كتبوا الوثيقة .

فالغاية أو هذه العشيقة كان معها الأوراق فلما سكرت وجد الأوراق فأخذها وهرب بها وأعطاها لواحد فترجم هذه الأوراق إلى الكتاب الخطير الذي اسمه (بروتوكولات حكماء صهيون) ، ولذلك أول ما ترجم الكتاب ونشره قتل مباشرة على الفور ، فبقي الحرب العالمية الثالثة التي ما بين اللوب الصهيوني والعالم الإسلامي وهذه يمكن بشائرها بدأت تظهر قليلاً .

إذاً نوادي الروتري والليونز وغير ذلك هذه أخطر ما يكون على الأديان كلها ، على الدين الإسلامي على الملة اليهودية وعلى الملة النصرانية ، لماذا ؟ لأنهم لا يريدون ديناً قط ، فأى إنسان يذهب لنوادي الروتري أو الليونز فيكون إما جاهل أو عارف ولكنه منتفع ، في عيد ميلاد مفتي الديار المصرية الأخير نادي روتري عمل له تورته عيد ميلاد وشمع ودعوه وقالوا له نحن نريد أن نكرمك ، فذهب إلى هناك وقطع التورته بيده وهذا الكلام موجود صوت وصورة وأخذوا يغنون له سنة حلوة يا جميل ، وهذا الكلام موجود عيني عينك ، وذكروا في الجرائد وأنا قرأتها بنفسى أنه كانت فيه واحدة راقصة لكي تعمل وهو كان خارج فأول ما رآها خرج على طول ومشى ، نوادي الروتري لا تخفى على مفتي الديار المصرية لأنه رجل يقرأ كثير في مثل هذه الأشياء ويعرف القصة كلها ، ما الذي يجعله يذهب هناك ؟ .

حكى لي الدكتور زغلول النجار لما التقيت معه في الكويت كنا في مؤتمر لكن لم نكن مع بعض في نفس المؤتمر ، والتقيت معه على الغذاء كان الدولة أحبت أن تحمل صورة مصر والإسلام عن طريق الأزهر فأرسلت وفد إلى بريطانيا ، هذا الوفد مؤلف من شيخ الأزهر والمفتي شيخ الأزهر الراحل الشيخ سيد طنطاوي والمفتي الموجود حالياً دكتور علي جمعه وأظن ذكر لي إما وزير الأوقاف أو غيره ، المهم هذه الرؤوس ذهبت إلى بريطانيا لكي يحملوا صورة

الإسلام ويقولون يا جماعة نحن لسنا دين الإرهاب أو غير ذلك نحن أناس جيدين ولا نكره أحد والإسلام دين التعايش السلمي وهذا الكلام الذي تحفظونه صم ، قال: اتصل بي وزير الأوقاف الدكتور حمدي زقزوق وهو أسوأ من تولى وزارة الأوقاف المصرية وقال: يا دكتور زغلول أنت رجل تحسن الإنجليزية ولك سنوات طويلة في بريطانيا فأنا أريد منك أن تذهب معهم من أجل أن تسندهم من جهة اللغة ، أنت تتكلم الإنجليزية وأنت ليس لك منصب رسمي فضغط عليه وذهب مع هذا الوفد .

يقول لي: ونحن نجلس مع السيناتور فلان والسيناتور فلان في مجلس العموم أو في جلسة رسمية فقام واحد وأخذ يهاجم الإسلام هجوماً شديداً ، بدأ شيخ الأزهر يتكلم بطريقته التي هي حلال حلال حلال ، والإسلام بالعكس نحن ناس طيبين جداً ناس لا تفعل أي شيء وناس حتى الأقلية تعيش معنا ومستمتعين وكل ذلك كذا وكذا ويدافع بطريقته المعروفة ، وجاء المفتي أيضاً وتكلم بنفس الطريقة المعروفة كله دفاع ونحن لسنا كذلك وأحسنوا بنا الظن وتعاملوا معنا وانظروا الأزهر هذا رمز الوسطية منذ نشأته ويقبل المذاهب الأخرى وهذا الكلام ، الدكتور زغلول قال: أنا أحسست أن مرارتي ستفجر فأنخيت عليهم وقلت لهم يا جماعة أنا ليس لي منصب رسمي أخاف عليه فأنا سأتكلم ، إذا كان كل واحد خائف على منصبه أن يخرج فيه تقرير أو أي شيء فيعزل من منصبه فانا ليس لي منصب رسمي فأنا سأتكلم بصفتي الشخصية وليس نيابة عن الوفد .

فقال: أنا لم أحضر مع الوفد أنا جئت هكذا ، أنت تتكلم وتقول الإسلام عمل كذا ، محاكم التفتيش عملت كذا وأنتم عملتم كذا وبريطانيا لما دخلت واحتلت البلاد عملت كذا وكذا ، قال: لم أبق له شيء بل سويته على الجانبين ، والدكتور زغلول لما يتكلم بحماسة شديدة ، فيقول أحرص الرجل الذي كان يسب وبعد انتهاء الاجتماع طلب أنه يكون بجواري ونحن نتناول الغذاء على مائدة الغذاء ، فجلس بجانبه وقال له: أنا أحبيك على هذه الشجاعة التي أنت قلتها ، وهذا هو السيناتور الذي يهاجم ، يقول له: أنا أحبيك لأنه أتى له بوقائع ، لأننا

لو أحببنا أن نأتي بوقائع الذي عملوه النصارى ومحاكم التفتيش في المسلمين هذا يلبس عليها ملابس ، لا يمكن تتصور أن يفعل هذا إنسان له قلب ، عملوا في المسلمين أعمال رهيبة في محاكم التفتيش .

فلا يأتي واحد ويقول لي الإسلام دين الإرهاب ونحن التقطنا الكلمة ونقول لا نحن ليس دين الإرهاب ، لماذا تقف موقف المدافع ، هل على راسك بطحة لما لا تتكلم بجرأة وتأتي لهم بالمخازي والعار الذي هم عملوه في العالم ، نحن عندنا في الأرشييف لهم فضائح لا يلبس عليها الملابس ، وليس نحن الذين أتينا بها بل هم الذين يكتبوها بأيديهم وأنا سأقرأ لهم من كتبهم وكتب المؤرخين المعتمدين والناس الكبار عندهم ليس على رأسي بطحة أضع يدي عليها ، فانظر هؤلاء هم الذين يمثلون الدين عندنا بالنسبة للناس جميعاً .

فأنا أريد أن أقول لك: قصة تتبع زلات العلماء نحن في العصر الذهبي الآن لتتبع زلات العلماء من الجماعة الرسميين أو أي إنسان يريد أن يصل لكرسي أو منصب أو غير ذلك ، لماذا نحن متهمين بالتشدد ؟ لأننا نقف على الأصول ولا نغير كلامنا ، الكلام الذي أنا قلته شخصياً من ثلاثين سنة هو نفس الكلام الذي أقوله اليوم ، لا غيرت ولا بدلت ولا عملت ، لأنه في الآخر سيوقفني أقف لكن أقف بشرف ، لم أبدل ديني ولم أغير كلمة من الذي أنا قلته مثلاً ، يمنعني من الدروس ، يمنعوني عندي كتب أنا أحقق مخطوطات وأؤلف كتب في الحديث أؤلف ، أخذوا مكتبتي عندي أولادي أربيههم ، سجنوني أنا عندي شخصي أتعبد ، لا يقدر أن يفعل فيك شيء إلا أنه يقطع رقبتك ، وإذا قطع رقبتك نرجو أن نكون من الشهداء ، في الآخر إلى أين سيصل وما الذي يمكن أن يصل إليه ، والثبات على المبدأ يجعل الخصم يحترمك حتى وإن كان هو يظهر احتقارك لكنه من داخل نفسه يحترمك ، لماذا ؟ يقول لك: هذا إنسان ثابت على مبدأه .

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم .

انتهى الدرس الثالث نسألکم الدعاء أختکم أم محمد الظن.

بسم الله الرحمن الرحيم

(مدرسة الحياة - حقيقة العلم النافع)

الدرس الرابع

أبي إسحاق الحويني

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعين به ونستغفره ونعوذ بالله من شرر أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله تعالى فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد .

فهذا هو الدرس الرابع من هذه الخاطرة والتي عنوانها بعنوان: (حقيقة العلم النافع) ، الحقيقة في آخر المحاضرة الماضية سألني بعض الأخوة وقال لي: أنت تكلمت عن حرمة الصلاة في المساجد التي بها قبور ، ففي مسجد النبي قبر النبي ﷺ في المسجد ، فيريد أنني أوضح هذا الإشكال .

التنبيه الأول: طبعاً قبل أن أدلف إلى توضيح الحقيقة أقول أن الحرمة بخلاف البطلان ، لما أقول بحرمة الصلاة في مسجد به قبر ليس معناه أن الصلاة باطلة ، لأن البطلان شيء والحرمة شيء آخر ، لكن الحرمة يتعلق بها إثم ، عندما نقول: حرام أي ارتكب محرماً يكون آثم ، إنما تُجزئه

صلاته . بمعنى أنه صلى الظهر يكون صلى الظهر لا يُسأل لما لم تصل الظهر ، هذا التنبيه الأول .

التنبيه الثاني: أن مسجد النبي ρ كما سمعتموني في المحاضرة الماضية أنقل كلام عائشة τ بعد قول النبي والحديث في الصحيحين: « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ألا إني أنهماكم عن ذلك » قالها ثلاثة مرات ، قالت عائشة: فلولا ذاك أي لولا ذاك النهي أو اللعن أبرز قبرهم كنا أبرزنه وأظهرناه لكنه خشي أن يتخذ مسجداً ، معلوم أن النبي ρ دفن في حجرة عائشة وحجرة عائشة τ كانت يفصلها بين المسجد جدار واحد ، وكان هذا الجدار ، سنفترض هذا هو المسجد النبوي وهذا الجدار فيه باب الذي خلف الباب مباشرة حجرة عائشة ، فكان النبي ρ يخرج من الباب يدخل على المسجد ، وهذا طبعاً واضح من أحاديث ووقائع أقربها لما قال لها من المسجد: « ناوليني الخمرة » .

وكانت حائضا قالت: إني حائض ، قال: « إن حيضتك ليست في يدك » ، لو الحجرة بعيدة عن المسجد ، كيف ستدخل ؟ ، قال لها: « ناوليني » ناوليني أي باب هو واقف ρ في المسجد وهى في حجرتهما ، فالنبي ρ دفن في حجرة عائشة حيث توفي ρ ، الأمر أصبح هكذا واضحاً ، افترضنا إن الحجرة هنا على اليمين لما أراد عمر أن يوسع المسجد فوسعه من الجهة التي من خلفي والجهة هذه لأنه لو وسعه من الجهة هذه سيدخل الحجرة في المسجد والحجرة فيها القبر الشريف فوسعه من الجهة الأخرى ، إذا كان القبر في الجهة الشرقية أوسعه من الجهة الغربية مثلاً ، لما أراد عثمان τ أن يوسع المسجد وسعه من الجهة التي وسع منها عمر حرصاً على أنه لا يدخل القبر داخل المسجد .

في حدود سنة سبعة وتسعين أو قريب من المائة في أيام الدولة الأموية لما حبوا أن يوسعوا المسجد وسعوه من الجهة التي فيها الحجرة ، فلأول مرة تدخل الحجرة في المسجد في حدود سنة سبعة وتسعين تقريباً أو بعدها أو قبلها بقليل وكان موجود في المدينة آنذاك سعيد بن المسيب - رحمه الله - إمام التابعين أنكر هذا الفعل ، لكن أنكر ليس له أن يستعمل يده

ويهدم المسألة هذه ولم يكن أحد من الصحابة بالمدينة آنذاك من أصحاب النبي ρ ، هل نستطيع أن نقول: أن قبر النبي ρ في المسجد بالاعتبار الذي ننظر عليه بالمساجد التي فيها قبور المسجد الذي فيه قبر بعد ذلك يعملوا القبر قبل المسجد وبعد ذلك بينوا المسجد على القبر ، أيستوي خطأ مخطئ مع تعمد عامد ؟ ، لا ، هذا متعمد يدفن في مسجد ، هذا رقم واحد

٢- أن الفضيلة في المسجد أزلية ، لأنه قال: إذا كنت أنت تحرم الصلاة في المسجد الذي فيه قبر حرم الصلاة في مسجد النبي ، فنقول: أن النبي ρ قال: « صلاة في مسجدي بألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » ، فالفضيلة فضيلة الصلاة في المسجد قديمة قبل أن يموت النبي ρ ، فلا يستطيع أحد أن يقول: إن الصلاة في المسجد حرام ، كيف وهى بألف صلاة ؟ .

لا سيما قلنا: أن ضم الحجرة إلى المسجد كانت خطأ مخطئ ، ولذلك راعى الذين جاءوا بعد ذلك الخطأ هذا ورفضوا أن يكملوا عليه ، كل ما يجبوا أن يوسعوا المسجد يوسعوه من الجهات الأخرى بخلاف الحجرة ، ولذلك الذي ذهب إلى المسجد النبوي الآن نستطيع بتمتتهى البساطة أن نفصل القبر عن المسجد بجدار ، تبني جدار في آخر الروضة يكون المسجد ليس له إلا الباب الذي تدخل على الحجرة حجرة عائشة فقط ، تخيل لو كل واحد حب أن يوسع كان يوسع من جهة الحجرة كان القبر أين سيكون مكانه ؟ كان مكانه في نصف المسجد لو المسألة كذلك ، لكن تنبه الذين جاءوا بعد ذلك إلى خطأ هذا المخطئ ، فكان كل التوسيعات عندهم من الجهات الأخرى ولم يوسعوا إطلاقاً من جهة الحجرة ، ولذلك من السهل جداً تأتي على آخر حدود الحجرة حجرة عائشة وتبني جدار ستكون الروضة مع بقية المسجد في مكان والقبر بمفرده في مكان آخر .

فلا يأتي أحد يقول لي: يقيس هذا الذي يفعلونه الآن في المساجد التي فيها قبور على مسجد النبي ρ هذا قياس باطل لا يصح للفروق التي ذكرناها في عجالة ، لأجل هذا أنا أقول للأخوة: أنا أشكره أنه نبهني على هذا لأنني لا أحاول أخرج كثير جداً أتفرع كثير أتفرع نعم

لكن لا أحب أن أزيدها ، فلم أقبل أن أتكلم في هذا الأمر لاسيما تكلمنا فيه مراراً وتكراراً
وتقريباً معظم الأخوة الذين يكونوا موجودين أيضاً سمعوا هذا الكلام .
أريد أن أرجع مرة أخرى لما كنا فيه وهو تتبع زلات العلماء .
ابن الجوزي - رحمة الله عليه - يقول: (رأيت جماعة من أهل العلم يتفلسحون ويظنون أن
العلم يدفع عنهم والعلم خصمهم) لماذا ؟ لأن ما حقيقة العلم ؟ :
العلم قال الله ، قال رسوله ، قال الصحابة ليس بالتمويه

العلم قال الله قال رسوله	قال الصحابة ليس بالتمويه
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة	بين الرسول وبين قول فقيه
كلا ولا جحد الصفات ونفيها	حظراً من التمويه والتشبيه

العلم قال الله ، قال رسوله ، قال الصحابة ، ليس خُلفٌ فيه لا خلاف على أن الحجة في
كتاب الله Y ، وفي سنة النبي P ، ثم في أقوال الصحابة التي ترجح دليلاً على دليل ، لأن هذا
دور أقوال الصحابة أو أفعالهم ، لماذا ؟ هم الذين نزل عليهم القرآن ، وهم الذين رأوا النبي P
يخاطبهم شفاهاً ، فهم أكثر الناس صواباً وأعلمهم بدينهم ، كانوا عرباً أقحاح لم تلوث لا
عقولهم ولا ألسنتهم عجمة ، كانوا عرباً يفهمون الخطاب على وجهه وإن كان الذين أسسوا
النحو وغير ذلك أخذوه من كلام العرب والصحابة كانوا من العرب كانوا قبل الإسلام
كفاراً وكثير منهم أو كلهم أسلم بعد ما النبي P ، فمن جهة الحجة اللغوية فكلامهم حجة
مثلهم مثل العرب القدامى .

كانوا يفهمون الكلام على وجهه الذي الآن فعلنا له أصول في أصول الفقه وغيره ، مثل
الحديث هو أن النبي P قال لزوجاته: «أطولكن يداً أسرعكن لحوقاً بي» ، أول واحدة
ستموت هي أطولكن يداً ، ولأن الكلام إنما يكون في الأصل على الحقيقة ولا يصرف عن
الحقيقة إلا بقرينة فكان أزواج النبي P يقيسوا أيديهم مع بعض هي «أطولكن يداً» كل

واحدة تأتي تعالي نقيس أيدينا مع بعض ، لماذا ؟ ، لأن النبي P قال: « **أطولكن يداً** » لا يوجد أحد أبداً يسمع الكلام هذا ويقول: اليد بمعنى النعمة بمعنى الصدقة بمعنى كذا لأن ليس كلمة يد الياء والبدال موضوعه لهذا المعنى ، إنما اليد إنما وضعت في الحقيقة وفي الأساس لهذه الجارحة التي نحركها هذه ، إذا صرفت الكلمة عن الحقيقة إلى غيرها لا بد أن يكون فيه قرينة .

والعلماء يحتجوا بهذا الأصل على عدم صرف الأسماء والصفات إلى المعاني المعطلة ، يقول: ﴿ **يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ** ﴾ (الفتح: ١٠) يقول: ﴿ **يَدٌ** ﴾ أي تأييده ، لا ، ﴿ **يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ** ﴾ هي يد حقيقة لكن كما يليق بجلاله ، خرجنا من التشبيه والتعطيل وكل شيء بالكلمتين هاتين ، لأن الله Y لما نفى المثلية عنه أثبت الصفة قال: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ (الشورى: ١١) ، يكون سميع وليس كمثله شيء ، بصير وليس كمثله شيء بدلالة الآية .

كل صفة من صفات الله تضمها وتقول: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ ، فلا يلزمي إن أنا إذا أثبت الصفة تقول لي: شبهت الخالق بالمخلوقين لأن أنا أقول: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ ، كل صفاته - تبارك وتعالى - لا يشبهها شيء قط من صفات المخلوقين ﴿ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا** ﴾ (الإسراء: ٤٣) تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ليس معنى أنه يقول لك: أنت لك يد وهو له يد يكون أنت شبهته ، نأخذ صفة الحياة الحياة ، الله حي أم لا ؟ ﴿ **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ﴾ (البقرة: ٢٥٥) ، ﴿ **هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ** ﴾ (غافر: ٦٥) ، هل أنت حي أم ميت ؟ حي تتحرك أثبت لله حياة وأثبت لنفسك حياة ، لماذا لم تقل: أنا لست حياً وإلا يكون أنا أشبه ربنا بي ؟ .

كل ما أقول له: له يد ، يقول: لا ، ليس له يد لأن أنت لك يد وهكذا تكون شبهت ربنا بك ، لك سمع والله Y له سمع ، لا ، هكذا أنت لا يصح أن نشبه ربنا لا يسمع أو ليس له سمع ، لأنه لا يستطيع أن يقول لك: أنت ليس لك سمع ، فكيف نتحاور ؟ فينفي الغائب ويثبت الحاضر ، لماذا لم تنف صفة الحياة عن الله مثل ما نفيت اليد وغير ذلك ؟ لا يستطيع

ولا يستطيع أن يقول: أنك ميت لأنك لو أنت حي ستكون تشبه برينا ولا يجوز وغير ذلك فكلامهم متناقض ، فكل صفة نحن نقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ تسير كل صفات الله - تبارك وتعالى - في هذا ، ما الذي جعلنا نتفرع ؟ اليد وهو أن الألفاظ تحمل على الحقيقة ، فيه عقل أفضل من عقل عائشة مثلاً أو أزواج النبي ﷺ ؟ ، لما عائشة تذهب تضع يدها بجوار يد صفية مثلاً لأن الحديث هذا قيل هكذا ، هل هم حملوا الألفاظ على الحقيقة أم لا ؟ هذا الأصل الذي لا يختلف فيه أحد ، متى عرفوا القرينة وإن القصة ليست قصة طول يد ؟ عندما ماتت زينب لأن زينب ٣ أول امرأة لحقت بالنبي ﷺ بعده وكانت قصيرة وكانت أيديهم أطول من يد زينب فعرفوا حينئذٍ أطول يد بالصدقة ، كانت زينب كثيرة الصدقة ، حتى أنها في آخر عطاء لعمر لها من بيت المال ، قالت: اللهم لا يدركني عطاء عمر أي عندما يأتي يعطيني السنة التالية عطائي لا أكون موجودة ، اللهم لا يدركني عطاء عمر إذا عرفوا القرينة لما ماتت زينب ٣ .

خيطة أبيض وحيطة أسود ويتدئ يأكل يأكل وينظر للخطين إذا استطاع أن يميز بينهم الدنيا ظلام ولم يكن موجود مصاييح وغير ذلك ، لو استطاع أن يميز بينهم يكون هذا وقت الإمساك ، فذهب للنبي ﷺ وقال له هكذا أنا أضع خطين أمامي واجلس أكل وأشرب لحين أميز بينهم ، قال له: ﴿إِنَّكَ لَعَرِيضُ الْقَفَا، إِنَّمَا هُوَ خِيطة اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ ، كان فيه قرينة لكن لم ينتبه لها عدي ﴿وَكُلُّوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ (البقرة: ١٨٧) ، لكن الكلام هذا بعض العلماء قال: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ ، عند الفجر يظهر اللون الأبيض من الأسود وليس أنه أهمل القرينة ولم يفهم أن كلمة ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ خيطة الليل والنهار ، لا ، قال: عند الفجر يظهر اللون الأبيض من الأسود ، فهو لم يهمل القرينة لأن بعض الناس يقول لك حتى بعض الناس مثل فخر الرازي وغيره كذب هذا الحديث برغم أنه في الصحيح كذبه ، لماذا ؟ قال: يبعد ألا تظهر هذه القرينة لواحد مثل عدي بن حاتم

وهو من العرب الكبار ، يكون الكلام هذا لا يصح فيتهم الحديث ويتهم الرواة لكي يبرأ من ؟ يبرأ عدي بن حاتم .

وأي صحابي في الدنيا ممكن يخفى عليه القرينة نفسها لأنه بشر من البشر ، أنا قلت لكم: أبو بكر الصديق خفا عليه الحكم ، وعمر خفا عليه أحكام ، وعثمان خفيا عنه ما هو أجل من عدي بن حاتم فلا يوجد مشكلة في الموضوع ، فكل الألفاظ تحمل على الحقيقة هذا أصل وضع اللفظ أنه يوضع على الحقيقة .

هؤلاء الذين ابن الجوزي يتكلم عنهم ، يقول: (العلم خصمهم) لأنه لما يجب أن يترخص يقول لك: قال بها عالم ، هل أنا أحسن منه ؟ أنت محدود في قومك من العلماء ، والحجة في كلام الله ورسوله ، حتى ليس في كلام الصحابة الحجة ليست في كلام الصحابة الحجة في كلام الله ورسوله ، إنما الصحابة نستخدم أقوالهم في الترجيح عند الأحكام المختلفة ، قيل للشافعي: قول الصحابي حجة ؟ ، قال: لا ، قال: تذهب إليه ؟ ، قال: نعم ، فأنظر كيف فرق الشافعي بين الحجة وبين جواز الإتيان ؟ .

الحجة: هي التي لا يجوز لأحد أن يخالفها قط ، هذه هي الحجة الملزمة التي يحاسب المرء بمخالفتها ، فقال: قول الصحابي ليس بحجة ، لماذا ؟ لأنه يصيب ويخطئ ، فربما قال قولاً خاطئاً اتبعته فيه فلا يكون حينئذ حجة ، وإلا الحجة تكون متعرضة لأن تكون خاطئاً أو صواباً وهذا تضييع لمعنى الحجة وإسقاط لحجتها في الأصل إن أنا أربطها بمن ليس بمعصوم ، إذاً الحجة لا تكون إلا من معصوم هذا الأصل ، وطبعاً الكلام فيه تفصيل لأن ممكن الحجة تكون من غير معصوم لكن في تفصيل في الموضوع لا أريد أن أخوض فيه ، مثل قول العالم بالنسبة للعامة قول العالم بالنسبة للعامة حجة لا يجوز للعامة أن يخالف العالم فيما أفتى به صارت حجة والعالم يصيب ويخطئ ، لكن أتكلم عن أصل كلمة الحجة وأقوال الصحابة أو أفعال الصحابة ليست حجة إذا قيس بالقرآن والسنة الذين هم أصل الحجة .

الشافعي لما قيل: تذهب إليه أي تقول بقول الصحابي؟ قال: نعم وأفقي به، لكن ليس بحجة لاحتمال أن يكون غاب عن الصحابي الحجة التي تخالف قوله أو غاب عني أنا أصل الحجة، عندنا مثلاً الأحكام الشرعية التي اختلف فيها الصحابة كثير جداً، لكن لم يختلفوا في شيء من العقائد، لكي تنتبهوا العقيدة لم يختلف الصحابة فيها، إنما اختلفوا كثيراً في الحلال والحرام لكي تفرق الفرق التي أتت بعد ذلك يقول لك: أصل الحديث يقال كذا، أصل الآية معناها كذا، نقول له: أخرج لنا أحد من الصحابة الذين نزل عليهم القرآن اختلف في هذا المعنى، وأنا أقول هذا الكلام لا يغيب عن ذهني مبحث رؤية الله Y وأن الصحابة اختلفوا أراى رسول الله P ربه ليلة المعراج أم لا؟ لا يغيب عني أن الصحابة اختلفوا، لماذا؟، لأن كلام الصحابة كله يلتزم مع بعضه، لما قالت عائشة T وسئلت: أراى محمد P ربه ليلة المعراج؟ قالت: لقد قف شعري مما تقول، قف شعري: وقف من عظم ما تقول، لماذا؟ لأن عائشة T حملت السؤال على الرؤية الحقيقية، لذلك أنكرت أن يرى أحد رب العالمين بعينه وهذا كلام صحيح مائة بالمائة ويتوجه كلام عائشة إلى هذا المعنى رأساً ونحن لدينا سؤال موسى U لما سأل ربه ﴿قَالَ رَبِّ ارْنِي﴾ (الأعراف: ١٤٣)، ما الذي حدث للجبل؟ والجبل هذا نحن نضرب المثل بالقسوة بحجارة الجبل، فما بالك بإنسان له لحم ودم كيف يصبر على أن يرى ربه؟، فكلما أن ترى ربك بعينيك هذه في الدنيا مستحيلة، لكن نراه في الآخرة هذه كما يأذن الله I أن نراه بالأبصار كما نرى الشمس كما نرى القمر ليلة البدر، لماذا؟ أجسامنا في الجنة مختلفة عن أجسامنا في الدنيا أجسام تطبق النظر إلى الله - تبارك وتعالى -، لكن نحن في الدنيا لا نستطيع أجسامنا لا تحمل.

يبقى حديث أبي ذر وحديث ابن عباس، سئل أبو ذر: أراى رسول الله P ربه ليلة المعراج؟ قال: رأى نوراً، وسئل ابن عباس: أراى رسول الله P ربه ليلة المعراج؟ قال: قال رسول الله P: «نور أنى أراه؟» أي كيف أراه؟، وفي حديث أبو موسى الأشعري قال P: «حجابه النور» لا يستطيع أحد أن يراه لأن فيه حجاب من النور، أجمع الحديث هذه كلها

على بعضها لا تجد تناقضًا ، قول أبي ذر على لسان النبي ρ : «رَأَيْتَ نُورًا» ، لا ينافي قول النبي ρ في حديث ابن عباس: «نور أنى أراه ؟» أي هو نور كيف أراه وقد حجبته النور عني ، هذه تساوي رأيت نورًا أم لا ؟ رأيت نورًا ، فيكون حديث ابن عباس «نور أنى أراه» ، كيف أراه ؟ التقى مع حديث أبي ذر «رَأَيْتَ نُورًا» ، أي قال: كيف أراه على حقيقته وبيني وبينه حجاب من النور ؟ لما قال: «رَأَيْتَ نُورًا» ، لم يرى إلا الحجاب ، وفي حديث ابن عباس قال: «ما معني عنه إلا الحجاب» وهو النور ويؤيد هذا حديث أبي موسى الأشعري عن النبي ρ : «حجابه النور» لا يوجد خلاف في حقيقة الموضوع .

لكي لا أحد يقول لي: هذه مسألة اختلف فيها الصحابة ، لكن ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ (القلم: ٤٢) هم ينكروا أن يكون لله Y ساقًا ، في الصحيحين من أبي سعيد الخدري τ قال رسول الله ρ وهو يتكلم عن القيامة: «يوم يكشف الله عن ساقه» لأن ناس يقولوا: أصل القرآن جاء بالساق غير منسوبة ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ ، قال: العرب تقول: قامت الحرب على ساق أي على قدم وساق ، أو فلان يقف على قدم وساق ، أي الأمر جد ، فيثولوا القرآن لكي يعطلوا الصفة يقولوا: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ أي يوم يكشف عن أمر عظيم ويأتي لك الكلام هذا عن ابن عباس وهو لا يصح عن ابن عباس هذا الكلام ، تفسير ابن عباس يروى بحوالي سبعة أسانيد ثلاثة منهم ممكن أخذ منهم فكرة لأنهم صحاح أو حسن والباقي ضارب أسانيد ضاربة لا تصح أن تنسبها لابن عباس ، والمفسرون أغلبهم لا علم لهم بعلم الحديث فكل ما يجد قال ابن عباس يأخذ قال ابن عباس ، لا يبحث لا صح عن ابن عباس ولا غير ذلك .

وأنا علمت هذا وأنا أحقق تفسير ابن كثير جمعت صحيفة ابن عباس كلها كل الأسانيد التي تروى عن ابن عباس ، وفعلت تحقيق عليها وخرجت بهذه النتيجة ، فيقول لك: ابن عباس يقول: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ ، أفضل من يفسر كلام الله من ؟ رسول الله ρ لأن الله Y قال له: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَلَ إِلَيْهِمْ﴾ (النحل: ٤٤) ، فالنبي ρ قائم في

مقام البيان فهو الذي قال: «يوم يكشف الله عن ساقه» هذه تحتل تأويلاً؟ إذاً لا يجوز أن القرآن ممكن تقول أصلها غير منسوبة وقال ابن عباس وغير ذلك، لا، الحديث قضى على كل هذه التأويلات، ما بقي إلا أن نتكلم في صحة الحديث، هل صح الحديث إلى النبي ﷺ أم لا؟، نقول بملء الفم والواحد عينه كانت تسع الكون أنه لا يستطيع أحد أن يعترض على صحة هذا الحديث، إسناده كالشمس وتلقته الأمة بالقبول، ولا نعلم عالماً واحداً من علماء الحديث أنكر هذه اللفظة «عن ساقه» أنكرها، وهم أهل الشأن وفرسان الميدان وهم علماء الحديث، إذا تكلموا ينبغي أن ينصت كل من ينسب إلى علم لأن هذا فنهم، كما أن الفقهاء إذا تكلموا ينبغي أن يسكت كل من ينسب إلى علم مثل أهل الحديث وأهل اللغة لأن كلام الفقهاء مقدم، إذا تكلم أهل اللغة ينبغي أن يسكت كل من ينسب إلى علم دون علم اللغة، إنما أهل اللغة هم الحجة على الفقهاء وعلى المحدثين وعلى البلاغيين إلى آخره أي يقضى لكل إنسان في فنه، بالإضافة لأن الصحيحين تلقاهما جميع العلماء بالقبول، إلا بعض أحرف في الكتاين تنازع العلماء في صحتها، وهذا أمر لا يصح أن يتكلم فيه العوام لا يتكلم فيه إلا البذل القناعيص البازل الكامل، القناعيص: هم أصحاب الحلبة وهم الناس الكامل الذين وصلوا، فلا يصح أن يتكلم في الكلام أو الأحاديث التي تكلم بعض العلماء فيها في الصحيحين بأي كلمة ولا نص كلمة حتى إلا العلماء الكبار الذين يفهمون شرط الشيخين ويعلمون لماذا يروي البخاري عن راوي مختلف فيه أو مسلم عن راوي مختلف فيه، وهل هذا من محفوظ حديثه أم لا؟ كلام كبير.

يكون لدي لم يتكلم في هذا عالم قط وأجمعت الأمة على قبول هذا الحديث أيضاً، يكون أنا لدي إجماع والسنة قائمة بالنسبة للقرآن مكان البيان، قائمة في القرآن مكان البيان تأتي تقول لي: أنت تشبه الله بخلقه لأنك أثبت له ساقاً؟، أنا سأتي لك بالآية على الفور ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، فرجع ونقول: أن الأصل كما ذكرت في الألفاظ الحقيقة والصحابة كانوا يتعاملون بهذا، فأنا لدي ثلاثة درجات: قرآن، وسنة، وأقوال الصحابة، ابن عبد البر في

كتاب التمهيد يقول: إذا اختلف أصحاب النبي ρ فالسنة حكم بينهم ، وأسعد الناس بالدليل من وافق السنة ، إذاً فيه بعض الصحابة الفضلاء الأجلاء يُرد كلامهم وترد فتواهم لأن السنة مع الطرف الآخر ، لأجل هذا الشافعي قال: أذهب إلى قول الصحابي لكن ليس بحجة ملزمة لاحتمال أن يكون الدليل خفي عن هذا الصحابي ، ومن يريد أن يعرف شيئاً من هذا أقول شيئاً لأن الأمر واسع جداً فعليه أن يطالع كتاب الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة لبدر الدين الزركشي - رحمة الله عليه - ، كتاب كبير ولم يستوعب الزركشي

أنا نفسي في أثناء مطالعاتي عندما أجد عائشة تستدرك على أي صحابي شيء أنظر في كتاب الإجابة إذا وجدت الحديث خير وبركة ، لم أجد الحديث أجعله مما فات الزركشي ، فأنا مدون على الورقة الأولى في كتابي حوالي سبعة أحاديث أو عشرة تقريباً مما استدركته عائشة على الصحابة ولم يطلع عليه الزركشي ، الكتاب هذا كله موضوعه أن عائشة استدركت أشياء تراها خطأ على الصحابة أنهم خالفوا فيها الدليل ، لكن ليس كل ما استدركته عائشة على الصحابة كانت محقة فيه ، لا ، أيضاً وأنت تقرأ لا تسلم أن كل شيء استدركته عائشة على أي صحابي كانت محقة فيه ، لا ، فيه وفيه ، لكن على الأقل استدركت أشياء ، فاجعل واحد اتكأ على قول صحابي وكان الخبر اليقين عند عائشة τ عن النبي ρ ، هل أرجع إلى قول النبي ρ الذي روته عائشة أم أبقى مع قول الصحابي ؟ أبقى مع قول الصحابي .

لأجل هذا ابن الجوزي يقول: الجماعة الذين يتفلسفوا هؤلاء ويترخصون لأنفسهم ويأخذوا زلات العلماء يظنون أن العلم يدفع عنهم لأنه سيأتي يوم القيامة يقول: يا رب أنا كان بين يدي حديث عائشة ، فيقال له: قد علمت أن هذا الحديث يعارضه أحاديث أخرى وأنت كنت تدرس مادة أصول الفقه ، فلما لم تعطي البحث حقه حتى تعلم ؟ ، والله Y لا يخدع ، أنا أفترض في إقامة الحجة أن يكون سؤال كهذا لأن الله لا يخدع فيقيموا عليه الحجة كما قال تعالى: ﴿ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ﴾ (الأنعام: ١٤٩) ، لا يوجد أحد يستطيع أن يقيم على الله حجة أبداً فيؤاخذه بهذا ، والمغفل يظن أن العلم سيكون معه إذا حوسب يوم القيامة ، يقول: أن

العلم خصمه ، لماذا ؟ ، لأن حقيقة العلم ليس هو معرفة الحلال والحرام ، لا ، حقيقة العلم أن يهديك إلى الوصول إلى الله ، هذه حقيقة العلم وقد صرح لها جماعة من العلماء المتقدمين كمجاهد بن جبر وكعكرمة أبي عبدالله وهو مولى ابن عباس يحيى بن أبي كثير ، قال: حتى وصلت وقالها الإمام مالك رحمه الله وزمنه يعتبر متأخر عن زمن هؤلاء ، كانوا يقولون: ليس العلم بكثرة المسائل إنما العلم الخشية .

ليس العلم بكثرة المسائل ، ما معنى هذا ؟ أي معرفة الأحكام الشرعية تقول: هذا حلال وهذا حرام ودليل الحرمة كذا ودليل الحل كذا هذا مختلف فيه والراجح كذا وكذا وغير ذلك ، لا ، ليس هذا هو العلم ، هذا صورة العلم وإن كان علماً ، متى يكون علماً ؟ إذا هداك إلى خشية الله ، إذا لم يهديك إلى خشية الله كان صورة علم ولم يكن علماً ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾ (آل عمران: ١٣٠) فيأتي يفسر الربا تفسيراً جديداً ويظن أن هذا التفسير الجديد يدفع عنه أكل الربا ، مثل ما فعل شيخ الأزهر الدكتور سيد طنطاوي فيما يتعلق بفوائد البنوك ، يقول لك: أصل الربا أنك تستغل حاجة الإنسان وتجبره على أن يدفع زيادة ، لكن هذا المعنى منتفي في البنوك أنت الذي تذهب بنفسك طوعية وتضع النقود في البنك ، هل أجبرك أحد ؟ ، قال لك: الربا معناه الاستغلال أنك تستغل حاجة الناس ، وهذا ذهب بنفسه طوعية ، فكيف تقول: هذا ربا ؟ ، الفائدة قال لك: هذه ليست فائدة ربوية هذا نتيجة استثمار المال .

هل البنوك تستثمر الأموال ؟ ، تعريف العلماء المعاصرين للبنك يقولون: هي مؤسسة تقترض لتقرض ، هذا تعريف العلماء المعاصرين أصحاب الاقتصاد البنك مؤسسة تقترض لتقرض ، فما تكون مهمة البنوك ؟ الإقراض ليس عمل مشاريع ، يعمل مشروع لابد أن يضع تحت العجز والزيادة تحت المكسب والخسارة ، لا يوجد أحد في الدنيا على بعضها يتاجر ويقول للرجل: حتى لو خسرت سأعطيك فوائذك ، من الذي ممكن أن يقول هذا الكلام ؟ ، أنا رجل لدي عشرة آلاف ، مائة ألف ، مليون لا أستطيع أن استثمرها أذهب للبنك أضعهم فيه

يقول لي: أعطيك سبعة في المائة ثمانية في المائة وغير ذلك ، يأتي واحد آخر لديه عقل ويريد أن يفعل مشاريع لكن ليس لديه مال ، يذهب للبنك يقول له: والله أنا أريد منك مائة ألف أو أريد منك مليون يقول له: سأعطيك المليون بمليون وربع أو مليون نصف ، موافق يأخذ النصف الزيادة يقسمها بينه وما بين صاحب المال ، لما تقسمها بينك وبين صاحب المال تعطي له سبعة في المائة وتأخذ سبعة وتسعين في المائة ؟ .

يقول لك: نعم لأن أنا لدي موظفين ولدي إنارة ولدي عمال وغير ذلك وناس تخرج بالسيارة تحرس السيارة ويأخذوا نقود وغير ذلك فأنا حجم الإنفاق لدي أكبر منه لكنه يعطيه سبعة في المائة ، ما هو الربا غير الذي يحدث هذا بالضبط ؟ ، لو قلت لأي واحد المائة بمائة وعشرة ، يقول لك: ربا ، المليون بمليون وربع ، ما هذا ؟ ربا ، قصة أنك تستغل أو لا تستغل ليس لها علاقة بحقيقة الربا ، لا ، فيأتي يقول: إن كل البنوك هذه لا شيء فيها ولا غير ذلك ، عارضه كل الجامع الفقهية في العالم الإسلامي ، وقالوا: الفتوى هذه خطأ وأرسلوا إليه كتباً منهم لكي يرجع لم يرجع ، لماذا ؟ ، لأنه لم أحب يستهدي لحقيقة الربا ذهب لمديري البنوك وقال لهم: اشرحوا لي كيف يعمل البنك ؟ ، أنا أذهب لعلي بابا شخصياً وأجعله يعلمني ، هو شيخ المنصر ، أذهب أنا لمدير البنوك أخذ منهم المعلومة ، قطعاً سيعطينني معلومة خطأ ، وشيخ الأزهر كان علمه متواضع جداً جداً أي كان متواضعاً جداً جداً بالأخص في الفقه لم يكن له في شيء ، حتى التفسير هل التفسير يحتاج إلى شيء ؟ أنقل من كتب المفسرين وأنقل من كلام العلماء بخلاف الفقه ، الفقه هذا يحتاج اجتهاد واستنباط واستعمال أصول وغير ذلك .

والرجل هذا ليس دارس أصلاً أصول فقه وحتى لما تعين مفتي العلماء اعترضوا على تعيينه مفتي قالوا: العادة أن يتعين في منصب الإفتاء رجل دارس شريعة وأصول فقه ، لأن الفتوى إنما تقوم على هذا لكن يدرس تفسير ، كيف يفتي ؟ التفسير هذا لا يحتاج إلى تعب جداً لأنك تنقل أقوالاً وإذا ربنا فتح عليك بكلمة أو شيء ستكون أيضاً أخذتها أو ربنا فتح عليك ، لكن ليس مثل الفقه الفقه هذا متعب ، فلم يكن له في الفقه إطلاقاً ، فلما يذهبوا يقولوا له: الوضع كذا

وكذا وكذا ، أنا عندما درست المسألة أحد مديري البنوك هنا في المحافظة لدينا كفر الشيخ لقيني في بعض المساجد وقال لي: أنا علمت أنك تحرم وضع الأموال في البنوك وأريد أن أناقشك ، قلت له: موافق حباً وكرامة ، لما ناقشني لم يستطيع أن يسلك معي أبداً ، لماذا ؟ لأن أنا قارئ الموضوع كنت أوقاتها الفتوى خارجة والدنيا كلها هائجة وغير ذلك فدرست الموضوع وعلمت القصة ، حتى من بعض كتب البنوك المعاصرة أخذت منها بعض الفصول أنا أحتاج إليها ، لكن لما كلمته وطرحت عليه بعض المشكلات لم يستطيع أن يجيب إطلاقاً ولم يستطيع أن يدافع عن البنك .

فهذا قال له: جائز ولا توجد مشكلة وغير ذلك ، كل الذين وضعوا أموالهم في البنوك بناء على هذه الفتوى معلقين في رقبتهم ، ليس كلهم ، الذي كان يريد الحكم الشرعي مهما كان واتباع قول شيخ الأزهر في هذا برئ ، لماذا ؟ لأنه لم يقصد إتباع أهوائه إنما قصد معرفة الحكم الشرعي الذي سيحملها الذي أفتاها ، لماذا لم تجتمع مع علماء الشريعة والجامع الفقهية في العالم الإسلامي كله وفيهم من هو أعلم منك ، وبعد ذلك تعمل له تنقيح وتأني به مدير البنوك مع علماء الشريعة ؟ لأن الربا ليس شيء بسيط ، الربا هذا خراب ، ربنا Y يقول: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (البقرة: ٢٧٩) أي إن لم تتركوا الربا ، إذا المسألة ليست بسيطة ، واليوم العالم كله مبني على سياسة البنوك ، فأنا لا أستطيع أن استغنى عن بنك في بلدي الآن ما لم يكن عندي آلية ، لماذا ؟ ، لأن أنا كيف أخرج من منظومة البنوك وأفعل استثمار جديد أو هيكل جديد برأس مال مسلم .

لماذا كاتبك العلماء وقد صرحوا في كتبهم أنهم كاتبوك ، وقالوا لك: تعالى نجلس معنا ونتكلم معنا ونتحاور ، ونأتي بكل المتكلمين باسم الربا الحديث وهو البنوك يأتوا أماننا ونكلمهم وسنكلمهم بالاقتصاد أيضاً ونكلمهم بالشريعة وهذه زيادة عليهم ، لماذا لم يفعل هكذا ؟ والشيخ يوسف القرضاوي في كتابه الخاص بالربا وغير ذلك ، قال: نحن أيام الدكتور سيد الطنطاوي كان مفتي الجمهورية ، قال: ناقشناه واتفقنا معه أن الربا حرام ، وأن البنوك

ممارستها حرام ، واتفقنا على هذا ، واتفقنا أننا سنأتي نفعل مؤتمر لكي نعلن فيه هذا ، قال: فغافلنا جميعاً وأول ما وصل لمصر عمل مؤتمر صحفي وقال: البنوك لا شيء فيها ، هذا نص كلام الدكتور يوسف القرضاوي أو معناه الموجود في الكتاب ، فلما يأتي لأجل أن يغافل كل الجامع الإسلامية ويرميها خلف ظهره ، هذا من أجل ماذا ؟ كان من أجل أن الدولة تريد هكذا الدولة قائمة كلها على البنوك تريد أن تخدم البنك ستهدم اقتصاد البلد .

نحن نقول: أنا لن أهدم البنك ، لكن سأنظر إلى آلية لكي نخرج من هذا ، أحياناً في ورطة لا تستطيع أن تخرج منها مرة واحدة أبداً لا بد أن تخرج منها على مراحل ، البنوك كلها التي تمسك البلد وتمسك أموال الناس في البنوك ومتشعبة وأقرضت وإلى آخره وغير ذلك ، ماذا نفعل ؟ ، لا بد أن يكون في آلية يجتمع فيها علماء الشريعة مع علماء الاقتصاد المعاصرين ونخرج في النهاية بآلية ، هذا رجل لم يبذل الوسع أصلاً ، ولم يسترشد بقول غيره من أهل العلم الفضلاء بل الجامع الفقهية ليس بمجرد واحد أو اثنين ، وأنا لا أنسى في ذات الوقت إن فيه علماء لكن كل عالم بمفرده أيد ما قاله شيخ الأزهر آنذاك ، وقال لك: البنوك ليس فيها شيء وغير ذلك ، نعم لكن الجامع الفقهية هذه مسألة مختلفة ، كبار العلماء ولما يجتمعوا على قول بعد تنقيح وأخذ ورد واعتراضات وغير ذلك يصلوا في النهاية إلى صواب .

ولدينا عدة مجامع فقهية في العالم الإسلامي وفيها ناس ثقال جداً في العلم وناس من الراسخين في العلم والراسخين في معرفة الاقتصاد الحديث ، لماذا نحن لم نرجع إلى هذا ؟ يظن أن الكلام هذا وإن حاجة الناس وإن الناس فقراء وإن الناس تحتاج قروض وأن الدولة لن تسير إلا بقروض يظن أن هذا من جملة العلم ، وأن هذا يمكن أن يدفع ، لا ، نقول: هذا ليس هو العلم إنما هذا صورة العلم وإن بدا للناس علماً .

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى ، أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم .

انتهى الدرس الرابع نسألکم الدعاء أختکم أم محمد الظن.

بسم الله الرحمن الرحيم

(مدرسة الحياة - حقيقة العلم النافع)

الدرس الخامس

أبي إسحاق الحويني

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعين به ونستغفره ونعوذ بالله من شرر أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله تعالى فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمدٍ ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد .

فهذا هو الدرس الخامس من هذه الخاطرة التي سميتها: حقيقة العلم النافع وهي من كتاب صيد الخاطر للإمام أبي الفرج ابن الجوزي رحمه الله تعالى .

قال: (رأيت جماعة من العلماء يتفسحون ويظنون أن العلم يدفع عنهم و ما يدرون أن العلم خصمهم وأنه يُغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب وذاك لأن الجاهل لم يتعرض بالحق والعالم لم يتأدب معه) رأيت بعض القوم يقول: أما أنا قد ألقيت منجلي بين الحصادين ونمت ثم كان يتفسح في أشياء لا تجوز) .

كان آخر كلامنا في المرة الماضية في زلات العلماء التي يطلق عليها العلماء الرخص ، وذكرت أن هذا العصر هو العصر الذهبي لتطبيق الأخذ بزلات العلماء إرضاء للعوام وأن العالم أو بعض العلماء أو بعض من ينتسب إلى العلم لا يستطيع أن يقول للعوام لا وإلا اتهموه بشتى التهم التي

نرمى بها من قديم مثل التطرف والإرهاب والتشدد والتزمت والتخلف والرجوع إلى القرون الوسطى وهذا الكلام الذي دائماً نرمى به منذ أول يوم .

فهنا ابن الجوزي يقول: أما علم هؤلاء الذين يتفلسفون أنه يُغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يُغفر للعالم ذنب واحد ، طبعاً هذا ورد حديثاً مرفوعاً إلى النبي ﷺ لكنه حديث منكر باطل لا يصح ، وإنما ورد هذا كما في حلية الأولياء لأبي نُعيم الأصفهاني من كلام الفضيل بن عياض ، وطبعاً مسألة يُغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يُغفر للعالم ذنب واحد هذا لا يستطيع أحد أن يجزم به لأن هذا من الغيب ، لكن الذين قالوه قصدوا معنى آخر بخلاف الكلام على الغيب والكلام عن الجاهل والعالم في الآخرة وربما أخذوه من عمومات أحاديث ، لأن لفظة السبعين تطلق على الكثرة وكانت عند العرب تطلق على الكثرة لا يقصد بها السبعين العدد السبعين ، ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ (التوبة: ٨٠) ، فلو استغفر واحد وسبعين مثلاً أو اثنين وسبعين .

ليس المقصود هو حقيقة السبعين لكن العرب كان عندهم لفظة السبعين ومضاعفاتها هذه تدل على الكثرة التي لا حد لها ، ويمكن أخذوها من القراءان سبعة أراضين وسبع سماوات ولفظ السبع حتى كان معروفاً عند العرب ، السبعة والسبعين والسبعمئة والسبعة آلاف وغير ذلك كل هذا كان لا يُقصد به حقيقة الرقم .

فهنا كلام الفضيل بن عياض نأخذه من الوجه الآخر الذي أخذه من عمومات الأحاديث ألا وهو أ، من عرف الحجة وخالفها أعظم ممن الجاهل بها ، لأن ذنب المخالف أعظم من ذنب المقصر ، هو وزنها هكذا وهو صحيح ، المخال فارتكب أكثر من شيء والمقصر ارتكب شيء واحد قصر لأنه لم يسأل عن الحق في المسألة وربما سأل شبيه العالم مثلاً وربما سأل من ينسب أو قال للناس أريد أحد يفتيني في المسألة الفلانية فدلوه على مقيم شعائر في مسجد ، لأن فيه بعض الناس يذهبون إلى مقيمي الشعائر وليس الأئمة الذين يصلون ويسألوهم عن المسائل في الطلاق فتخيل مقيم شعائر لا يعرف إلا أن يقيم الأذان فقط ، ثم هو عار عن ذلك فيذهب

إليه ويسأله مسألة في الطلاق صعبة لو سئل فيها أكبر العلماء ربما قال له دعني أو سل غيري إلى آخره ، فهذا قصر إما قصر في معرفة من هو العالم ليسأل عنه وإما قصر في السؤال رأساً ، هذا أقل جرماً من الذي عرف الحق وخالفه .

اليهود كما في حديث عدي بن حاتم لما قال النبي **ﷺ**: « **المغضوب عليهم** » لأنهم عرفوا وغيروا وبدلوا ، بخلاف النصارى وهما الاثنان على قدم واحدة لكننا لما نزن الذي ابتدع في هذه الجزئية ، هم الاثنان خارجين عن ملة الإسلام ومأواهم ومثواهم معروف ، أي واحد لا يدين بدين الإسلام ويموت على هذا فهو من أهل النار قطعاً ، وهذا شيء ليس فيه فصال والذي يفاصل فيها يلتحق بهم ، لأننا أصبحنا في زمان كله ينافق حتى في العقائد نفسها ، حتى لفظ الكافر يردون أن يلغوه ويسموه الآخر كما أنت تقرئون في الجرائد يقول الآخر والتعامل مع الآخر ، ونحن نريد أن نعرف من هو الآخر هذا ، توصيفه شرعاً ، وعندنا سورة في القرآن اسمها سورة الكافرون ، وإن الذين كفروا ترددت في القرآن مثل إن الذين آمنوا ، وعندنا نصوص قاطعة ﴿ **وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ (آل عمران: ٨٥) ، ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** ﴾ (آل عمران: ١٩) فلا يوجد فصال في هذه المسألة .

لكن أنا أتكلم من جهة أخرى غير الكفر الإتياع وجحد الحق كلاهما شر ولكن أيهما أشر ؟ جحد الحق ، ولذلك كان النصارى ضالين وكان اليهود مغضوباً عليهم وطبعاً المغضوب عليهم أشد من الضال في هذه الجزئية ، فهذا الذي يقول أن الفضيل بن عياض يقول: (يُغْفَرُ لِلْجَاهِلِ سَبْعُونَ ذَنْبًا لِأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ بِخِلَافِ الْعَالَمِ) ، وعندنا حديث أسامة بن زيد في الصحيحين ، قال: « **يُؤْتَى بِالْعَالَمِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ** » ، وهنا العالم الذي هو أشار إليه ابن الجوزي الذي يعلم الأحكام الشرعية ، يعرف مفردات العلم ولكن لم يعرف حقيقة العلم ، تكلمه في الفقه لا تباريه ، تكلمه في أي علم من العلوم تجده بطل ، العلوم كلها التي في الدنيا إذا لم تهدي إلى الله فلا ينبغي أن تسمى علوماً إنما تسمى صناعات ، وانتبه إلى هذا الكلام لما

نأتي ونقول علم الطب ليس اسمه علم لكن اسمه صناعة الطب فيكون الطبيب صناعي والمهندس صناعي الميكانيكي صناعي ولا أسميه عالم ، لأن العلم إذا أطلق المقصود به العلم الذي يهدي إلى الله أيا كان علم شرعي أو علم دنيوي ، اليوم يوم أن يتدين الطبيب بعلمه ويزداد إيماناً بمعرفة خصائص الأجسام والخلايا وغير هذا فيسبح الله Y ويتزهره ويحمله هذا على المزيد من بذل الجهد في الطاعة فهذا يسمى علم . لكي تكون الدنيا واضحة في التقسيم . علم الشريعة واحد دارس أصول فقه وأستاذ الدنيا في أصول الفقه ثم يأتي بالشيخة ويشربها ويمشي مع الجماعة إياهم وغير ذلك أو لا يصلي وأنت ممكن تتعجب كيف لواحد أستاذ لأصول الفقه ولا يصلي ، الذهبي نقل في الميزان عن ترجمة بعض العلماء لا أسميه وله كتاب من أشهر كتب أصول الفقه ولا يوجد واحد درس أصول الفقه ولا يمر على هذا الكتاب بل لا بد أن يمر عليه ، لأنه عمدة في هذا الباب ، ناس قالوا أنه لا يصلي فكيف عرفوا ذلك ؟ جعلوه نائم ووضعوا حبر على باطن رجله وهو نائم في العادة أن الحبر لما يوضع على بطن الرجل ثم تغسل رجلك إما أن يضيع أو أن يبهت ، لونه يخف أو غير ذلك ، فجاءوا بعد ثلاثة أيام ووجدوا الحبر كما هو .

ولذلك الذهبي قال: كان لا يصلي هذه أنا لا أفهمها ، لا أستطيع أن أفهم واحد أستاذ كبير في أصول الفقه وكتابه عمدة يدور الأصوليون حوله ولا يصلي مثلاً ، أو واحد مثلاً لم يسلك سبيل النبي P والصحابة والتابعين الثلاث قرون الأول فيما يتعلق بالمنهج مثلاً ، فهو كل علم يهدي إلى الله Y فهو العلم ، وكل علم لا يهدي إلى الله Y اسمه صناعة يكون هذا صناعي ، فيه من المشتغلين بالحديث ويمكن أنتم سمعتموني أفرق بين المشتغل بالحديث وبين صاحب الحديث ، فيه ناس في كافة الأزمان مشتغلين بالحديث وفي نفس الوقت يسجدون للأضرحة ، وفي الحديث يشتغل شغل جيد ، يأتي بالطرق ويعلل ويصحح ويضعف ويجرح ويعدل وغير ذلك ويتكلم كأحسن ما أنت رائٍ ، هذه اسمها صناعة ، وأنا على استعداد أعطيك الصناعة هذه أين كان فهمك أو أين كانت وظيفتك ، ممكن أجعلك مشتغل بالحديث جيد وأعلمك

كيفية الطريقة وأعطيك المفتاح ، وفيه كثير من المحققين الذين حققوا كتب الحديث ناس أطباء ومهندسين وناس أصحاب كليات ليس واحد منهم درس كلية شرعية ، لكن أتي مثلاً حضر محاضرات مثل هنا أو محاضرات عند بعض المشايخ الآخرين أو اجتهد وقرأ في علم الحديث وقرأ في المخطوطات وبدأ يخرج مخطوطات ويتكلم في علم الحديث .

وفي المقابل كثير من الناشرين لا علاقة لهم بالكتاب ، كان تاجر خردة قال: الكتاب الإسلامي يكسب ندور المال في الكتاب هو والخردة واحد بالنسبة له ، طالما أنك ستدور رأس المال سيأتي لك ربح سيكون جيد ، وكانت أتت فترة الكتاب الإسلامي كان فيها في السماء ، أي شيء مكتوب عليه شيء يتعلق بالإسلام بالأخص فيما يتعلق بالحديث والكلام في الحديث والأجزاء الحديثية وغير ذلك ، كل هذا أتت فترة من الفترات كان الذي يشتغل بالحديث هذا ، أنا أعرف واحد كان شغال في شركة وكان مرتبه إلى حد ما معقول ، وبعد ذلك قال لي: أنا أريد أن أتعلم علم الحديث ، قلت له: تعالى في خلال ثلاثة أشهر تعلم علم الحديث وحقق كتاباً وذهب باعه واشترى سيارة ، أي في خلال ثلاثة أشهر تعلم العلم وذهب عمل كتاب وأعطاه ، والكتاب كان كتاب صغير حوالي ثلاثة أو أربع ملازم، فأنا أريد أن أقول لك: أنظر إلى أين وصلت المسألة ؟ ، فتاجر الخردة لأنه لا يفهم في الكتاب فيعده بالملزمة ، يقول لك: ملزمتك مثلاً بمائة جنية ، أنا كتاب مخطوط لدي عبارة عن عشر ورقات لو أنا سأخرجه سأخرجه في حدود مثلاً مائة صفحة ، الثاني يخرج في مجلدين كل مجلد خمسمائة صفحة ، كيف كبره بهذه الطريقة ؟ ، لا يترك شيء، فيأتي مثلاً إسناد أمامه ، حدثنا الحميدي قال: حدثنا سفيان بن عيينة قال: حدثنا يحيى الأنصاري قال: حدثنا محمد بن إبراهيم التيمي قال: حدثنا علقمة بن وقاص الليثي قال: حدثنا عمر بن الخطاب τ أن النبي ρ قال: « **إنما الأعمال بالنيات** » ، الحديث المعروف .

فيقول: حدثنا الحميدي يكتب واحد ويتزل تحت وينقل لي ترجمة الحميدي من تهذيب التهذيب ، ترجمة الحميدي في تهذيب التهذيب ثلاثة أربع صفحات والناشر ذكرت لك تاجر

خردة فلا هو يعرف الحميدي ولا يعرف تهذيب التهذيب ولا يعلم أي شيء هو يقيس بالشبر ، أنت يا بني البزار من ستة عشر صفحة نرى كتابك بعد ما تصفى أصبح كم صفحة ونقسمه على ستة عشر ويكون المجلد بمقدار هكذا ، فأنا لما أكون شغال بالنظام هذا كل ما يمر على الحميدي أتي بترجمته من تهذيب التهذيب ، يمر عليه سفيان بن عيينة سفيان بن عيينة هذا ترجمته حوالي ستة عشر صفحة ويحيى الأنصاري قريب منه ، وعلقمة بن وقاص ، عمر هذا واحد فعل ثلاثة مجلدات في مناقب عمر ، يوسف بن عبد الهادي فصل الخطاب في ترجمة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .

ولو مر حديث فيه سعد بن أبي وقاص يوسف بن عبد الهادي أيضاً له كتاب اسمه: سبيل الخلاص إلى ترجمة سعد بن أبي وقاص مجلد كبير ، فلو هو لخص المجلد مثلاً في حوالي مثلاً ستين صفحة أو سبعين صفحة ، أنظر كل صحابي عندما تعطي له حقه في الترجمة بالأخص لو كان مشهوراً وغير ذلك ، فيكون الكتاب الذي هو عشر ورقات هذا أصبح بقدرة القادر مجلدين كل مجلد خمسمائة صفحة الرجل هذا سيأتي بشيفرولية أم لا ؟ وممكن يشتري شقة تمليك في خلال مثلاً ثلاثة أو أربع شهور أو غير ذلك ، لماذا ؟ ، لأن الذي مثل هذا يشغل ناس معه بالباطل كل حاجة تعطي ، ولم يعد أحد الآن يكتب لكي يتعب ، قص والزق اشتري ماكينة تصوير وهل ستكتب ترجمة عمر بن الخطاب ستين صفحة ؟ ، يدك تؤملك فنحن في زمان السرعة مشغولون لكي نكتب ونلخص وغير ذلك أأتي بأي كتاب قص والزق قص والزق قص والصق وأرسله مكتب صف وأرسله للناشر مصفوف ، فالناشر لا يعلم ماذا فعلت ؟ لو أرسلته له قص ولزق يقول لك: ما الذي فعلته تقص من الكتب وتلصق ؟ فسيكشف نفسه ، فيرفض أن يرسل للناشر قص والزق إنما يرسله لمكتب صف يصفه ويذهب للناشر مصفوف هذا الجماعة الذين درس طرفاً من الحديث ويريد أن يسترزق فيشتغل ، أنظر المسألة كم أصبحت بسيطة وسهلة وأرجو أنه لا يوجد أحد يفعل هكذا ، أنا لا أقول هكذا لكي أفشي الموضوع وتعلموا القصة .

لكن أريك ترى المأساة التي كنا نعاني منها أشد المعاناة وعندما جاء في بيروت أول ما نشر كتاب الكامل لابن عدي هذا أنا اشتريته في أول يوم زواج لي ، يوم زواجي كنت شاري كتاب الكامل لابن عدي وكان يعتبر هذا الغنيمة الباردة ، حتى كاتب على الكتاب نفسه يوم الشراء وثنه لأن كان ثمنه مائة جنية ، سبع مجلدات ومجلد فهارس يكونوا ثمانية مائة جنية ، كتاب الكامل لابن عدي هذا لا يوجد مشتغل بالحديث يستغني عنه ، بالأخص عن الذي يبحث عن الأحاديث المنكرة والضعيفة والموضوعة وغير ذلك ، الكامل لابن عدي هذا ملك بمفرده ، أبحث عن المحقق يقول لك: تحقيق لجنة من العلماء بإشراف الناشر ، الناشر هذا أنا كنت أنشر عنده كتي قبل ذلك وتركته ، لأن الذي يصحح تجارب الطبع بنات لأنها عمالة أرخص ، المفروض الذي يصحح الكتب يكون أهل العلم الكبار ، من سيهتدي إلى الخطأ ؟ عالم ، بالأخص في علم الحديث لأجل التصحيح الموجود في الأسانيد ممكن يقع .

أي عنتر احذف النقط ضع نقط من أين ما تحب وانطق مكن تكون غنثر ، ممكن تكون عبشر ، ممكن تكون مثلاً غنتر ، أي شيء ضع النقط في أي مكان سيخرج لك كلمة جديدة ، التصحيح في علم الحديث من السوس على الفور بالنسبة للخشب ، والتصحيح وارد والعلماء صنفوا كتباً في التصحيح من أجل أن يتحاشوا التصحيح في الأسانيد لأن ممكن يكون واحد ثقة والآخر ضعيف والفرق بينهم حرف الياء ، مثل ما في عبيد الله بن عمر وعبد الله بن عمر هؤلاء من ذرية عمر بن الخطاب لكن متأخرين هؤلاء من طبقة مالك ، عبيد الله بن عمر العمري ثقة ثبت أخوه عبد الله بن عمر المكبر ضعيف ، فتخيل لو جعلت عبيد الله مكان عبد الله أو العكس ، أين ستضع الإسناد ؟ إما أن تصححه أو تضعفه ، وأنا عنتر أول ما بدأت بها الكلام هذا أخذ مني ليلة كاملة عنتر بن القاسم عن الأعمش ، أقول: يا ربي أنا عمري ما قابلت في الرواة عنتر هذا ، لكن لا أستطيع أن أقول لا يوجد عنتر ، هل أنا أخطت بكل شيء علما ؟ جلست أبحث في كل الكتب التي عندي ، لم أستطع إطلاقاً أن أقف على الصواب .

و كنت في بدايات الطلب أيضاً الآن لو أنا وجدتها أصححها من ذهني على الفور ، لماذا ؟ ،
لأنه مر عليه مئات المرات لكن أنا كنت حديث عهد بالطلب ولا أعلم ، المهم وجدتها في
الآخر عبثر بن القاسم هذا احد الرواة عن الأعمش ، كم واحد مثلي على وجه الكرة
الأرضية ضيع ليلة كاملة من أجل نقطة ؟ أليس من الجائز أن يكون فيه ناس أيضاً وقعوا نفس
وقعتي وجلس يبحث عن عنتر لم يجده وجلس يبحث في كل كتب الرجال ، كم ساعة ممكن
نكون ضيعناها من أجل واحد جاهل يحقق كتاب من كتب الحديث ؟ ، هذه المصيبة من هنا
هذا غير المصيبة الأكبر وهى أنك ممكن تجعل الضعيف إلى آخره .

فأنا أريد أن أقول: التقت حلقة بطان أتت مع بعضها واحد جاهل أرزقي يريد أن يسترزق
و واحد تاجر خردة أصبح ناشر علم ، هذا المستوى الأدنى ، أنظر إلى المستوى الأعلى من
هكذا أن يكون عالم ولكنه مبتدع وبدعته قبيحة ولكنه ضبط علم الحديث ضبطاً صحيحاً
بحيث أنك كما يقال: تخلع له القبة عندما ترى تحقيق حديث ما ، فهذه ما اسمها ، ما اسم
هذا في العلم ؟ اسمه صنايعي ليس اسمه عالم ، تخريج الحديث هذا صناعة ، إذا أنا اهتديت بهذا
التخريج إلى قرب من الله I وزادني عبادة وزادني محبة لله يكون هذا الذي اسمه العلم ، لكي
تفهموا الحديث « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » ، الفقه هو أصل العلم ، وليس الفقه
هو معرفة الجزئيات حلال حرام إلى آخره ، لا ، « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » .

حديث أسامة بن زيد الذي كنا شردنا عنه في القصة الطويلة هذه « يؤتى بالعالم فيلقى في
النار » ، من هو العالم ؟ الصنايعي أنا خرجت وشردت كثير جداً لكي أبين الفرق بين العالم
والصنايعي ، « يؤتى بالعالم » ، من هو ؟ الصنايعي ليس العالم بمعنى كلمة ، عالم عالم يعني
يهديه إلى الله وهو العلم الذي ابن الجوزي وصفه الآن وسنأتي عليه « فيلقى في النار فتندلق
أقطابه من دبره » أمعاه تنزل من الخلف « ويدور حولها كما يدور الحمار في الرحى ،
فيجتمع عليه أهل النار يقولون: يا فلان ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ ، قال:
نعم ، كنت آمركم بالمعروف ولا آتية وأنهاكم عن المنكر وآتية » ، هذا الذي أعلمنا أنه

صناعي والناس كلها تتصور أنه عالم ، فأسقط الناس في شراكه ، كم من الناس أضله هذا الإنسان ؟ ، في دمشق منذ وقت قريب هو الرجل المفتي هذا مات أصبح له حوالي خمسة عشر عشرين سنة وظل مفتياً تقريباً خمسة وأربعين ، خمسين سنة ، والذي جاء بعده لا يفرق عنه قريب منه .

هذا لما وجد الناس تتعامل بالربا أحب أن يخلص الناس من الإثم ، ماذا فعل ؟ ، قال: لما تقرض المائة جنية بمائة وعشرة هذه ربا ، أي ولد يسير في الطريق تسأله المائة بمائة وعشرة يا بني ، ما هذا ؟ يقول لك: ربا ، قال: أنا لدي فكرة سأخلصكم من الإثم هذا ، ما هي فكرتك ؟ ، قال: عندما تأتي تقترض من واحد تقول: لله عليه أن أعطيه عن كل مائة عشرة فصار نذراً واجب الأداء ، إذا لم تعطيه فوق المائة عشرة تأثم ، تخيل وصل الضلال الممين أن يجعل الحرام الخالص واجباً أو فرضاً بحيث أنك إذا لم تفعله تعذب ، أنظر ما الذي فعله هذا ؟ ، فيجعله نذراً والنذر واجب الأداء خلاص ، من من شياطين الإنس أو الجن ممكن يخطر على باله الكلام هذا ؟ ، من الذي لديه قلب وقرأ القرآن مرة واحدة فقط أو علق بذهنه آية من كتاب الله Y فيها ذكر الجنة والنار ممكن أدخل الناس كلها الجنة وأدخل أنا النار ، أنت تُسلك هذا لمن ؟ ربنا - تبارك وتعالى - ، قال: ﴿يُصَرِّوْنَهُمْ يَوْمَذِي الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بَنِيهِ﴾ (المعارج: ١١) أغلى شيء لديه ثمرة فؤاده يقول: يا رب أدخل أولادي النار لكن أنا لا .

لكن الأولاد لا يكفوا لا يكفوا ﴿وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ﴾ (المعارج: ١٢) ، خذ زوجتي وأخي يدخلوا النار لكن أنا لا أدخل ، لكن لا يكفوا ﴿وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾ (المعارج: ١٣) خذ القبيلة لكن أنا لا أدخل هذا لا يكفي أيضاً ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ (المعارج: ١٤) ، قال الله Y له: كلا ، لما يكون واحد وصل به الحال أنه يدخل أهل الأرض جميعاً النار لينجو هو ، ما الذي يجعله وهو حي يفعل العمل الأسود هذا ويذهب يستمتع الذي أخذ الربا وأخذ القرض وأخذها من عالم وخرج سالم يظن أنه يخرج سالماً ويدخل هو النار ؟ ، هذا محمد بن عجلان - رحمه الله - أحد رواة الحديث من شيوخ مالك ، لما كان

يسأل في الطلاق كان يرفض أن يفتي ، لماذا ؟ خشية الخطأ أن يخطئ في طلبة من الطلقات ، يقول: يرجع فيستمع بامرأته وأحملها أنا ، أنا لما أرجع له زوجته ، وفيه بعض الناس هكذا بكل أسف في لجنة الفتوى في السنوات الأخيرة حدث نوع من التساهل الشديد ، كنت أنا قديمًا من عشرين سنة كنت عندما يأتي لي واحد في طلبة ثالثة لا أفتي في الطلبة الثالثة إطلاقًا ، أحيله للجنة الفتوى ، فكان يذهب الرجل للجنة الفتوى ويرجع لي مرة أخرى ، ماذا قالوا لك ؟ ، يقول: قالوا لي: كذا كذا وأنا لا أستريح أريد فتواك أنت ، أقول له: أذهب للشيخ فلان مثلًا ممن أثق به وإذا قال لك خذ فتواه .

لكن الشاهد كل واحد من الذين يذهبوا لجنة الفتوى لابد أن يرجع لي مرة أخرى ، وفيه ناس يقولوا: لن أذهب لن أذهب أصلًا ، لماذا ؟ لا يكادون يوقعون طلاقًا والطلاق واضح أي بني آدم قارئ في الفقه قراءة بسيطة جدًا الطلاق واضح ، ما الذي يجعله يتساهل هكذا ؟ يذهبوا ييكونا هناك ، المرأة تبكي والرجل يبكي ولدينا أولاد وسيتشردون ولدي ولد معوق وولد كذا وغير ذلك فيتأثر المفتي بالمسألة هذه وبعد ذلك يحاول أن يبحث له عن مخرج ، هل المسألة مسألة إيجاد مخرج أم مسألة معرفة حكم الله في القضية ؟ ، فيصعب عليه فيقول له: خلاص يعني أنت كنت يعني وبعد ذلك يعطي له الجواب لكي يرجعه له ، أي كنت مثلًا ناوي ومتأكد مائة في المائة أنك تريد أن تطلق ؟ ، يقول له: لا ، مائة في المائة لا يا عم الشيخ ، مثلًا لو خمسة وتسعين في المائة لا تنفع ؟ يقول له: مائة في المائة يا عم الشيخ لا مائة في المائة لا بصراحة ، هل أنت كنت ناوي تستغنى عن بيتك وتهدمه وتشرد أولادك ؟ كيف أشرد أولادي ، أنا شغال وردية أولى وثانية وشغال لكي أأكلهم وأشربهم وأكسيهم أتي على آخر الزمن وشمس حياتي تميل إلى الغروب وسأموت أتي وأشرد أولادي على آخر الزمن وغير ذلك .

يعني يا بني لا كنت تقصد تشرد أولادك ، ولا تقصد تستغنى عن زوجتك ، ولا تقصد تهدم بيتك ؟ يقول له: أبدًا يا مولانا إطلاقًا ولا خطر ببالي الكلام هذا ، كيف أهدم بيتي هل أنا

مجنون لكي أهدم بيتي ؟ ، الشقة اشتريتها بمال كثير وتغربت وذهبت للخليج وأتيت من الخليج وغير ذلك ، أنا ليس لي علاقة بالفيلم هذا كله ولا القصة هذه أنا لي علاقة بالصيغة التي قالها ، لا تقول لي: أولاد ولا تقول الكلام هذا ، ماذا قلت لها ؟ قال لها: أنت طالق ، خلاص أنت طالق يقع الطلاق على الفور ، متى لا يقع الطلاق مع صراحة اللفظ ؟ عندما تكون النية أجنبية عن القلب كيف ؟ واحد أراد أن يقول لزوجته فعلاً اخرجي الآن ليس هناك داعي أن نتكلم فسبق لسانه وقال: أنت طالق ، وما قصد طلاقاً قط ولم يخطر على باله إطلاقاً أن يطلق ، لأن كلمة أنت طالق كلمة طالق هذه ليس لها غير معنى واحد معنى شرعي ضيق ، قبل الإسلام لم يكن فيه أنت طالق قبل الإسلام كان الرجل يتزوج بالمائة واحدة ، وعندما جاء الإسلام وحدد بأربعة ، أي واحد يختار أربعة من المجموعة الذين معه ويسرح الباقي ، لكن كلمة طالق هذا لفظ إسلامي خالص وضيق بحيث لا يسمح لمعنى آخر أن يشاركه في هذا اللفظ .

أي أنت طالق أم علي الطلاق أيهما أوسع من الأخرى ؟ علي الطلاق ، لماذا أوسعها ؟ ممكن يقصد يقول: عليه الطلاق ويقصد يطلق أيضاً ، يقصد يطلق أنت لو قلت له: ماذا تقصد ؟ قال: أقصد أطلق زوجتي ، لكن قبل أن نقول يقصد ، أنا أرى سعة اللفظين أنتم قلتم علي الطلاق أوسع ، لماذا أوسع ؟ لاحتمال أن يقصد بها اليمين ، أليس كذلك ؟ بدل من أن يحلف بالله العظيم يقول: علي الطلاق بالثلاثة الجاموسة هذه بعشرة آلاف ، هو لا يقصد زوجته ولا خطر بباله زوجته ولا أنه يطلق ولا ولا إلى آخره إطلاقاً هو يقصد يحلف ويؤكد على أساس أن الحلف بالطلاق أكد من الحلف بالله ، نعم قال لك سيحلف ، قال: أتى لك الفرع فيه ناس لا يعظمون الله ، لكن فيه ناس ، يقولوا لك: ليس من ممكن أن يهدم بيته هؤلاء أصحاب العاجلة الذين لا ينظرون للآخرة ينظرون للدنيا يهدم بيته لأجل ماذا ؟ فلكي يؤكد إن أنا صادق فيحلف بالطلاق أنا ليس من الممكن أن أطلق زوجتي وأشرد أولادي فيرى أن هذا أكد .

إذاً علي الطلاق لفظ أوسع ، لماذا ؟ لأنه يحتمل معنى آخر مع الطلاق ، لكن رجل قال لامرأته: أنت طالق ، ما المعنى الذي ممكن أن أضعه مع المعنى هذا ؟ لا أجد ، إذا المحل أضيق من أن يشتمل على معنى آخر غير معنى الطلاق وهو فسخ الرابطة الزوجية أو فسخ الرابطة الزوجية ما بين رجل وامرأة ، فلما يقول لها: أنت طالق ، ويقول: أنا لساني سبقي وما قصدت إطلاقاً أن أطلق ، بل أردت أن أقول أخرجي من أمامي فانقلب لساني عليه ، الحالة التي مثل هذه أقول له: طلاقك لم يقع ، لماذا ؟ لأن القلب أجني عن الكلمة ، مثل الرجل الذي قال: اللهم أنتي عبدي وأنا ربك ، قال p: «أخطأ من شدة الفرح» ، هل هذا كفر الذي قال: أنت عبدي وأنا ربك ؟ ، لو قصد أن يقولها ؟ كفر على الفور ، لماذا لم يكفر ؟ لأن قلبه أجني عن المعنى أخطأ من شدة الفرح .

لو أن رجلاً وقف في المحراب وتعمد أن يدخل آيات من سورة على سورة مثلاً ، أو آية واحدة يضم إليها نصف آية شبيهة بها من سورة ثانية متعمداً ، هل هذا الحـد في كلام الله أم لا ؟ الحـد في كلام الله ، الإمام الذي يقف في القبلة ويخطئ ونرده ، هل ممكن أن نكفره ؟ لا نستطيع أن نكفره مع أنه فعل مثل الذي فعله صاحبنا لكن الفرق أن هذا الفعل أجني عن القلب فحدث تساهل شديد جداً في لجنة الفتوى فيأتي يقول لي: أنا لست مستريح أفنتي أنت حتى لو طلقت زوجتي لكن أنت لابد أن تفتيني .

محمد بن عجلان يقول: أنا لست من الممكن أن أرجع واحد لواحدة وأخطئ في المسألة هذه ويذهب يستمتع بها وغير ذلك ، فكان لا يريد أن يفتي في مسائل الطلاق ، لماذا ؟ ، لأنها مسائل خطيرة ينبي عليها ، فأنت الآن عندما تأتي تقول: لله علي كل مائة جنية قرضاً أعطي له عشرة جنيات فوقها فحولتها إلى نذر هذا شغل شياطين ، مثل الذي يقول لك مثلاً: الجماعة الذين يخلقون لحاهم ممكن نخرجهم من الورطة هذه على أساس إن إطلاق اللحية واجب فرض لازم إعفاء اللحية ، وخلاص أمن الدولة وقعت لا يوجد أحد له حجة أنا أقول لكم لكي لا أحد يقول لي: أصل هم أوقفوني وفعلوا لي ملف وأنزلوني في الكمين وغير ذلك

، لكن أنت تأخرت عن هؤلاء الذين صبروا وجاهدوا وثبتوا هذه السنة ، لأن لو افترضنا جدلاً في أوائل السبعينيات أول ما بدأت اللحى تظهر وغير ذلك كل واحد يأخذ علقه يخلق لحيته ، هل أنت كان ممكن ترى لحى .

ما الذي أغرى الذي جاء بعد ذلك أنه يلتحي ويصبر ؟ أنه وجد رجلاً تقدمه كان صابراً على هذا ، لولا أنه وجد أسوة فيمن تقدم ما استطاع أن يفعل ، مثل الأخت المنتقبة أول واحدة منتقبة انتقبت في أي بلد من البلدان في أي حي من الأحياء ، كانوا دائماً يستهزئوا بها وغير ذلك يقول لك: يا ترى تسير بظهرها أو تسير بوجهها والذي يعلم يأخذ جائزة ، ويقفوا في البالونات كلها البالونات تمتلئ بالناس لكي ترى الخلق الغريب الذي يسير هذا ، الاستهزاء الذي أخذته المرأة هذه تساوي واحدة انتقبت اليوم ؟ ، ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ

الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾ (الحديد: ١٠) الذين صبروا وصمدوا وإلى آخره هذا كله إذا احتسبوا هذا لله - تبارك وتعالى - يكون للمتأخرين عنهم الذين إلتسوا بهم أجر في هذه القضية ، فأنت لم يعد لك حجة الآن أن تعفي لحيتك .

فبعض الناس قال: نحن نريد أن نخلص الجماعة الذين يخلقون لحاهم من الإثم ، ماذا نفعل ؟ ، قال: فعل الأمر فاعل ممكن يكون للوجوب ممكن يكون للاستحباب فلا مانع أن نحمله على الاستحباب على قول بعض العلماء يكونوا هكذا خرجوا من الورطة ، هل هو بمزاجك ؟ عندما يكون فيه ثلاثة أقوال تأخذ أضعف قول من الثلاثة أقوال وتقول: قال به عالم وتفتي به وتؤسس القصة هذه عليه ، لا ، إذا أنت فعلت القضية هذه ولم تتحرى الحق فيها ولم تبذل الوسع فيها ، كل الذين يخلقون لحاهم بناءً على فتواك في ميزان سيئاتك ، وماذا الذي أنت فعلته لكي تفعل هذا ؟ يكون كل هؤلاء يدخلون في باب الصنایعي لا يدخلون في باب العلم على الحقيقة .

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم

انتهى الدرس الخامس أحتكم أم محمد الظن.

بسم الله الرحمن الرحيم

(مدرسة الحياة - حقيقة العلم النافع)

الدرس [٦]

أبي إسحاق الحويني

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعين به ونستغفره ونعوذ بالله من شرر أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله تعالى فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد .

فهذا هو الدرس السادس في شرح هذه الخاطرة من كتاب صيد الخاطر لابن الجوزي - رحمه الله تعالى - والتي عنونها بـ (حقيقة العلم النافع) ، وكنا انتهينا في المرة الماضية عند التفريق بين العالم والصناعي ، والصناعي هو شبيه العالم تتذكرون في أول حلقة عندما تكلمنا عن حديث أبي سعيد الخدري ؓ مرفوعاً إلى النبي ﷺ في الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً ، قلنا: أن أكثر الناس لا يفرقون بيت العالم وشبيه العالم ، هذه ناحية ، والناحية الأخرى هو الفرق بين العالم والصناعي ، لأن ممكن يكون الناس لا يفرقون بين الزاهد وبين العالم حقاً ،

الزاهد ليس صنايعي إنما رجل توجه إلى الله Y بقلبه وبكليته هذا لا نستطيع أن ندخله في فئة الصنائية أصحاب الورش .

فيكون كلام الفضيل بن عياض (يُغفر للجاهل سبعون ذنبًا في مقابل العالم الذي علم الحق وغيره) هؤلاء هم الذين بدلوا كلام الله ، هؤلاء يردون إلى أشد العذاب كما في حديث أسامة وكما في آيات أخرى كثيرة ، ثم ذكر طائفة أخرى من هؤلاء أو ممكن نجعلها نفس الطائفة .

قال: (ورأيت بعض القوم يقول: أنا ألقيت منجلي بين الحصادين ونمت ، ثم كان يتفصح في أشياء) يريد أن يقول: أنه أغتر بعمله فاعتمد على سابق عبادته أو علمه أو بذله أو فتواه ، ما معنى أن يلقي بالمنجل ؟ ، المنجل أنتم تعرفوه الذي نقطع به الزرع ومشتقاته مثل الشرشرة وغير ذلك، فيقول: أنا ألقيت منجلي بين الحصادين الجماعة الذين يحصدوا يجدوا ويجهلوا في الحصاد ، هو ما الذي فعله ؟ ألقى المنجل والمنجل يعمل أو توماتك بمفرده هكذا ، فهو كأنما اعتمد على سابقته وظن أنه يُغفر له بسبب ما بذله قديمًا ، واحد مثلاً في بلد ليس فيها سنة تعلم العلم وذهب وعلم الناس وإلى آخره حتى أصبح له شأن كبير ، وتجد البلد ممتلئة من تلامذته ويذكر بالتبجيل والتوقير والاحترام وإلى آخره .

ثم فتر أو قال: أنا يكفيني ما فعلت البلد كل الطلبة هؤلاء تلامذتي ما من حرف يهتدي به إنسان على يد تلميذ لي إلا وأنا أقاسمه في الأجر ، أنا الذي فتقت لسانه بذكر الله وأنا الذي علمته ، كيف يتكلم ؟ ولم يكن ملتزمًا الذي ألزمته المحجة البيضاء وإلى آخره أي نفسه تمنيه بهذا ، هذا يتفصح في أشياء أي كفاية فعلنا بما فيه الكفاية خلاص نأخذ بالرخص وهي زلات العلماء أخف شيء ، هذا وصل الأمر ببعض المفتين في الأزمنة السابقة أنه كان يخير العوام أن يختار الفتوى التي تلاؤمه من أقوال العلماء أنظر المسألة تدنت إلى هذا الحد أيضًا نحن كنا نشن الغارة في المحاضرات السابقة على الصنايعي أو شبيه العالم الذي يختار أضعف الأقوال

وفيتي بها ، لا ، نحن لدينا درجات أدنى من هذه وهى أن يعرض الأقوال كلها على العامي ، ويقول له: ما الذي يلاؤمك من هذه الفتاوى ؟ .

يقول له: أنا يلائمني كذا أو كذا ، حتى العامي الجاهل جعله يختار ويستغل إن العالم الفلاني له قول في المسألة أو له قولان في المسألة أو ثلاثة أو أربعة ، مثل أحمد مثلاً ، الإمام أحمد له أكثر من أشهر الأئمة الأربعة في تعداد أقواله يكون له في المسألة قولين وثلاثة وأربعة وأحياناً خمسة في المسألة الواحدة ، الشافعي مثلاً له قولان: القوم القديم والقول الجديد ، القول القديم لما كان في العراق ، والجديد عندما جاء إلى مصر واستوت ملكته ومذهبه المعتمد هو المذهب الجديد الذي أسسه عندما دخل مصر إنما في العراق هناك كان الشافعي أحياناً قد يتبع مثلاً فتاوى بعض علماء العراق أو غير ذلك ثم تبين له بعدما تبهر في الحديث وغير ذلك أن هذا يخالف حديثاً صحيحاً أو إن دلالته ضعيفة في مقابل دلالة أقوى إلى آخره ، فغير بعض كثيراً من مذهبه القديم واعتمد المذهب الجديد ، فيقول: العلماء هم لهم أقوال والذي قالها عالم واحد فأنت عندما تختار قول للعالم ، القول الثاني الذي اخترته لنفس العالم ، فنقول: فيه إشكالية وهى بقاء الجواب مع ذهاب السؤال والحالة .

القول الأول: أنا لا أدري من الذي سأل الإمام فيه ؟ ، وكيف سألته حتى قال له يجوز ؟ ، ولما قال: لا يجوز لا أدري ما السؤال الذي وجهه إلى الإمام عندما قال: لا يجوز ؟ ، ومن الذي سألته ؟ ، الفتوى تتغير إذا رأيت عالماً له أكثر من فتوى متناقضة فاحملها على تعدد السؤال واختلافه ، واختلاف أحوال السائلين أيضاً ، وهذه مسألة معروفة جداً لدى العلماء أنني قد أجاز لرجل شيئاً وأحرمه على آخر متلبس بنفس المسألة ، مثل ابن عباس جاء له شاب فسأله عن القبلة في الصيام فلم يجزها له ، فجاء شيخ كبير فسأله عن القبلة في الصيام فأجاز ذلك ، ابن عباس راعى الفرق بين شهوة الشاب وبين شهوة الشيخ ، أي هذا مناط الفتوى في الموضوع ، لما ابن عباس جاءه رجل وقال: يا أبا العباس أقاتل المؤمن توبة ؟ قال له: لا ، وهذا مشهور عن ابن عباس أن قاتل المؤمن لا توبة له كما في البخاري وغيره ، وقال: ثكلته

أمه ، بعد ما يجيء المقتول وقد وضع رأسه على يده يجز القاتل يقول: يا ربي سل هذا فيما قتلتني ؟ ، فالمشهور عن ابن عباس أن قاتل المؤمن لا توبة له .

لكن فيه حديث رواه البخاري في الأدب المفرد بسند صحيح أيضاً من حديث عطاء ، قال: جاء رجل إلى ابن عباس وقال: إني خطبت امرأة وأبت أمها أن تنكحني وأنكحتها غيري فغرت فقتلتها ، ألي توبة ؟ ، فقال له: أمك حية ، أي أمك مازالت على قيد الحياة ؟ ، قال: لا ، قال: اذهب فاعمل صالحاً واجتهد ما استطعت ، قال: فلما مضى الرجل سألنا ابن عباس لما سألته عن حياة أمه ، قال: إني لا أعلم عملاً يقرب من الله مثل بر الوالدة ، هذا واضح من الجواب أن له توبة يقول له: اجتهد .

فيه أيضاً رجل أتى ابن عباس وقال: ألي توبة ؟ رجل جاء قال: إني قتلت رجلاً ألي توبة ؟ ، قال له: لا ، فلما مضى الرجل قال له تلامذته: يا أبا العباس ألم تفتنا قبل ذلك أن لقاتل المؤمن توبة ؟ قال: نعم ، ولكني رأيت في عيني الشر ، الذي أتى ليسأل عيني تخرج منها شرار يكون ناوي أن يقتل ، لكن يريد رخصة يريد فتوى ، نعم يجوز له توبة يقول: خلاص نقتله ونتوب ﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾ (يوسف: ٩) ، ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَذَى وَيَقُولُونَ سِيعْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ ﴾ (الأعراف: ١٦٩) ، فيه ناس هكذا يقولوا: أفعل الذنب وإن شاء الله سأتوب ، فهذا ابن عباس قال: رأيت في عيني الشر يكون غير الفتوى أم لا ؟ غير الفتوى لمقتضى الحال ، لكن أنا لو لم أحكي لك هذه الحكاية التي وردت في الخبر ، ألن تقول: إن ابن عباس متناقض ، مرة يقول : ليس له توبة ، ومرة يقول: له توبة ؟ ، أنا لا بد أن أعلم كل جواب ما الذي وراءه ، ما هو السؤال ؟ ، وما حال السائل ؟ ، لأن المسألة ممكن تتغير .

واحد أتى قال لي مثلاً: أنا كنت أسير في الصحراء ووجدت جيفة حمار لا أعلم لماذا حليت في أنفي أكلته ، هذا سؤال ، قلت له: يحرم عليك هذا فإن الله Y حرم الميتة ، أتى واحد آخر

قال لي: بينما أنا أسير في الصحراء إذ مررت بجيفة حمار وكنت سأموت إن لم أكل فأكلت الحمار ، أنا سأقول له ابتداءً نهيًا ، نهيًا على أساس أنه أكل حمار ، وأقول له بالهنا والشفاء لا شيء عليك ، أنا الآن حرمت ، قلت: أنت أثم لأن الله حرم الميتة ، وبعد ذلك أتيت لهذا وقلت له: نهيًا مريبًا أكله ، لو أنت ركنت قصة السائل الأول وقصة السائل الثاني يكون أنا متناقض أما لا ؟ يكون أنا متناقض فالإشكال هنا ، لما كثير من الشباب بكل أسف يكون بعضهم من طلاب العلم يأتي يقول: العالم تناقض في المسألة هذه العالم قال: كذا وقال: ضد كذا والكلام هذا ، لا ، الكلام هذا ممكن يقوله واحد جاهل ، لكن لا بد إذا رأيت عالمًا بمعنى العالم تثق أنت به وتعلم دينه وتعلم قدر علمه وجاءت فتويان متناقضتان لا بد أن تعلم أن إصاق الخطأ بالسائل أولى من إصاقه بالعالم ، لأن العالم يعرف ، كيف يتكلم إذا أرد أن يتكلم ؟ فلا بد أن أقدر المسألة هذه فأنا عندما تأتي لي فتوى للإمام أحمد وفتوى أخرى مغايرة وغير ذلك ، ممكن يكون الإمام قال هذا الكلام في أسئلة متغايرة وأحوال السائلين متغايرة أيضًا .

فأنا لا أستطيع أن أتى بأقوال الإمام أحمد وأقول: هذا قول أحمد وهذا قول أحمد ، فما هو عمل علم الأصول ؟ لما أنت يا صناعي أو الذي تفتي عمومًا تقول لي: الاثنين هؤلاء قول أحمد ، وفي اختلاف العلماء سعة ، وسئل الإمام أحمد عن كتاب اختلاف العلماء قال: قل هو كتاب السعة ، كتاب الرحمة ، فيه ناس لديهم إشكالية في المسألة هذه ، كيف يكون الاختلاف رحمة ؟ وحديث « **اختلاف أمي رحمة** » حديث موضوع مكذوب ، « **وأصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم** » هذا مكذوب أيضًا ، الذي يحتج به من يقول: كل مجتهد مصيب ، لا ، الإمام أحمد يقصد بالاختلاف أنه سعة على المفتين أن العالم قد يبذل الجهد في طلب الحق ولا يصيبه ، يخطئ ويكون خطأه فيه حل لمشكلة السائل ، فالمفتي يؤجر والسائل فرجت كربته وليس عليه وزر ، لأنه امتثل قول الله Y: ﴿ **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا**

تَعْلَمُونَ ﴿﴾ (النحل: ٤٣) وأنا أتكلم الآن عن العالم وليس الصناعي ، ليس معنى أنه عالم أنه معصوم لا يخطئ ، لا ، يخطئ .

فنحن الآن في افتراض رجل عالم أنت سألته مسألة ، أفرغ الوسع في طلب الحق ولكن لم يصبه ، وكان عدم إصابته فيه حل لمشكلتك أنت ، فالعالم يؤجر برغم أنه أخطأ لقول النبي **p: « إذا حكم الحاكم فأصاب فله أجران ، فأخطأ فله أجر واحد »** ، برغم أنه أخطأ لكن أصاب أجراً واحداً وخطأ العالم هذا أخرجك أنت من الورطة ، لأنه لو كان أجابك الإجابة الصحيحة كان ضيق عليك ، فظالما أنك ذهبت سألت العالم كما أمرت وأفتاك فصارت فتوى العالم حجة عليك ، يكون أنت فعلت الذي عليك والعالم فعل الذي عليه وهو أخذ أجراً وأنت براءة ، فالإمام أحمد عندما يقصد بكتاب الاختلاف كتاب السعة هذا المعنى فقط لا أن قولين متضادين جميعاً يكونان حقاً ، أبداً ما خطر هذا ببال عالم من العلماء المحققين .

الإمام مالك نفسه عندما سئل عن القول وضده أيكونان حقاً ؟ ، قال: قولان متضادان جميعاً كيف يكونان حقاً ؟ واحد يقول لك: حرام والثاني يقول: حلال لا بد أن يكون في واحد مخطئ ، إذا اجتمع الشيء وضده في حكم تأثم إذا فعلت وتؤجر إذا فعلت نفس الفعل بنفس الهيئة بنفس الكيفية وغير ذلك هذا لا تصح ، والأستاذ أبو إسحاق الإسرائيلي ، ولقب الأستاذ هذا لم يكن يلقب به إلا من جمع ثمانية عشر علماً ، ولذلك لما تقرأ تراجم العلماء قل من تجده وصف بالأستاذ منهم أبو إسحاق الإسرائيلي كان يلقب بالأستاذ ، الأستاذ أبو إسحاق الإسرائيلي قال: (قول من يقول: الحق يتعدد قول أوله سفسطة وآخره زندقة) ، لأن لو كان الحق يتعدد ، ذهب الحق يصل الإنسان في آخر المطاف إلى أن يتزندق أنه يأخذ ما يعجبه من الدين ويدع ما لا يعجبه ، سيصل به في النهاية إلى هذا ، فالإمام أحمد عندما يقول: قل كتاب السعة ولا تقول كتاب الاختلاف المقصود به المعنى الذي شرحتة آنفاً .

مهمة العالم إذا وقع اختلاف في أقوال عالم: أن يرجح أحد القولين بالدليل إذا كانت القصة محجوبة عنه ، أنا ذكرت لكم: الجواب وراءه سؤال وسائل وأحوال وقصص وغير ذلك ، أنا

أمامي قول مجرد قول مجرد لا أعرف قصته ولا أعرف أي شيء عن السائل حتى ، في هذه الحالة لابد أن تعمل علم الأصول أصول الفقه وتنظر في الأدلة وتسלט بعضها على بعض ، تسלט الخاص على العام ، والمقيد على المطلق ، والمبين على المجمل ، والمؤول على الظاهر وغير ذلك كما هو معروف ، تسלט الأدلة بعضها على بعض وتخرج في النهاية بالجواب تقول: هذا القول أولى لكذا وكذا وكذا ، فالتدني عندما يصل إلى درجة أن بعض المفتين يقول للعامي: تخير من أقوال العلماء ما يوائمك يكون جعل العامي مجتهداً ، مع أن العلماء يقولون: العامي مقلد في كل شيء إلا في اختيار من يقلده فإنه مجتهد ، أي هو مجتهد في حالة واحدة فقط أن يختار من يقلده .

أنت ستقول لي: أنت أوقعتنا في إشكال هو جاهل ولما يختار ممكن يختار خطأ أيضاً ، مثل الرجل الذي وردت قصته في حديث ضعيف مرفوع إلى النبي p ولكنه كما قلت ضعيف » مثل الذي يسمع الكلمة فيأخذ بشرها كمثل رجل أتى راعي غنم ، قال: يا راعي الغنم أعطني شاه ناوية » ، يريد شاه سمينة وكلها لحمة ، فلما راعي الغنم وجده طماع ومهما يقول له خذ هذه يقول له: لا عظمها ظاهر ، خذ هذه ، لا ، هذه قرونها لا تعجبني لا هذه كذا سيجعله يدور في حقل الماشية ، فهو قرأ طمعه في وجهه ، فقال له: أدخل حقل الماشية واختار ما تريد ، فدخل فأخذ بأذن كلب الغنم، هذا لما وكله إلى اختياره ، ماذا فعل ؟ أخطأ وأخذ الكلب ، فالعامي لما أنت تقول لي: إلا في اختيار من يقلده فإنه مجتهد ، أنا ممكن أقول له: اختار من تقلد فأيضاً يأخذ الله أعلم ماذا سيأخذ بالضبط ؟ أقول لك: هناك ضابط كلي لمعرفة العالم .

الضابط الكلي لمعرفة العالم هو: (من اشتهرت في الناس أمانته ولم يجرحه أحد من أهل العلم الكبار) هذا إجمالاً ممكن أقول لو العامي اختاره لا أوثمه ، لكن لو هو العامي من الداخل اختار رجلاً متساهلاً وهو يعلم أن هذا الرجل كما كان يقول شيخنا المطيعي - رحمه الله عليه - : (مفتي الرخص ومكتسح العزائم) عندما يكون في واحد معين في ذلك الزمان لا يعجبه لا يحبه

، لأنه لم يكن شيء لديه تقريباً حرام إلا ما حرمه الله Y ورسوله بالنص القاطع ، أما أي حرام فيه اختلاف يكون حلال حلال حلال كان يقول عنه مفتي الرخص ومكتسح العزائم ، لو العامي بينه وبين نفسه وضع هذا الأصل وبدأ يبحث عن المفتي تبعاً له هو الذي يأثم ، مثل الذي يذهب مثلاً بعض العوام الذي كان يذهب إلى لجنة الفتوى ، طلق زوجته في الحيض وجاء واحد سأل واحد مثلي قال له: طلاق في الحيض يقع قال له: قولان فيذهب إلى لجنة الفتوى وقد علم إن فيه اختلاف بين العلماء في الطلاق في الحيض ، الجمهور يقول: يقع مع الإثم ، وشيخ الإسلام ابن تيمية وطائفة من العلماء قليلة يقولون: لا يقع .

علم أن الطلاق في الحيض على قول ابن تيمية لا يقع ، إذاً في المسألة قولان فيذهب على باب لجنة الفتوى ويسأل: أي شيخ منهم لا يقع طلاق الحيض هذه حدثت وحدثت أكثر من مرة ، المرأة هي التي طلبت الطلاق مع إن العادة إن الرجل عندما يريد أن يطلق المرأة تمسك فيه وتقول له: اعمل معروف وآخر مرة وغير ذلك ، ليس المرأة هي التي تسعى إلى الطلاق ، لا ، لكن المرأة رأت الرجل يلعب في السؤال فهي ما أحب ما عليها أحد ثقة يفتيها أنها مازالت زوجة ، فالزوجة تأتي تحكي لي ، تقول: أنه أول عالم سألها قال له: يا بني الطلاق في الحيض يقع ، الأولاد وغير ذلك ، فبكل أسف العالم هذا قال له: رأيت الشيخ الذي هناك هذا اذهب إليه يقول: لا يقع ، أنت الذي تدله وتقوله له: اذهب لكي لا يقع ، ما هذه ؟ ، هذه مسألة متعلق بها فروج ومتعلق بها أنساب ومتعلق بها مال ميراث وترث أو لا يرث لو مات الرجل ترث أو لا يرث وغير ذلك ، صرف الميراث إلى غير مستحقه وأولاد ليسوا أولاده وغير ذلك أي فيها جنايات أخرى .

فيقول له: اذهب للرجل هذا لأنه يقول ، يقول لك: ضعها في رقبة عالم واخرج سالم ، لا ، لا يخرج سالم منها إذا كان وطن في نفسه أن يختار المفتي الذي يفتيه على هواه .

فرجع إلى قول ابن الجوزي وهو يتكلم عن الرجل الذي علم أناس كثيرين وقال: إن كل تلميذ من تلاميذي يهتدي على يديه إنسان فأنا قسيم له في الأجر لأن أنا الذي علمته ، وبعد

ذلك ينهي الشغل وينهي العمل اتكالا على هذا ، وأنه ألقى منجله بين الحصادين ونام والمنجل يعمل في حال نومه ، يريد أن يقول: أنا وإن كنت نائما حقيقة لكن أنا لي تلميذ من تلاميذي الآن يعطي درسا ، فالذي يهتدي على يد تلميذي هذا هو منجلي يعمل ، أي أنا ممكن أكون أنا الآن أعطيك محاضرة وبعض تلاميذي في بلاد كثيرة أخرى يقول الآن محاضرة ، أليس كذلك ؟ فهو يعتبر نام كف عن العمل ومنجله وهو تلامذته والجماعة هؤلاء لازالوا يعملون فهو سيأخذ الأجر منهم .

حتى ابن الجوزي صرح بهذا تصريحاً ولكن بعد فترة قال: ورأيت بعض من تعبد مدة ثم فتر فبلغني أنه قال: (عبدته عبادة ما عبده بها أحد والآن قد ضعفت ، فقلت: ما أخوفني أن تكون كلمته هذه سبباً في رد الكل) ، هذا مثله هكذا ، عبدت الله عبادة ما عبده بها أحد ، كيف يقول واحد هذا الكلام إذا كان يعرف قدر الله حقيقة ؟ ، النبي ﷺ كما في صحيح مسلم من حديث عائشة ؓ قالت: كان النبي ﷺ إلى جني فتحسسته فلم أجده ، فظننت أنه ذهب إلى بعض نسائه ، فالببوت لم يكن فيها مصاييح آنذاك فزلت من على السرير مسرعة لكي تفتح الباب ، قالت: فوقعت يدي على قدميه منصوبتان وهو ساجد ، يقول: «أعوذ برضاك من سخطك ومعافاتك من عقوبتك ، أعوذ بك منك لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك» ، فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله إنك لفي شأن وأنا في شأن آخر ، الشاهد « لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك » ، النبي ﷺ أوتي جوامع الكلم فلا أفصح منه قط أبداً .

لا يأتي واحد يقول لي : الفصاحة هي التقعر ، لا ، الفصاحة هي متانة العبارة مع بيان الكلام ، الذي نحن نقول عليه: السهل الممتنع ، أنت عندما تقرأ القرآن تجده سهل مثل الماء ، ما الذي أغرى الذين أرادوا أن يكتبوا قرآنا ؟ مثل مسيلمة الكذاب ، وسجاح ، ما الذي أغراهم ؟ وجدوا القرآن سهل ، أنا ممكن أقول: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (الرحمن: ٢٦) ، ما الإشكال الذي فيها ؟ فأغراهم أنهم يكتبوا قرآنا ففضحوا أنفسهم ، هذا

قرآن سهل حتى تقوم الحجة به على كل مخلوق على علمه أو انخفض بجهله ، القرآن حجة على كل مخلوق مع تباين علم الناس ، ليس من الضروري أن يكون فصيح أي لابد أن يكون معقد ، مكر مفر مقبل مدبر معًا كجلمود صخر حطه السيل من علي ، هل هذه الفصاحة ؟ لا ، ليست هذه الفصاحة لأن أنت لا تفهم ولا كلمة .

إذا ما هي وظيفة الكلام وأنت لا تفهم ولا كلمة ؟ وظيفة الكلام الإعراب والبيان ، سبك العبارة ولكن واضحة ، من يستطيع أن يأتي بالكلام هذا ؟ ، مسيلمة الكذاب جلس يفكر يريد أن يكتب قرآن فكتب من ضمن آياته الشيطانية ، ضفدع يا ضفدعين ، نصفك في الماء ونصفك في الطين ، لنا نصف الأرض ولقريش نصفها ولكن قریشاً قوم يعتدون ، صدق الشيطان الرحيم ، عندما تحب أن تكتب قرآن تفضح نفسك الفضيحة الكبيرة هذه ، فالفصاحة كلام مسبوك ومعنى ظاهر ، كلام النبي ﷺ الذي هو أفضل من تكلم كلاماً فصيحاً ، أنظر حتى الكلام يقول: « لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك » ، لما يكون أفصح من نطق بالضاد لا يستطيع أن يثني على الله بما هو أهله ، يكون المفروض كل فصيح يغسل يده ويسلم باليأس الكامل .

لكن ميزة أن تتبع كلام النبي ﷺ أنه أحب إلى الله من كلام غيره حتى وإن كان كلام غيره مُعجَباً مُطرباً ، أنت أحياناً تسمع بعض الناس يدعي تستغرب من الفصاحة وجمال دعاءه ، مثل العلماء الفضيل بن عياض والحسن البصري والجماعة هؤلاء تقرأ تستغرب من دعاءهم ، كيف أتوا به ؟ ، لا ، دعاء النبي ﷺ أفضل أن تلتزم صيغته حتى وإن أعجبك دعاء غيره ، لماذا ؟ لأنه ما كان يتكلم بكلمة إلا وهي محبوبة إلى الله لكن غير النبي ﷺ أنا لا أعلم الكلام الذي قاله هذا محبوب إلى الله أم لا ؟ ، لكن أنا متأكد مائة بالمائة أن النبي ﷺ لم ينطق بكلام إلا ويحبه الله ، ولذلك أنطقه الله ﷻ به ، يكون أنا هكذا في الأمان ، لأجل هذا بعض الناس يأتوا يقولوا: نحن عندنا نأخذ من أدعية العلماء ، وهل يجوز أو لا يجوز ؟ أقول لك: يجوز من جهة الجواز يجوز ، ودليل ذلك أن النبي ﷺ قال للمرء وهو ساجد: « ثم ليتخير من الدعاء أعجبه »

أعجبه إلى نفسه ، عجبك دعاء لعالم من العلماء دعيت به وغير ذلك لا يوجد إطلاقاً أي مشكلة لكن الذي يريد أن يدخل في الأمان يلتزم ألفاظ النبي ρ في الدعاء .

ثانياً: لم يترك النبي ρ حاجة من حاجات الدنيا والآخرة ولا الآخرة إلا دعا بها ، فما الذي تريده ؟ ممكن يكون خرج من دعائه ρ ودعا به غيره ولم يأتي في دعائه هذا ، دعاء واحد فقط أتى على الدعاء كله دعاء واحد فقط أتى على كل ما دعا به النبي ρ ، ولن أقول لك: على ما أتى به غيره أيضاً ، لا ، اللهم إني أسألك من كل خير سألك منه نبيك ρ ، وأستعيز بك من كل شر استعاذك به النبي ρ ، هل الدعاء هذا ترك شيء ؟ ، هو قال: كل من ألفاظ العموم فما من دعاء بخير إلا دخل تحت هذا الدعاء وما من دعاء بنفي شر إلا أتى عليه ، واحد يقول لي: ما رأيك إن أنا التزم بالدعاء هذا فقط وأترك باقي الأدعية ، طالما المسألة هكذا وأن هذا الدعاء أتى على كل أدعية النبي ρ في طلب الخير ودفع الشر ؟ .

أقول لك: إن النفس لا تستريح بالمحملات ، النفس لا تستريح إلا بالمفصلات التي تقع على حاجتها ، واحد قبض عليه ، يريد دعاء يخلصه من الورطة الحالية التي هو فيها فلا يكفيه المحمل لا يشفي نفسه ، ولذلك دعا النبي ρ دعاءً كثيراً جداً لمعرفة هذه الصفة عند الإنسان ، ولذلك حتى أتفرع من هنا يقول لك: العلماء يقولوا: الدليل الذي ظهرت علة تحريمه أو تحليله أوقع في النفوس من الدليل الذي أمرت به ولا تعلم له علة ، لما أقول لك مثلاً: البيت الذي بنيته هذا أريدك أن تذهب تهدمه وأنا كلامي فرض لازم تهدمه يعني تهدمه لا تستطيع أن تخالفني ، أنا بنيته جديداً ، قل لي لماذا لكي يستريح قلبي ؟ ، إما أن أنا أقول له: أفعل ما تؤمر فيحزن ويغضب ، بناء جديد وجميل لا يوجد فيه مشكلة لكن لا بد أن ينفذ ، عندما أقول له: أن القطعة التي بنيت عليها هذه كل سنة يأتي فيها زلزال والزلزال هذا غير مأمون ، أي يأتي في أوقات أنت لا تعلم متى يأتي ؟ ، فأنت نائم ممكن الدنيا تقع عليك ، يقول لك: جزاك الله خيراً انك قلت لي لم أكن أعلم ، سيهدمه وهو سعيد أم لا ؟ سيهدمه وهو سعيد ، ما الفرق

بين الاثنين ؟ ، إن في الأول لما قلت له: افعل ما تؤمر لم أذكر له علة للحكم ، في المرة الثانية ذكرت له علة فاستراح قلبه .

أيهما أفضل الأول أم الثاني ؟ قلت له: اهدم البيت ، لماذا ، ولأجل ماذا ؟ ، قلت له: أفعل ما تؤمر قال لي: حاضر ، الثاني: اهدم البيت ، لماذا أقنعني لكي يستريح قلبي ؟ ، قلت له: لأنه يأتي زلزال كل كذا وكذا وكذا ، أيهما أفضل ؟ أنا أتكلم عن الذي تلقى الأمر وليس الذي أمر ، أنا لا أتكلم عني أنا الذي قلت له أهدم البيت ، أتكلم عن محل الأمر الأول ، طبعاً الأول بلا شك ، لماذا ؟ ، المبادرة إلى تنفيذ الأمر هذه مسألة عالية جداً التي يسميها العلماء العبادات لا معقولة المعنى ، لا معقولة المعنى أي لم يتضح لي معنى الأمر فيها أو معنى النهي ، فلم أتوقف عن الفعل أو لم أفعل الفعل بناء على اقتناعي ، أقول لك: أقنعني الأول أنفذ ، لا ، فالذي يفعل إذا وثق بجهة الأمر إذا وثق بها وامثل هذا أفضل بلا شك .

عمر بن الخطاب والحديث أنتم تعلمونه جميعاً عندما قبل الحجر وقال: والله إني لأعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر ، لماذا تقبله ؟ ، لم يجد علة إلا المتابعة فقط ، وهذه اسمها تنفذ الأمر وأنت ساكت هذه المتابعة ، ما معنى المتابعة ؟ تسير وراءه ذهب يمين وراءه شمال وراءه ، نزل تحت الأرض وراءه ، صعد السماء وراءه المتابعة هي هكذا ، عمر بن الخطاب مع أنه محدث وأنه ملهم كما أتى في حديث النبي ﷺ إلا أنه لم يجد علة إلا المتابعة ، مع إن لو أنت أحببت أنت تأتي بعلة عقلية أقول لك: لا تقبله ، لماذا ؟ ، لأن العرب كانوا حديثي عهدٍ بوثنية ، كانوا يعبدوا الأحجار فواحد يقول: ما الذي يضميني إن ممكن واحد يحن لحجر كان يعبده فمن باب سد الذرائع لا يعظم حجر في الإسلام ، سد الذريعة ، الذريعة: هي الطريق أغلق عليه الباب مبكراً ، لأن أنا لو تركته يسير وقرب من الحرم ممكن يرتكبه ، لا ، أنا أريد أن أغلق له الباب المحرم مثلاً عند الجدار هذا أنا سأغلقه له من هنا ، فلن يستطيع أن يصل للمحرم طالما أغلقت له ، هذا هو سد الذريعة ، أن تغلق عليه كل باب يمكن أن يوصله إلى الحرام .

أليس معقولاً إذا حللناها هكذا أنه لا أحد يقبل الحجر الأسود ، لأن العرب حديثي عهد جاهلية وممكن واحد منهم يرجع مرة أخرى ويقول: ما عظم الحجر وما قبل إلا لأنه إله مثلاً ، أو ابن إله ، أو هو جزء من الإله أي شيء ممكن واحد يخرج فيها وغير ذلك ، ولكن عمر بن الخطاب قال هكذا ، أنت لما تطوف حول البيت ، لماذا الرَّمْل ؟ الرَّمْل أنك وأنت تطوف تنتلط بشجاعة وغير ذلك ، الرَّمْل هذا النبي p إنما شرعه لأصحابه عندما دخل المدينة وبعد ذلك أصابتهم الحمى قال: كلهم أصبحوا مرضى فهجم عليهم ، فلما ذهبوا لكي يطوفوا بالبيت قال: « **اظهروا قوة** » ، لا تسير وأنت تطوف وأنت تفعل هكذا فتطمع عدوك فيك ، أنا أريدك أن تتحرك بقوة وأنت تطوف تقول: نحن هنا ، فكانوا في الرمل يقفزون ، فلمشركون قالوا: ما فعلت فيهم الحمى شيئاً أقوياء .

كذلك لم يعد حمى ولا غير ذلك ، لماذا تتحرك بهذه القوة ؟ ، أقول لك: لا يوجد غير الإلتباع المتابعة برغم أن العلة انتهت ، وأنت تسعى ما بين العمودين الأخضرين قهروا ، لماذا أنت قهروا ؟ لأن هاجر u كانت إذا وصلت إلى بطن الوادي وهي تبحث عن مياه كانت تسعى سعي الإنسان المجهود ، الإنسان المجهود ممكن يجري مثل الخيل ؟ ، لأن هاجر كانت كما في الحديث تسعى سعي الإنسان المجهود ، ما معنى المجهود ؟ لا يستطيع أن يسير فيجري على قد جهده ، خلاص لا عاد بطن وادي ولا ظهره هذا مصنوعة من الرخام وتكيف مركزي وشيء جميل ، لماذا تجري ، لماذا تسعى سعي الإنسان المجهود ؟ متابعة ، « **إنما جعل الطواف بالبيت ورمي الجمار والسعي بين الصفا والمروة لإقامة ذكر الله** » كلام النبي p .

عندما تذهب ترمي الجمار ، لماذا ترمي الجمار ، هل إبليس هناك ؟ متابعة ، هذه كلها وأشباهها تقع تحت ما يقول فيه العلماء: إنه (لا معقول المعنى) ، لا معقول المعنى لا يوجد علة ظاهره منه لكن افعل .

إذا الذي قلت له: أهدم البيت ، فقال: حباً وكرامة دون أن يمتنع أعلى من الذي مط شفتاه وذهب وهدمه ، حتى الأول يتمايزون ما بين الذي يبادر إلى تنفيذ الأمر ولا يسأل لماذا ، وما

بين الذي يمحط شفاته ويكون غاضب أنه سيهدم البيت الذي بناه وغير ذلك أيضاً يفترون حتى في المقام الواحد ، يكون هذا الكلام على مسألة التفريق ما بين معقول المعنى ولا معقول المعنى الذي أنا شردت به لكي أوضح الكلمة التي سأرجع إليها إن شاء الله في الدرس القادم .
أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .
انتهى الدرس السادس أختكم أم محمد الظن.

بسم الله الرحمن الرحيم

(مدرسة الحياة - حقيقة العلم النافع)

الدرس [٧]

أبي إسحاق الحويني

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعين به ونستغفره ونعوذ بالله من شرر أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله تعالى فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد ..

فهذا هو الدرس السابع من شرح هذه الخاطرة والتي سميتها (حقيقة العلم النافع) وهي خاطرة من كتاب صيد الخاطر لابن الجوزي - رحمه الله تعالى - والتي اصطلحت على تسمية شرحه بمدرسة الحياة .

قال رحمه الله تعالى: (رأيت جماعة من العلماء يتفسحون و يظنون أن العلم يدفع عنهم و ما يدرون أن العلم خصمهم و أنه يُغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل أن يغفر للعالم ذنبا وذاك لأن الجاهل لم يتعرض بالحق والعالم لم يتأدب معه ، ورأيت بعض القوم يقول: أنا قد أُلقيت منجلي بين الحصادين ونمت ثم كان يتفسح في أشياء لا تجوز فتفكرت فإذا العلم الذي هو معرفة الحقائق والنظر في سير القدماء والتأدب بآداب القوم ومعرفة الحق وما يجب له ليس عند القوم ، وإنما عندهم صور ألفاظ يعرفون بها ما يحل وما يحرم وليس ذلك العلم النافع ، إنما العلم فهم الأصول ومعرفة المعبود وعظمته وما يستحقه والنظر في سير الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته والتأدب بآدابهم وفهم ما نقل عنهم ، ذاك هو العلم النافع الذي يدع أعظم العلماء أحقر عند نفسه من أجهل الجهال) .

في المرة الماضية كنا ختمنا الكلام عن العبادات معقولة المعنى ولا معقولة المعنى والذي جرننا إلى هذا أننا كنا نتكلم عن الدعاء ، وأن النبي p في دعاء واحد جمع كل ما يحتاجه المرء في حياته ومع ذلك فادعيته كثيرة جداً على التفصيل ، إنما الدعاء الجامع الذي هو: (اللهم إني أسألك من كل خير سألك منه نبيك p)، أي خير على التفصيل شمله هذا الحديث على الإجمال ، (وأعوذ بك من كل شر استعاذ بك منه نبيك p)، يكون كل شر على التفصيل وقع في هذا الحديث على الإجمال ، ومع ذلك نحن ندعو بأدعية النبي p الكثيرة ، لأن قول الله Y: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (غافر: ٦٠) العبادة هي الدعاء ، وفي الحديث الصحيح « الدعاء هو العبادة » وفي لفظ آخر: « مخ العبادة » ولكن هذا اللفظ لا يصح ، إنما الصحيح « الدعاء هو العبادة » .

فأدعية النبي ρ نحن قلنا: كثير من المؤمنين دعا ربه بأدعية معجبة مطربة أنت عندما تقرأها تهتز وتتمايل من جمالها وحلاوتها ، لكن قلنا: أدعية النبي ρ أفضل من كل أدعية لسبيين ، لأجل هذا أنا أقول لك: عندما تأتي لتدعوا مع أن النبي ρ قال: « **وليتخير من الدعاء أعجبه** » ، ففتح لك الباب أدعو بما شئت جائز ، لكن أنا أدلك على ما هو أفضل أن تلتزم ألفاظ النبي ρ في أدعيته ذكرنا هذا لسبيين:

السبب الأول: أنه أفصح من تكلم ρ .

السبب الثاني: أن ألفاظه أحب إلى الله من غيره لأنه لا يدعو إلا بما هو محبوب إلى الله ، فأنت ضمنت مائة بالمائة أنك دعوت بأحب الكلام إلى الله لكن يبقى قلبك الذي عليه المحور والعمل أنت ممكن تدعو بدعاء النبي ρ وقلبك في وادٍ آخر ، إذا استحضرت قلبك مع لفظ النبي ρ الذي هو أحب إلى الله من أي لفظ آخر فيرجى أن تكون الإجابة أقرب ، هذا الذي جعلنا نخرج ونقول: أن الأدعية على التفصيل تجعل المرء أكثر راحة من الإجمال ، ودخلنا في لا معقول المعنى ومعقول المعنى وأن الحكم لما يكون معلل يكون أقرب إلى النفس والنفس ترتاح أكثر ما يكون الأمر هكذا مباشر بدون أن تعلم له علة .

اليوم نتكلم عن كلام ابن الجوزي في حقيقة العلم النافع ، وهو عصب هذه الخاطرة حقيقة العلم النافع هو الذي يوصلك إلى الله ويورثك الخشية ، وفرقنا تفريقاً لعل كثير من إخواننا يكون هضم الموضوع ما بين العالم والصناعي هذه تأخذها كأصل عندكم ، أي إذا رأيت الرجل يخالف الشريعة ولكنه مبهر في وعظه وعلمه ممكن المسجد كله ينهه ويكي وغير ذلك ، تعرف أن هذا صناعي حتى لو الدنيا كلها تبكي خلفه يكون هذا صناعي وليس بعالم ، إنما العلم هو الذي يورث خشية الله I

ابن الجوزي يقول: (**العلم هو معرفة المعبود - تبارك وتعالى -**) ، وأنت لا تعرف أبداً ولا تحب إلا من تعرف ، أنت إذا أحببت إنساناً ، لماذا تحبه ؟ لصفاته ، هل تحبه من أجل جسمه ؟ لا ، هل تحبه من أجل بلده ؟ ممكن تجد ناس هكذا لكن شواذ والشاذ لا يقاس عليه ، نحن

نتكلم على الأغلب ، أنت لا تحب إنساناً أو تكره إنساناً إلا بصفاته ، تقول: هذا رجل ، عنده مروءة لا تقع في ورطة إلا وتجده بجوارك ، مجامل أو إن إنسان آخر تكرهه تقول: هذا إنسان سيء الأدب ، ليس لديه ذوق في الكلام أنت لا تحب أحداً إلا لصفاته ، تعالى عنه التشبيه أنت لن تحب ربك إلا إذا علمت أسماءه وصفاته ، كيف تحب من لا تعرف ؟ الذين لا يعرفون الله Y ، كيف يحبونه ؟ والله Y أشار إلى هذا ولكنها إشارة تحتاج إلى وقفة ، قال: ﴿الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ (الفرقان: ٥٩) ، لماذا الرحمن ؟ .

كان ممكن الله فاسأل به خبيراً مثلاً ، لفظة ﴿الرَّحْمَنُ﴾ هذه اللفظة التي تشمل كل الكائنات إنس وجن على عجرهم وبجرهم ، كفره مسلمين ، منافقين ﴿الرَّحْمَنُ﴾ هذه تشملهم الطيور والحشرات والدواب والوحوش وغير ذلك الرحمة هذه تشملهم لأجل ذلك العلماء عندما فرقوا بين الرحمن والرحيم ، قالوا: الرحيم للمؤمنين ، والرحمن للخلق كافة ، فلما قال: ﴿الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ أي لا تسأل عن الرحمن إلا خبيراً به ، لا تذهب لواحد جاهل وتسأله عن الله عن الرحمن - تبارك وتعالى - ، لماذا ؟ لأنه لن يستطيع أبداً أن يصفه لا يصفه إلا العالم به ، أوسع باب لزيادة الإيمان باب الأسماء والصفات .

نحن عندما نقرأ عن الأسماء والصفات في الكتب نجد دائماً مناقشات ما بين أهل السنة والمبتدعة ، يقولوا: هذا معطل والاسم على الحقيقة بدون تمثل ولا تشبيه وقال جهنم وقال فلان وقال علان تدخل في باب الصفات تجد ردود هذا يرد على هذا وهذا يرد على هذا ، لا ، أنا أريد باب الأسماء والصفات بمعنى آخر ، وقل من الكتب مع كثرتها من اعتنى بهذا أريد أن يزيد إيماني بأي صفة من صفات الله ، أنا اقتنعت وآمنت بأن كل أسماء الله Y على الحقيقة تحت قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى: ١١) ، استرحت من كل شغل المبتدعة ورد أهل السنة عليهم وغير ذلك وركنت القصة هذه على جنب ، أنا أريد أن أعبد بهذا الاسم ، اسم الرقيب مثلاً ، أولى العبادات باسم الرقيب الصيام ، ممكن لا يكون يصلي لكن لا يفطر رمضان ، وأنظر للناس العجائز تجد أمراض الدنيا فيه ، يا حاج أفطر يقول: هل يوم رمضان

يعوض ؟ أبائنا يقولوا كلهم هكذا وأمهاتنا يا حاجة أفطري ربنا رخص لكي الإفطار تقول:
يوم رمضان لا يعوض أفطر أعوذ بالله ، لماذا أعوذ بالله ؟ الفطر رخصة وأنت في القرآن أيضاً
، ممكن لا يكون يصلي وممكن يكون رمضان أتى في حر مثل السنة هذه هكذا في شهر ثمانية
رمضان والدنيا حر والواحد يكون عطشان وبمفرده في البيت والثلاجة موجودة وفيها العصير
وفيها المياه وفيها كل شيء وغير ذلك وبمفرده ويأخذ زجاجة المياه يمشيها على جسده
عطشان لكن ، هل يجرؤ أن يشرب ؟ لا يستطيع أن يشرب ، لماذا لا يستطيع أن يشرب هل
هو يتعبد بقلبه باسم الرقيب ؟ لا تعود على هكذا ، فكيف لو تعبد بهذا الاسم ، لأنه لو تعبد
باسم الرقيب ما كان ضيع الصلاة .

هو تعود على هكذا تعود على أن رمضان لا يفطر أحد في رمضان عيب ، كيف ؟ أنا لو
أردت أن أستعمل اسم الرقيب في حياتي وأنظر إلى أثره تكون كل خطوة سأخطوها عليّ
رقيب ، الرقيب هذا يخدم الصفة هذه السميع البصير ، ما هي المراقبة ؟ سمع وبصر ، فعندي
ثلاثة أسماء الثلاثة يخدموا بعض لكن ما بين هذا وهذا وهذا فروق ، أنا أتكلم عن كل حاجة
بمفردها تخرج بفروق ، لكن أنا أريد أن أتعبد بالأسماء والصفات ، الودود الصفة هذه لم تهز
قلبك ولم تخلعه من مكانه ؟ ، الودود ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ ﴾ (البروج: ١٤) ، وأنظر إلى الآية
التي تليها مباشرة ﴿ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴾ (البروج: ١٥) ، تستغرب يا أخي ﴿ ذُو الْعَرْشِ
الْمَجِيدُ ﴾ ، العرش هذا السماوات والأرض كحلقة في فلاة إذا قيس بالعرش ، فلاة: صحراء
ليس لها نهاية لا تعلم آخرها لا طول ولا عرض ، لما تلقي فيها حلقة حديد صغيرة وتلقيها في
فلاة ، كم تساوي هذه من الفلاة كلها ؟ ولا شيء ، العرش الذي استوي عليه ربنا - تبارك
وتعالى - كما يليق بجلاله ربنا يقول: ﴿ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴾ أي صاحب العرش المجيد .

المفترض العرش لو نزلنا تعالى الله عن التشبيه للدنيا كرسي الملك من ملوك الدنيا يسمى العرش
، تجده كله ذهب وزبرجد وألماظ وغير ذلك ، وهو يجلس عليه يلبس تاج من الذهب في
حفل استلامه العرش ، مثل ما يحدث في الملكات جالس وكلهم يأتوا ينحنوا أمامه مثل

عادات الجاهلية القديمة وغير ذلك وهو يلبس الطربوش الذهب هذا ، هذا العرش لا أحد يستطيع أن يجلس عليه إلا من ؟ إلا صاحبه ، فالمفترض إن العرش هذا يعطي قيمة وأبهة وهيبة للذي يجلس عليه ، نصعد فوق رب العالمين ﴿ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴾ عزة وجلالة وجبروت ، كيف يكون ودود مع ﴿ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴾ ، كيف تركبها ؟ ﴿ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴾ زادت الصفة جمالاً ، لأن تواضع الكبراء له طعم ، عندنا نحن البشر عندما تجدد واحد كبير وواحد الناس يحترقونه ويزدرونه ويخترقونه بأبصارهم وتجدده منحني عليه يسمعه ويضع يده على كتفه وغير ذلك تقول: أنظر يا أخي والله ، غير لما واحد معه صاحبه ، اجعل أمير المؤمنين فعل القصة هذه مع واحد من الرعية ملابسة ممزقة وغير ذلك وقال له: قف حتى أحدثك ، يقول له: لبيك ، ماذا تريد ؟ الرجل غاضب عليه ، يقول له: اهدأ اهدأ طلباتك على عيني قل: ماذا تريد ، لماذا غاضب ؟ أنا معك للصبح تكلم كل الدنيا ماذا تقول على هذا الأمير ؟ ، هذا يرتفع جداً في نظر الناس لأن تواضع الكبير له طعم .

فلما نرتفع لفوق وتعالى الله عن الشبيه والنظير عندما ﴿ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴾ يتودد إلى من خلق ، وعادة التودد إنما يكون من محتاج إلى من هو أعلى منه العادة هكذا ، ودود فعول أي وده دائم ، لماذا أنا ودي دائم ؟ لأني أقدم السبت لكي أجد الأحد ، أو إن أنا أظهر الود لمن أخاف منه ، أهلاً يا سعادة الباشا منورنا يا باشا أهلاً يا باشا وغير ذلك ، وأنا داخل قلبي أسبه وفي سري أسبه وأهلاً يا باشا وتفضل يا باشا ونحن من غيرك يا باشا لا نسوى شيء يا باشا والكلام هذا ، هذا أنت تظهر له الود لكي تتقي شره ، واحد آخر تظهر له الود لكي تطمع في نواله ، رجل كريم وجيد أول ما مثل أمية بن أبي الصلت وعبد الله بن جدعان الأبيات الجميلة التي أنتم كلكم تحفظونها ، لما أمية بن أبي الصلت الشاعر يمدح عبد الله بن جدعان ابن جدعان هذا كان كريماً جداً لكنه من أهل النار مثل حاتم الطائي ، في الصحيين من حديث عائشة ؓ قالت: يا رسول الله إن ابن جدعان كان يكرم الضيف ويفعل ويفعل

أنافعه ذلك ؟ قال: « لا إنه لم يقل يوماً: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين » ، كل عمله ذهب ، فأمية يمدح ابن جدعان يقول له:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني	حياؤك إن شمتك الحياء
إذا أثني عليك المرء يوماً	كفاه من تعرضه الثناء

الذي يتودد المحتاج لكن ﴿ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴾ يتودد إلى من لا يضر ولا ينفع وإلى من خلق ؟ .

أنا أقول لك: ﴿ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴾ بينت جمال الصفة وحلاوة الصفة ، مثل إبراهيم ؑ لما قال لأبيه: ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ ﴾ (مریم: ٤٥) ، هذه التي بينت فظاعة جرم والد إبراهيم ، لأنه لو قال: يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من القهار ، لا تؤدي معنى الرحمن ، من الجبار ، من العزيز لا تؤدي المعنى ، لكن ﴿ مِنَ الرَّحْمَنِ ﴾ أدت المعنى ، وغير ذلك وفيها جانب ترغيب فيها ترهيب قوي جداً مبطن وترغيب ظاهر، الظاهر الترغيب ، المبطن الترهيب ، لماذا بينت فظاعة جرم والد إبراهيم ألا وهو الشرك ؟ ، أنت عندما مثلاً نقول في الناس بعد الصحابة والتابعين وغير ذلك بعد الصحابة ، من أحلم الناس يضرب به المثل في الحلم ؟ قيس بن أحنف ، فيقال: أحلم من قيس أمثلة هكذا ، لما تجد قيس الحلیم هذا لما نقول: أحلم من قيس أي يعتدى عليه ويُسب وهو باسم الثغر لا يزيده جهل الجاهل إلا حلمًا ، وفجأة أنت تسير في الطريق وجدت الأحنف بن قيس بارك على واحد ويضربه ماذا ستقول ؟ ، يا ترى الرجل هذا ماذا فعل هذا أكيد فعل مصيبة سوداء لأجل قيس يبرك عليه ويضربه بأقصى وهذا الحلیم الذي يُسب باسم الثغر ، فيكون الذي يُضرب ماذا فعل الولد هذا لكي قيس بن أحنف يفعل فيه هذا ؟ أكيد جريمته لا يرتدى عليها ملابس ، طالما حلم أحنف ذهب وانتهى ونفذ تكون جريمته الولد هذا ليس لها أخت .

فلما يعذب الرحمن ، الرحمن يرحم لا يعذب ، لما الرحمن الذي رحمته وسعت كل شيء حتى أن الدابة لترفع حافرها عن وليدها خشية أن تصيبه بجزء واحد من الرحمة وبقي تسعة وتسعون

جزءاً لم يفتحوا ، هذه تفتح يوم القيامة من أجل الشفاعات ، لماذا ؟ لأن من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة كل هؤلاء خلق سيقفوا وفيهم أناس من الموحدين أتباع كل الأنبياء ولكن عصاه ، وفيه مرضى وفي غير ذلك ، و عندنا شفاعات أربعة يوم القيامة كما في الصحيحين: شفع الأنبياء ، وشفع المؤمنون ، شفعت الملائكة ، شفع أرحم الراحمين .

شفاعات يوم القيامة:

شفاعة الأنبياء: يشفعون لعدد لا يعلمهم إلا الله ، النبي ﷺ يقول: «أشفع لعدد رمل عالج» هذا النبي ﷺ بمفرده ، لما تذهب على الشاطئ في المصيف عد لي الرمل الموجود على ساحل البحر ، كم عدده ؟ يشفع لأمثال هؤلاء .

شفاعة المؤمنون: كل واحد مؤمن يدخل يرى الذي يعرفه وغير ذلك ، قالوا: ربنا لم نذر فيها خيراً بعد ما المؤمنون أخرجوا كل ما يعرفوهم ، كم عدد المؤمنين ؟ كثير ، كم معارفهم ؟ أيضاً كثير هؤلاء سيخرجوا والنبي ﷺ والأنبياء سيسفحوا .

شفاعة الملائكة: والملائكة أيضاً سيسفحوا ، كيف يشفع الملائكة ؟ يعرفون مواضع السجود لا تحترق ، مواضع السجود لا تحترق في النار هذه علامات ، أعرف أن هذا موحد كان يصلي ولكن عاصي ويسير على مزاجه وغير ذلك ، فالملائكة أنظر شفحوا أيضاً بقيت شفاعات أرحم الراحمين .

شفاعة أرحم الراحمين: لا توجد شفاعات تدانيها ولا يمكن وصفها ، فيخرج من النار خلقاً لا يعلمهم إلا هو - تبارك وتعالى - بعد ذلك يغلق الباب على الباقيين في جهنم ، ويذبح الموت بين الجنة والنار في اللحظة هذه آخر واحد يخرج من النار يدخل الجنة يذبح الموت ثم ينادي منادٍ يا أهل الجنة خلود لا موت بعد اليوم ، يا أهل النار خلود لا موت بعد اليوم .

أرجع وأقول مرة أخرى: حقيقة العلم النافع أنك تتمسك بباب الأسماء والصفات لا تأخذه من باب الرد على الجهمية والرد هذا مهم وكل شيء وكتب العلماء ممتلئة بهذا الذين يعطلون الصفة ، لأنهم عندما عطّلوا الصفات لم يعد إلهاً ، لماذا ؟ نزعوا منه الصفات ، فصار البشر

أحسن من الإله لأنه عندما يكون لا سميع ولا بصير ولا قدير ولا عليم يكون العبد أفضل منه ، لا ، نحن نريد أن ندرس باب الأسماء والصفات بهذا الأثر ، نرى أثره أأخذ الرحمن أعمل دراسة على اسم الرحمن في القرآن كله تجد أكثر سورة في القرآن ذكر فيها اسم الرحمن ليست سورة الرحمن سورة مريم ، هذا له دلالة بالغة ، لأن كلها رحمت من أولها لأخرها ، زكريا ٧ عندما دعا ربه أن يرزقه بسلام ﴿ ذَكَرْ رَحْمَةَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ (مريم: ٢-٤) ، هذه الرحمة ، قال: ما دعوتك يوماً فرددتني أنا تعودت أن تجيبني فلا تشقني أن ترد دعائي ، لماذا تحتاج الولد يورث المصنع ، يورث المتجر ، يورث الصحراوي أو الزراعي ؟ لا ، يريد ولدًا ليقوم على خدمة الهيكل المعبد لكي العبادة تظل متصلة ﴿ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾ (مريم: ٤،٥) .

أيهما أشد العاقر أم العقيم ؟ ، امرأة إبراهيم عندما بشروها بالولد ﴿ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ (الذاريات: ٢٩) يكون أنا لدي عاقر وعقيم ، أيهما أشد ؟ ﴿ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾ ، وامرأة إبراهيم قالت: ﴿ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ الاثنين لا ينجبوا ، ما الفرق بينهم ؟ سنجد العقيم أشد ، لماذا ؟ لأن العقم الذي لا خير فيه قط ولا أمل فيه مثل ما ذكر الشاب في سورة الشورى ﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ﴾ (الشورى: ٤٩، ٥٠) الواحدة تنجب أولاد وبنات مع بعض ، فيه واحدة تنجب ذكوراً فقط ، واحدة تنجب بنات فقط ، واحدة تنجب صبيان وبنات هذا معنى ﴿ يُزَوِّجُهُمْ ﴾ يجعل ولد و بنت ، ﴿ وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا ﴾ (الشورى: ٥٠) أي لا تنجب أبداً مع أي محاولة لا توجد فائدة .

وأنت لديك عندما ربنا Y قال: ﴿ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ * مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ ﴾ (الذاريات: ٤٢، ٤١) هذا الذي يجعل المسألة أوضح ، زكريا ٧ في سورة الأنبياء ربنا قال: ﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾ (الأنبياء: ٩٠) العاقر ممكن تتصلح ، فالعقيم أشد ،

فسورة مريم من أولها لأخرها في رحمت وفيه أشياء على غير العادة ، امرأة عاقر ولدت وغير ذلك قال: ﴿وَاشْتَغَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ معنى ﴿وَاشْتَغَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ إشارة إلى كبر سنه يكون في العادة إن امرأته أيضًا كبيرة في السن فيندر أن مثل هذه تنجب ، تظل تسير لحين أن تصل إلى ما هو أعلى من ذلك وهو قصة عيسى ﷺ وسبحان الله جاءت قصة زكريا قبل قصة عيسى كالتهيئة ، مثلًا واحد لما يقول: إن في واحدة سبحان الله سنها تسعين سنة وأنجبت سبحان الله عجائب ، ربنا I قادر على كل شيء ، تسعين سنة وتنجب ؟ ، فيأتي لك التي بعدها أنجبت من غير أب قربت أم لا ؟ قربت صح هي غريبة جدًا لكن قربت .

لأجل هذا العلماء أخذوا من هذا الترتيب أنه ينبغي على المفتي إذا أراد أن ييث في الناس حكمًا جديدًا مستغربًا أن يهيئ له قبل أن يدخل فيه ، لا تدخل هكذا في الناس سيقفوا لك وهذه أشياء كنا نقع فيها ، ونحن صغار في مستقبل الشباب لم يكن لنا مشايخ ربونا ولا قالوا لنا: كيف نعامل الناس ؟ فكنا نجرب في الناس ويجربوا فينا وعادة كما قال الشاعر:

بألا يصاب فقد ظن عجزا

ومن ظن ممن يلاقي الحروب

أنت داخل في معركة إذا كنت تظن أنك ستخرج من غير جرح تكون أنت رجل عاجز عن التفكير لا بد أنك ستجرح ، لأن عدوك حتى لو كان ضعيفًا سيفعل فيك أي شيء سيمزق لك ملابسك حتى لو لم يستطيع أن يجرحك المهم لا بد أن تصاب ، فكان في مشاكل بينا وبين الناس بسبب أننا لا نفهم ، أريد مثلًا أصلي سنة المغرب القبيلة ، لا ، الناس عندها المغرب جوهرة فالتقطوها والمغرب غريب وغير ذلك الكلام الذي يقولونه هذا، نحن نريد أن نثبت ركعتين قبل المغرب لكي تكون سنة وغير ذلك ، فناطحنا في المسألة هذه وكنا نصلي غصب عنهم كانوا يجلسوا يسبوننا طول ما نحن نصلي ، فبدل ما أنت تسبني قوم اركع ركعتين أو افعل شيء ، لا ، فغاضب مني فلا يريد أن يصلي ، لماذا ؟ ، لأنه لو صلى يكون أنا هكذا أجبرته على الكلام هذا وهم ناس كانوا كبار في السن ، وكان قديمًا احترام الكبير حتى لو لم يكن قريبك كانت هذه مسألة مقدسة ، فكان الكبير له هبة ، فكيف أنا أكون ولد

صغير وكيف أنا أجبره على أنه يصلي ركعتين سنة المغرب ؟ لابد أن نفعل الذي في ذهننا وفي الآخر لم نستطيع أن نجعلهم يصلوا الركعتين ، أنظر بعد هذا الجهد ، حتى ما قبلنا المشايخ في القاهرة وتعلمنا وغير ذلك فقال لي: أحسن إلى الناس كان معي زجاجة ورد عطر بكم قرش كانت رخيصة الزجاجة هذه هي التي جعلتهم يصلوا الركعتين .

لكن المناطحة التي فعلناها لم تأتي بنتيجة عندما كنت أصلي مثلاً أعطر وأفعل وغير ذلك ، يا جماعة نصلي ركعتين سنة المغرب وغير ذلك أنت أحسنت إليه وعطرته ورد ، وهذا رجل فلاح يأتي من الغيط عرق ومرق لا عمره عرف عطر ولا عمره عرف الكلام هذا ، فهو عندما يظل يشم في يده فأنت أحسنت إليه فأنت بالقصة هذه ، كان المفترض لو أننا دارسين وفاهمين وأحد علمنا كان المفترض نهى للركعتين هؤلاء بدرس بكلمة صغير ، يا جماعة الخير النبي ﷺ كان يصلي بعد المغرب ركعتين وطبعاً نحن نريد أن نكثر حسناتنا بما فتح الله لا أعلم الواحد ماذا سيقول وقتها ، لكن لو قال هذا الكلام ممكن واحد يقول لك: أوقفوا الكلام الفارغ الذي تقولوه أتيتم بدين جديد وفعلتم فينا أقف يا رجل أنت أقم الصلاة ، لا تجادل أدخل أقم الصلاة ، أيضاً في النهاية ستجد لك واحد أو اثنين من الناس الكبار أمام الصناديد المخالفين هؤلاء هم يتفاهموا مع بعض وسأخرج منها ، يا حاج فلان ، لا ، لا يصح أيضاً ، هو يقول: ركعتين يا أخي هذا كله لله يا حج ، لماذا لا تصلي الركعتين ؟ النبي يقول كذا وكذا وكذا يا لا يا رجل أنت نصلي الركعتين وأقم الصلاة .

كان ممكن المسألة تسير بالقصة هذه بل واحد من ضمن الجماعة عندما وجدني أريد أن أصلي وأجادل ونطح في بعض وغير ذلك أحب أن يظهر لكل الجالسين أنني ولا أساوي شيء ، فبعد ما صلينا العصر في يوم والناس جالسة الكبار ، فيقول لي: أنت وأنت نائم هكذا لا يأتي لك عجل يجري وراءك في المنام يوقظك ؟ ، قلت له: لماذا يجري وراءك ؟ قال: لكي يوقظك للصلاة العجل ، هذا مثل المنبه لكنه عجل يجري وراءك في المنام فتستيقظ مفزوع وإذا بك تسمع الأذان يكون العجل هو الذي أيقظك للصلاة شكراً أيها العجل ، قلت له: لا ، أنا

الحقيقة لا يأتي لي عجول ، قال لي: فأنت مازلت لم تدق في الولاية ، أي أنت لست ولي ولا غير ذلك ، أول مرة اعلم إن لكل ولي عجل ، عجل لكي ولي هذا إشعار نرفعه ، هذا أيضاً نوع من هو يريد أن يظهر أنك لا تساوي شيء طالما لا يأتي لك عجل تكون أنت ولا شيء .

نحن لم نعلم القضية هذه لو علمنا كنا مهتدين دائماً ، وهذا استفدناه من كلام علمائنا وعندما قرأنا في الكتب ورأينا العلماء ، قصة زكريا أتت قبل قصة عيسى لكي تقرب المسافة ، فمن أول السورة حين ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ (مريم: ٨٨) كلها رحمت ، مثل الإحسان هكذا ، أكثر سورة تردد فيها معنى الإحسان ومشتقاته من جهة اللفظ والمعنى سورة يوسف ، لا توجد سورة أبداً اشتملت على الإحسان بمشتقاته قد سورة يوسف ، لماذا ؟ كلها إحسان من أولها لأخرها ، وترى كيف أن الله Y لطف بيوسف v وكيف أحسن الله إليه فأحسن هو في مراقبته لربه مع امرأة العزيز ، وفي مراقبته لربه في تأويل الرؤيا للذين سجنوه كان ممكن يقول: أتركهم يجوعوا هؤلاء ، ولم يفسر الرؤيا فقط هذا فسر الرؤيا وأعطاهم شيئاً زائداً على التفسير وهو أنهم يخزنوا ، لا يأتي بالسنبلة ويقشرها يتركها كما هي لكي لا يأكلها السوس مع إن هذا ليس هو أصل الرؤيا ، لا ، زاد وأحسن في تفسيره أيضاً ولم يقتصر على تأويل الرؤيا بل أحسن وهكذا .

فأنا أريد أن أقول: الذي يريد أن يحب ربه لابد أن يعرفه لم يعرفه فلم يحبه ، ولذلك لماذا يسهل علينا المخالفة ؟ ، إما لأننا لا نعرف الصفة رأساً ، أو أننا لم نستحضرها وقت الذنب لأنه لا يوجد إنسان معصوم كل واحد غير معصوم ، النبي p يقول: « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » لأنه يستحيل يكون مستحضرًا للإيمان حال الزنا وإلا لو مستحضر الزنا يحول أبداً لابد أن يحول بينه وبين المعصية ، لكن في وقت الفعل لم يكن مؤمناً ويؤيده حديث أبو هريرة أيضاً ، النبي p قال: « إذا زنا العبد ارتفع منه الإيمان كالظلة » مثل الشمسية هكذا يتركه الإيمان يترك العبد يفارقه أول ما يزني ، فإن تاب رجع وإلا لم يعد إليه ، إن تاب العبد

يرجع إليه الإيمان مرة أخرى ، لأجل هذا العبد يجتمع فيه إيمان وكفر ومعصية وبدعة وسنة وهكذا .

إذا معرفة المعبود تبارك وتعالى لا تكون إلا بمعرفة أسمائه وصفاته ، من الكتب التي يمكن تنفعك في هذا الباب كتاب مدارج السالكين لابن القيم - رحمه الله - ، وعموماً مؤلفات ابن القيم في الرقائق دائماً يمس هذا الباب مساً رقيقاً ممكن تأخذ على منواله وتنسج نسجك ، لكن ابن القيم الحقيقة وإن كان ابن تيمية هو الذي يشير الإشارة لكن ابن القيم يوسع العبارة ويوضحها لك أكثر ، فأنت في هذا الباب تجد ابن القيم أعلى من شيخه ابن تيمية رحمه الله على الجميع وللحديث بقية إن شاء الله .

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم .

انتهى الدرس السابع أختكم أم محمد الظن.

بسم الله الرحمن الرحيم

(مدرسة الحياة - حقيقة العلم النافع)

الدرس [٨]

أبي إسحاق الحويني

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعين به ونستغفره ونعوذ بالله من شرر أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله تعالى فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد

كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد .
فهذا هو الدرس الثامن من شرح هذه الخاطرة من كتاب صيد الخاطر للإمام أبي الفرج ابن الجوزي والتي أسميتها بعنوان: (حقيقة العلم النافع) وهو شرح لكتاب صيد الخاطر والذي اصطلحت على تسميته بمدرسة الحياة .

كنا تكلمنا في المرة الماضية عن حقيقة العلم النافع قال: (معرفة المعبود تبارك وتعالى) وطبعاً هذا فيه كلام كثير جداً لكننا نمس المعاني مساً رقيقاً حتى نستطيع أن نكمل هذه الخاطرة .
قال: (والتأدب بأدب القوم والنظر في سيرة النبي p وصحابته) .

أنا أريد أن أسأل سؤالاً ، أنزل الله هذا الدين لنسعد أم لنشقى ؟ فهل كلنا سعداء بالإسلام ؟ ما معنى السعادة أولاً ؟ السعادة: انشراح الصدر والوصول إلى مطلوبك وهذا هو ملخص السعادة ، الذي تتمناه أتيت به مع انشراح الصدر ، لو وقفت في الصحراء ، الصحراء والفضاء الواسع كله حتى السماء كم وسعه ؟ واسع جداً ، عينك كم في كم ؟ عينك الذي بلعت هذا الكون كله وجاءت به من أقصاه إلى أقصاه ومن سماه لأرضه كم في كم ، ممكن العين تبلع الكون أم لا ، ممكن أليس كذلك ، الإنسان حاجاته وشهواته لها نهاية ، لذلك تظل عينه مفتوحة ، والنبي p بين هذا في حديث: «لو كان لابن آدم وادياً من ذهب لقال لو أن لي اثنين ولو أن له اثنين لقال لو أن لي ثلاثة ولا يملأ عينا ابن آدم إلا التراب وتاب الله على من تاب » ، الوادي كم قدره ؟ كبير أم صغير ؟ فيه أودية كبيرة وأودية صغيرة ، لما يكون عندك وادي ذهب عيار أربعة وعشرين جبال وأرض وكله وادي وأنت أردت أن تأكل ذهب ، لا تأكل لحم ولا سمك بل تأكل ذهب هل ستنهي هذا الوادي ؟ فلماذا تريد الثاني ؟ .

أنا لما أتيت وأتكلم عن السعادة أقول انشراح الصدر والوصول إلى مطلوبك ، فأنت مطلوبك لن ينتهي ، متى تصل إلى مطلوبك ، لا فيه ناس ماتت وكانت تتمني أشياء لم تعملها كما قال الشاعر:

وكم من حسرات في بطون المقابر

كان يتمنى أن يفعل أشياء ولم يفعلها ومات دون أن يفعلها ، فانا لما أقول لك الوصول إلى مطلوبك ، أنت تأتي وتقول لي: هذا مفتوحة جدا المفروض السعادة تعرفها تعريف غير ذلك ، لأن الوصول إلى المطلوب لن ينتهي ، أقول لك: ينتهي بشيء واحد اسمه القناعة وبحديث واحد يكفيك عن كل الأحاديث ، ضعه أمامك تجد السعادة في ركابك إذا عملتها ، « وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس » لأننا نريد أن نفسر الغنى والفقر لأن فيه ناس لا تفهم الحقيقة .

ما هو الفقر؟ الحاجة ، ممكن أكون أنا ملياردير والمليارات عندي عبارة عن بضاعة في المخازن ومطلوب مني أنني أسد شيكات نقدية وأنا محتاج عشرة جنيهات سيولة ولا أجدها ، فهذا غني أم فقير ، أنا أقول لك ملياردير ويريد عشرة جنيهات ولا يجدها ، يكون فقير ، أنت فقير ما احتجت إلى فلس ، لأن الفقر مقرون دائماً بالحاجة ولذلك قال الله Y: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ﴾ (فاطر: ١٥) ، فكل عبد مقرون بالفقر ومقرون بالحاجة ، طالما أن مطامعك لا تنتهي لها فلن يوقفها أحد إلا الموت ، أنا أريد أن أسعد في الدنيا لأن الله Y شرع لنا هذا الدين لكي أسعد ، كثير جداً من الناس أشقياء من المسلمين حياتهم يابسة جافة صعبة ، عنده اكتئاب نفسي ، عنده أمراض مزمنة ، لم يسعدوا عاشوا في الدنيا ولم يسعدوا بالإسلام لحظة مع أن الله Y أرسل رسوله بالهدى ودين الحق لنسعد في الدنيا ، فلماذا لا نسعد يا إخواننا ؟ لأن مطامعنا لا تنتهي ، النبي P قال: « وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس » .

ما هو المقسوم لك ؟ ما أنت فيه ، إذا عينك الذي أنا قلت لك كم مقاسها وقلت لك أنها بلعت الكون ، هذه العين لو أنت أتيت بورقة وعملت فيها ثقبين وعملت هكذا ، تقدر وهي أوسع من عينك تقدر ترى مثل عينك ، أنا أتكلم وأنظر إليكم وأرى الذي خلفي ، طرف العين يأتي وهذا الطرف يأتي بالشرق وهذا يأتي بالغرب ، ترفع يأتي بالشمال ونزل أتى

بالجنوب ، وهي حجمها صغير لكنها تملأ الكون ، « ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس » ، تسكن في عشة قل الحمد الله فيه غيري يسكن على الرصيف ، هذا لما يرضى بما قسم الله له ما الذي سيحدث له ، لكن كل إشكال يأتي من الطمع .

الصحابة لماذا سعدوا بالإسلام :

ونحن لم نعرف أن نسعد به ؟ لأن الصحابة كانوا إذا سمعوا الآية أو سمعوا الحديث كانوا يبادرون إلى تطبيقه عملياً مباشرة لدرجة أن تطبيق الأحاديث صار ملكة عندهم كالنفس لا يشعر إطلاقاً أنه بذل جهداً في تنفيذ الأمر أو في اجتناب النهي وهذا هو الفرق بيننا وبينهم ، مثلاً روى أبو عبد الرحمن السلمي بإسناد صحيح أخذ القراءة قراءة القرآن عن عثمان ؓ وابن مسعود ؓ ، قال : (حدثنا الذين كانوا يقرئونا القرآن أنهم أي الصحابة ، ما كانوا يتجاوزون العشر آيات حتى يعملوا بهن ، قال : فتعلمنا العلم والعمل جميعاً) وهذا هو الفرق ، قرأت آية أقف عندها وأنفذها وأرى سأنفذها مع من ﴿ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ (آل عمران: ١٣٤) ، لا تقول لي : أنا ربنا هكذا خلقي عصبي ، إذا كنت تريد أن تسعد بالإسلام أمامك آية ﴿ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ ﴾ اشتغل اذهب طبق الصحابة كانوا يفعلوا هكذا ، فعندما يأخذ كل حاجة ويفعلها فيسهل عليه العمل ، كما أنك تتنفس بسهولة ويسر هم كانوا هكذا يعملوا بسهولة ويسر ، لكن نحن نقول : احفظ اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان كره ، فحفظ له مثلاً سبعمائة حديث ، واحد ضربه يقول له : ما تفتح يا أعمى ، ما الذي استفدته من السبعمائة حديث ؟ ولا شيء ، هذا هو السر أننا لم نسعد بالإسلام وهم سعدوا به ، لأجل هذا النظر في سيرهم ضرورة ملحة كانوا في غاية الأدب .

حديث أبي بكرة في الصحيحين لما النبي ﷺ في يوم النحر ، ما هو يوم النحر ؟ ، يوم العيد يوم عشرة ذو الحجة أبو بكرة الثقفي ؓ كان ممسكاً بلجام بغلة النبي ﷺ من هو أكثر واحد ممكن أن يسمعه ؟ أبو بكرة نفسه لأنه واقف بجوار رقبة الدابة ، سأل الصحابة ، والصحابة يحجوا حجة الوداع ، « أي يوم هذا ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم لماذا هل أنت لا تعلم أننا يوم

العيد ؟ يوم العيد هذا أكثر أيام الحج عملاً كنوع من الشكر لله - تبارك وتعالى - تفعل فيه أربع أشياء في يوم النحر ، ترمي الجمرة الكبرى وتطوف طواف الإفاضة ، وتسعى سعي الحج ، وتحلق وتذبح أربعة من النسك وشغل كثير ، غير أيام منى تذهب ترمي الجمرات الثلاث وترجع تجلس في الخيمة ليس لك عمل غير هذا .

فهذا يوم النحر ونحن نحج ، ما الذي جعلهم يقولوا: الله ورسوله أعلم ؟ قال: ظنناه سيسميه بغير اسمه ، أصل يوم النحر هذا نحن كلنا نحفظه ، معنى يسألنا السؤال البديهي الذي كل الناس تعرفه يكون ، أكيد الجواب ليس الذي في ذهننا أكيد الجواب أنه ليس يوم النحر ممكن يكون سيتزل قرآن إن اليوم هذا اسمه يوم كذا ، فخافوا أن يتقدموا بين يدي رسول الله بقول ، لأجل الظن الذي دخل على قلبهم هذا ، قال: « **أليس يوم النحر ؟** » ، خرجت مثل ما نحن فاهمين قالوا: بلى ، قال: « **أي شهر هذا ؟** » ، المفترض جواب النبي ﷺ الأول يجعلهم يقولوا: ذو الحجة أصبحت العملية كما نحن نعلم لا سماه بغير اسمه ولا نزل في هذا قرآن ، أيضاً مازالوا خائفين « **أي شهر هذا ؟** » ، أين نحج ؟ في ذو الحجة اسمه معروف حتى في ذو الحجة « **أي شهر هذا ؟** » قالوا: الله ورسوله أعلم ، قال: « **أليس ذا الحجة ؟** » ، قالوا: بلى ، قال: « **أي بلد هذا ؟** » أيضاً هذا ممكن يغريهم الإجابة الثانية أصبحت أيضاً مثل ما في ذهننا ، أي لا يوجد وحي نزل ولا حاجة تغيرت كانوا ممكن يقولوا: البلد الحرام في مكة ، أيضاً واصلوا قالوا: الله ورسوله أعلم ، قال: « **أليس البلد الحرام ؟** » قالوا: بلى .

قال أنظر هذه القضية التي يريد أن يثبتها هناك قضية ثابتة وقضية يريد أن يثبتها فأتى بقضية لا يختلف عليها اثنان ليثبت قضية اختلف فيها الجميع ، يوم النحر لا خلاف فيه ، شهر ذو الحجة لا خلاف فيه ، مكة البلد الحرام لا خلاف أننا في البلد الحرام ، فأتى لهم بثلاثة أشياء مقابل الثلاث أشياء ، نحن لدينا اليوم والشهر والبلد ، قال: « **فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمتمكم في يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذه** » ،

الثلاثة أشياء التي أراد النبي ﷺ أن يشبها كانت مستباحة عند العرب ، الدماء كانت مستباحة أي واحد يريد أن يقتل أي أحد يذهب يقتله .

وعندنا المغيرة بن شعبة أقرب شيء لذهني الآن ، المغيرة بن شعبة صاحب قوما في الجاهلية ثلاثة عشر نفراً وكل واحد كان معه محفظته ومعه مال شربوا الخمر فلعبت برؤوسهم سكروا فقام عليهم ذبحهم كلهم وأخذ ما لهم ، وأين سيذهب ؟ التحق بالنبي ﷺ وأسلم ، وقال للنبي ﷺ: أنا كان معي ثلاثة عشر واحد ذبحتهم ذبح النعاج وأخذت نقودهم معي تفضل النقود التي أخذتها منهم ، فقال له النبي ﷺ كما في حديث المسور بن مخرمة في صلح الحديبية قال: «أما الإسلام فأقبله منك ، إنما المال لا أخذه إنه أخذ غدرًا» ، ما معنى واحد يذبح ثلاثة عشر واحد وغير ذلك ، وكانوا عادي جداً مسألة أن هذا يذبح هذا وهذا يحارب هذا وهذا كانت مسألة عادية جداً عند العرب ، فلم يكن لها حرمة فجعل لها حرمة بما يعتقدون حرمة « فإن دماءكم وأموالكم » ، أو أموالكم حتى أقرب أيضاً حديث لي حديث في صحيح مسلم حديث أبي هريرة ، أن رجلاً يأتي يوم القيامة ربنا ﷻ يقول له: أي فل ، فل ترخيم فلان ، أي فل وهذا يدل على أن الترخيم لا يلزم أن يكون عن دلال ممكن يكون كنوع من التقرير ، لكن الذي يعرفني أنه دلال أو تقرير السياق .

النبي ﷺ لما يقول لعائشة يا عائش فيكون غاضب منها ، وهذا نوع من الإدلال وهذا ترخيم ، لكن ربنا ﷻ يقول لواحد فاجر أي فل ، هذا فيه إدلال ، أي فل أي يا فلان ، فالسياق هو الذي يبين إذا كان هذا إدلال أم تقريراً ، قال له: ألم أدرك ترأس وتربع وأركبك الخيل والإبل وأزوجك النساء ، فأين شكرك ؟ قال: أي ربي نسيت ، قال: فاليوم أنساك ، فهذا واحد عرفه الله نعمه عليه ، ألم أدرك ترأس ، كنت رئيساً وظللت رئيس سنين طويلة إذا أشرت بأصبعك فلان يدخل السجن فلا يخرج ، هذا يعدم فيعدم ، كان رأساً لا ترد له كلمة ، ألم أدرك ترأس وتربع ، المربع كانت العصابات في الجاهلية إذا هاجموا قوماً وأخذوا ما معهم

يعطون ربع ما غنموا لسيد الحي لكي يكرم الضيفان ، تكرم الضيفان من المال المغصوب المسروق، ويعمل مثل أدهم الشرقاوي .

أدهم الشرقاوي هذا عملوا لنا سيرة كبيرة جدًا وكانت فيه تمثيلية قديمًا كان اسمها أدهم الشرقاوي أيام الراديو السائل الذي كان يدور بالبطارية ، سنة أربعة وستين كان أول راديو يدور سائل يدخل البلد عندنا كان مثل التليفزيون أربعة وعشرين بوصة ، ولدرجة أنهم كانوا يأتون بالبطارية ويركبون الغطاء لكي يعمل وكان جديد والناس كلها تجتمع ويتعجبوا ويقولون كيف يتكلم هذا الشيء ، حتى لدرجة واحد من أقربائي فتح هذا الشيء ورأى الموبينات والمقاومات فتصور أن هؤلاء هم الذين يتكلموا ، وهم هؤلاء الرجال فكيف سيتكلم ، وزوجة عمي رحمها الله الظهر قالت لزوجات أولادها قوموا واخبروا لأجل الجماعة الذين يتكلمون من الصبح هؤلاء وهذا حدث ، يتكلموا من الصبح هل هؤلاء كي يتناولوا الغذاء ووصلت القصة إلى هذه المسألة ، فكان شيء عجيب .

فكان راديو واحد أو اثنين في البلد ، بينوا بيت فكان زمان فيه مساعدات أهل البلد يساعدوا صاحب الدار لما يبني الدار مجاًئاً كنوع من المحبة ، يأتون بهذا الراديو ويبدءوا يسمعون مسلسل أدهم الشرقاوي ، وأدهم الشرقاوي هذا كان رجل يذهب إلى الأغنياء يسرقهم ويطعم الفقراء والناس تتصور أنه بطل ، الثورة استوحت تأمين أملاك الناس والإصلاح الزراعي من هذا الكلام ، واحد باشا عنده ألف فدان تأخذ منه الألف فدان غصب عنه وتعطيهم للناس ، هل هذا بمزاجك ؟ ألف فدان أنا ورثتها عن أبي لما تأخذها مني ، فمسألة التأمين هذه نوع من الغدر والجور على حقوق الناس ، أنا ممكن أعمل الموضوع أحسن من ذلك ، أي وأعمل المنظومة أنت مالك وعندك ألف فدان ، فهؤلاء الناس يزرعون بالنصف ، أنت مالك الأرض صحيح نزرع بالنصف وتساهم معهم في الكيماوي وغير ذلك ، فهذا المزارع يأخذ نصف المحصول والأرض تكون لصاحبها .

فهؤلاء الجماعة الجاهلين يخرجوا ويعملوا غارة على ناس يمشون ويأخذون كل الذي معهم ويذهبون لسيد الحي يقولون له حتى إذا جاء لك ضيف يشرب شاي وقهوة وتذبح له عجول وغير ذلك ، من أين أخذتم هذه الأموال ؟ أليست هذه أموال معصومة ليس لكم فيها ، فكانت الأموال مهدرة عندهم ، فأراد أن يثبت الأموال ويقول أن المال مثل البلد الحرام ، كما أنكم تعظمون البلد الحرام عظموا الدم وعظموا الأموال وعظموا الأعراض ، وأنتم تعرفون الرايات رايات البغاء التي كانت موجودة على دور مكة ، وكان كما في حديث عائشة في البخاري: كان النكاح على أنواع ، من ضمن أنواع النكاح في الجاهلية المرأة الواحدة يدخل عليها الرهط من الرجال عشرين ثلاثين واحد يدخلون عليها ، ثم إذا حملت تختار واحد من هؤلاء وتقول له هذا ابنك ، لماذا أنا ؟ هو كذلك ، فلا تلصق الولد بأحد إلا التاط به ولا يستطيع أن يتخلص منه ، فكانوا كالأنعام ، فعظم الأعراض .

لكن الشاهد في المسألة كما قلت لكم شدة أدبهم ﷺ ، حتى في البدهيات وقفوا لماذا ؟ يخشى أن يتقدم بقول يكون خطأ يتزل به وحي تبقى معرفته عليه وعلى نسله إلى يوم القيامة فكانوا يخافون ، طول ما فيه وحي يتزل يخافون كما قال ابن عمر: لما مات رسول الله انبسطنا إلى نسائنا ، انبسطنا: أي صار يتكلم بلا كلفة ، لماذا ؟ لأنه لو كان تكلم والوحي يتزل جائز واحد يقول كلمة هكذا أو هكذا يتزل فيه قرءان فكانوا يخافون ، فلما توفي النبي ﷺ وأمنوا أنه لا يتزل الوحي اخذوا راحتهم في الكلام ، فهذا أيضاً كان مانعاً لهم .

في الصحيحين أيضاً من حديث أبي واقد الليثي ؓ قال: بينما النبي ﷺ في المسجد يعظ أصحابه إذ أقبل ثلاثة نفر ، فأما أحدهم فوجد فرجة فدخل فجلس فيها والذي خلفه جلس في مكانه والثالث خرج من المسجد ، فالنبي ﷺ أكمل كلامه ، وبعد ذلك قال: « ألا أخبركم عن النفر الثالث ؟ » هؤلاء أذكركم حكايتهم وما ألوا إليه « أما الأول فأوى إلى الله فأواه الله ، وأما الثاني فاستحيا فاستحيا الله منه ، وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه » الكلام هذا مع النبي فقط ، أي لا يأتي مثلاً ونحن جالسين في المسجد هكذا أتوا ثلاثة وفعلوا نفس القصة هذه أنا

لا أعرف أن أقول الكلام هذا ، لو قلت الكلام هذا يكون ، ما اسمه ؟ افتيات على الغيب وهذا لا يجوز لا أستطيع أن أقول هذا آوى إلى الله فأواه الله وهذا استحيا والذي خرج من المسجد أعرض فأعرض الله عنه افترض أن عنده شيء .

فالحديث: « **أعرض فأعرض الله عنه** » ، هذا محمول على أن الرجل انصرف بغير حاجة وكثير من العلماء لم يجد مخرجاً من هذا إلا أن يقول الأرحح كان منافقاً لأن الله Y لا يعرض إلا عن من يستحق أن يعرض عنه لاسيما الرسول V إذا كان يعرف ، كيف طاوعك قلبك أن تترك مجلسه بغير حاجة ، ربنا I جعل علامة الإيمان في شيء يسير جداً ، إنما المؤمنون وهم يتكلم عن الاستئذان ، ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ** ﴾ (النور: ٦٢) جعل الإيمان كله في الاستئذان ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ** ﴾ (النور: ٦٢) ، فما هو الاستئذان وما الصعوبة التي فيه وجعل هذه تلك علامة الإيمان ، ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا** ﴾ (النور: ٦٢) .

فهذه الأشياء البسيطة التي أنت تمر عليها مر الكرام ممكن يعلق بها أعظم الأحكام لذلك في قصة جابر بن عبد الله في قصة الغرماء في دين أبيه لما كان لهم والني p دعا في الحديثة وكان لهم ووفاهم وبقي له ستة عشر صاعاً أو وسقاً أو أكثر كان النبي p ذهب إلى المسجد يصلي العصر ، قال: فجئته كأني شرارة ، فكأنني شرارة هذه تستطيع أن تتكلم عنها حتى الصباح ، لأنها مثل الاستئذان بالضبط ، كأني شرارة ، والشرارة كناية عن السرعة الشديدة ، ليخبر النبي p أن بركته دامت وظهرت في المكان وأخذ الغرماء كل دين عبد الله وبقي له من التمر كذا وكذا ، فهذه تدخل في باب البشارة لأنه يجرى على آخره ، جابر بن عبد الله في الخندق لما رأى النبي p جائع ماذا قال: فاستأذنته أن آتي البيت فأذن لي ، وهذه تدخل في باب الاستئذان .

الشيخ محمد عبده في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ (البقرة: ١٢٨) ، ثبت عن ابن عباس أنه قال: إن هذا تقليم الأظفار وغسل البراجم وغير ذلك ، فالشيخ محمد عبده قال: هذا من وضع الإسرائيليات واليهود الذين يريدون أن يشوهوا ديننا ولو ابتلي آحاد الناس بمثل هذا لفعله ، فكيف يمكن أن تكون هذه الأشياء هي التي مهد الله لإمامة إبراهيم بها ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ ما هي الكلمات؟ قال: قص الأظفار ، قال: ما التي فيها ؟ أنا لو قلت لطفل صغير: يا بني قص أظفرك سيقصها ، فهل يمكن أن يكون قص الأظفار ونتف الإبط وغسل البراجم وغير ذلك هي الكلمات التي أمر الله إبراهيم ﷺ أن يتمهن حتى يجعله للناس إماماً وأي طفل في الشارع ممكن يفعلها ؟ ، قال: هذا كلام يهود ودخلوا علينا وغير ذلك ، والشيخ محمد عبده - رحمه الله - كان مُزج البضاعة في علم المرويات بل كان يخضع تحت خط الفقر فيها .

واحد من الشام كان مفتي الشام وكان الشيخ محمد عبده آنذاك هو مفتي الديار المصرية وهذا كان مفتي الشام كان يعيش في دمشق ، لما قرأ الكلام هذا عن محمد عبده في مجلة المنار الذي تلميذه محمد رشيد رضا كان يكتب تفسير القرآن فيها ، لما وجد الكلام هذا أرسل رسالة لمحمد عبده ، والكلام هذا موجود في تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا ، وموجود في نموذج من الأعمال الخيرية لمحمد منير الدمشقي ، لكن محمد منير الدمشقي عرفنا من هو الشخص الذي أرسل الرسالة للشيخ محمد عبده ، فأرسل له قال له: كيف تقول هذا مما دس على ديننا والكلام هذا وأنه إسرائيلييات وقد صح هذا بأسانيد صحيحة عن ترجمان القرآن بن عباس ؟ فالشيخ محمد عبده قرأ الرسالة لم تعجبه ، فألقاها لمن ؟ ، كتب عليها الشيخ رشيد رضا يجب هذا الحيوان بهذه العبارة الشيخ رشيد رضا كتبها الشيخ رشيد رضا يجب هذا الحيوان ، من هذا الحيوان ؟ كان مفتي دمشق ، أي في منزلة محمد عبده في المناصب الرسمية .

لكن لأن الشيخ محمد عبده كان رجل عقلاني يقدم العقل وإن لم يعجبه شيء في النقل يلقيها وراء ظهره ، من الذي أدراه إن قص الأظفار والبراجم وغير ذلك كان أمراً سهلاً إذاك ، ما

الذي أعلمه ؟ هو سهل عندك الآن لكن ، هل كان سهلاً يوم كلف إبراهيم ؟ ، أتني بما يدل على أنه كان سهلاً كما يقول العلماء في مناظراتهم: ثبت العرش ثم انقش ، لا يستقيم الظل والعود أعوج أقم العود الأول يطلع الظل على العود ، لكن العود يكون أعوج فلا تقل لي: الظل يكون مضبوط ولا مستقيم اثبت لي الأول أجب لي عن هذا السؤال: هل لديك دليل على أن تقليص الأظفار ، نتف الإبط ، البراجم وغير ذلك كان سهلاً بإسناد صحيح ، إذا لم يستطع أن يجيب عن هذه فلا يجوز له أن يعترض على ابن عباس لاسيما وقد صح الإسناد إليه ، بل له أكثر من إسناد صحيح إلى ابن عباس ، فأنا أضم هذا الكلام إلى سنة الاستئذان ، لما أتى أقول: استئذان النبي دلالة على رسوخ الإيمان في قلب العبد ، لا يأتي واحد يقول لي: ماذا يكون الاستئذان ؟ واحد يقول له: عن إذنك أنا ذاهب للبيت ، ما الذي فيها ؟ كما أن هذه أنت تراها سهلة جداً وترى أنها لا تدل على شيء إلا إن في آية قرآنية يدبغ بها المعارض ، فإن تقليص الأظفار وإن كان شيئاً سهلاً يسيراً علق الله الإمامة عليه كما علق الإيمان على الاستئذان وهو ما أيسر الاستئذان ؟ أنت تقول: أنا استأذن أن أتى على البيت هذه أخت هذه .

ففيه الأشياء الصغيرة التي نأخذها من حياة الصحابة مع النبي ﷺ هذه لا يصلح فيها إلا أن تتأدب بأدب الناس أدب القوم الذين ابن الجوزي يقول عليهم القوم الذين هم الصحابة ابتداءً ، لأنهم كانت عبادتهم بلا تكلف سهلة ، والذي يتبع الصحابة في الأقوال والأفعال وفي الفقه وفي السلوك والأخلاق يستمتع بالإسلام أكثر من إتباعه لمن جاء بعدهم ، لأن من جاء بعدهم من شدة ورعهم عثروا على أنفسهم ما كان يسيراً عند الصحابة ، لما تأتي تقول لواحد من التابعين الذين تحت: أدعو الله بعمل أخلصت له فيه ، يقول لك: هل أنا مخلص ولا أعرف عن الإخلاص شيء الله اعلم ، لكن لو قلت للصحابي يأتي لك بعمل أخلص لله فيه أيسر كانوا أيسر عبادة ، واحد يسمع الإمام يقرأ في المحراب قرآناً صوته جميل آيات مؤثرة تسمع نواحاً في المسجد هذا يصرخ وهذا يصرخ والمسجد أصبح سوق ، وعند النساء تجدهم يلطموا مثلاً ، أنا أريد أن أفهم الصحابة هؤلاء لم يسمعوا قرآن قبل ذلك ، هل أحد منه فعل هكذا ؟ هل

أحد منهم لما بكى صرخ ؟ ، لا ، أنس بن مالك كان يصف بكاءهم كان يقول: كان لهم خنين ، خنين: أي مكتوم هؤلاء الصحابة .

وعائشة تقول: إن القرآن أعظم من أن تتزف عليه قلوب الرجال ، تسمع القرآن يغمى عليك ، كيف يغمى عليك كيف يذهب عقلك ؟ إنما نزل القرآن لإحياء قلبك ليس لكي يغمى عليك ، فما الذي فعلناه ؟ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ (الأنفال: ٢٤) ، وقال تعالى: ﴿ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا ﴾ (يس: ٧٠) فالصحابة كانوا يسمعون القرآن تقشعر قلوبهم وتقشعر جلودهم ثم تلين لذكر الله Y ويستأنفوا العمل هؤلاء الصحابة ، فأنا عندما أقول لك: اسمع القرآن مثل الصحابة ما كانوا يسمعون ولا تسمعه كما كان يسمعه أهل البصرة يسمع القرآن يغمى عليك ، لا ، أسمعه مثل ما كان الصحابة يسمعه ستجد الدنيا أسهل عليك فكلما علوت كلما سعدت ورأيت الدين سهلاً جداً ليس فيه أي مشكلة ، لكن الذي عقد الدنيا في مسألة السلوك شغل التصوف وغير ذلك ودخلوا في رياضات التجويع وغير ذلك ، وأنا أيضاً في صلة بن أشيم أبو الصهباء الذي ذكر به المثل يقول: اللهم أنجني من النار أو مثلي يسألك الجنة .

الرسول كان يسأل الله الجنة والصحابة كانوا يسألوا الله الجنة ، لماذا لا تسأل الجنة ؟ يقول: لا أثق بعملتي يدخل له الورع ممكن إذا اشتد ممكن يدخل على النبي آدم شيء من الوسواس ، يكون عنده وسواس في الورع أنا عملي سيقبل ؟ لا لن يقبل ، مثلما أنا شرحت قبل ذلك في مدرسة الحياة أحد علماء الكبار من علماء المعاملة الذين يسميهم ابن الجوزي علماء المعاملة وهم أرباب الزهد والورع وغير ذلك ، كان له حانوت في السوق ، حانوت: دكان ، جاءت حريق أكلت السوق كله إلا دكانه فجاء واحد قل له: أنظر السوق أحرق كله ما عدا دكانك ، قال: الحمد لله ، ثم جعل يستغفر الله من هذا الحمد أربعين سنة أستغفر الله أني حمدت الله ، أستغفر أني حمدت الله ، أستغفر الله أني حمدت الله ، أربعين سنة ، لماذا هل الحمد لله ذنب يوجب الاستغفار ؟ لا ، ألقى في روعه أن الحمد لله إن أنا نجوت كأنك لست

حزين على الذين حرقوا ، كأن الذين حرقوا ولا أنت حزين عليهم ولا غير ذلك إلى آخره ، فدخل له الفكر هذا فجعل يستغفر الله من هذا الحمد أربعين سنة هل في ممكن أحد من الصحابة يفعل الكلام هذا ؟ .

لأجل هذا أقول لكم: أنت تريد أن تسعد بالإسلام وتستمتع به عليك بجمل الصحبة أنا لا أريدك أن تنزل للتابعين لأن نحن لدينا الذي فوق جداً لدينا النبي ﷺ والجيل الذي رآه وطبق في حياته ﷺ أيضاً وليس من رأى كمن سمع ، وهذا ليس قدح لا في التابعين ولا في تابعيهم ولا إلى آخره ، لكن كل واحد يريد أسوة أقول كما قال المتنبى:

ومن أراد البحر استقل السواقيا

الذي يريد أن يشرب مياه صافية يذهب إلى لجة البحر من الداخل ، لا يذهب إلى قناة آتية من البحر ويشرب لأن من السهل جداً أن تتعكر هذه القناة ، ولنا إن شاء الله في هذه الليلة نماذج كثيرة سنذكرها من أخلاق الصحابة والتابعين ومن بعدهم أن شاء الله . أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم .

انتهى الدرس الثامن نسألكم الدعاء أختكم أم محمد الظن.

بسم الله الرحمن الرحيم

(مدرسة الحياة - حقيقة العلم النافع)

الدرس [٩]

أبي إسحاق الحويني

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعين به ونستغفره ونعوذ بالله من شرر أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله تعالى فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد .

فهذا هو الدرس التاسع في شرح هذه الخاطرة من كتاب صيد الخاطر لأبي الفرج ابن الجوزي - رحمه الله تعالى - والذي عنوانها (**حقيقة العلم النافع**) ، ولكن قبل أن أبدأ في الكلام فالليلة هي ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان لسنة ألف وأربعمائة واثنين وثلثين من هجرة خير من وطأ الحصى نبينا محمد ﷺ ، كثير من الناس يعتقد أن ليلة السابع والعشرين هي ليلة القدر لكن هناك إشكال وهو إذا اختلفت المطالع في البلاد الإسلامية ، فمن أسعد الناس بليلة القدر ؟ هذه الحمد لله اتفقت اغلب الدول على مطلع واحد الله أعلم ، ماذا سيكون شكل العيد سنتفق أم سنختلف ؟ لكن كالعادة في كل سنة مصر والسعودية يختلفوا مع بعض نحن قبلهم بيوم نحن بعدهم بيوم ، ليلة سبعة وعشرين عندهم غير ليلة سبعة وعشرين عندنا ، من أسعد بها نحن أم هم ؟ أنظر النبي ﷺ فيما يتعلق بليلة القدر تدرج معنا في عدة مراحل في حديث ابن عمر قال: « **أرى أن رؤياكم تواطأت على أنها في السبع الأواخر من رمضان** » ، وفي حديث آخر لعائشة وابن عباس وأبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: « **التمسوها في وتر العشر الأواخر** » ، وهناك أحاديث أخرى صحيحة « **التمسوها في العشر الأواخر** » ، لكن أكثر الأحاديث نصت على الوتر منها ليلة واحد وعشرين وهذا ما رجحه الشافعي نصاً أي الشافعي يقول: الراجح عندي أن ليلة القدر هي ليلة أحد وعشرين ، و علماء آخرون قالوا ليالي أخرى ، لدينا حديث رواه مسلم وصححه الترمذي وغيره من حديث زر بن حبيش - رحمه الله تعالى - وطبعاً ٢٠ ممكن لكن اصطلاح هكذا التابعين تقول: رحمه الله ، الصحابة ١٧ ، والرسول يقول: ١٧ ، لكن ممكن تضع هذه مكان هذه مثلاً ممكن تقول: أبو بكر صلى الله عليه وسلم أو صلى الله عليه ، مثل ما النبي ﷺ قالت امرأة جابر للنبي

p: يا رسول الله صلى عليه وعلى زوجي ، قال: «صلى الله عليك وعلى زوجك» ، ولكن لأن المسألة أصبحت اصطلاحية فنحن نراعي الاصطلاح في المسألة ، فتكون الصلاة والتسليم على الأنبياء ، والترضي على الصحابة ، والترحم على التابعين فمن بعدهم من المسلمين ، زر بن حبيش رحمه الله قال لأبي بن كعب: يا أبا المنذر أرايت أخاك عبد الله بن مسعود يقول: (من يقيم الحول يصب ليلة القدر) ، الذي يريد أن يصيب ليلة القدر يصلي اثني عشر شهرا الكلام واضح من يقيم الحول يصب ليلة القدر ، قال: يرحم الله أبا عبد الرحمن أراد ألا تتكلموا وإنه ليعلم أنها ليلة سبع وعشرين ، هذا نص في المسألة لكن أعطانا علامة تكون ليلة سبعة وعشرين ليس لها قيمة ممكن تكون خمسة وعشرين ، ثلاثة وعشرين ، واحد وعشرين ، قال: وتكون الشمس صبيحة يومئذ بيضاء نقية لا شعاع لها تكون مثل القمر هذه الليلة هي العلامة التي لا تتغير لكن الليلة تتغير هو قال: ليلة سبعة وعشرين ، نحن أم غيرنا في اختلاف المطالع أسعد بسبعة وعشرين ؟ الله أعلم ، لكن العلامة لا تتغير علامة الشمس فحيث وجدت علامة الشمس هكذا تكون الليلة التي قبلها كانت ليلة القدر سواء كانت ليلة واحد وعشرين ، ثلاثة وعشرين ، خمسة وعشرين ، سبعة وعشرين ، تسعة وعشرين وفي بعض الأحاديث الصحيحة وفي آخر ليلة من رمضان ، ممكن تكون آخر ليلة من رمضان ليست وتر ممكن رمضان يكون كامل تكون ليلة ثلاثين لأن الجماعة الذين بعد سبعة وعشرين يرجعوا خلاص هكذا أخذنا ليلة القدر وضعناها في جبيننا والحمد لله رب العالمين ، لا ، الذي يريد أن يرى ليلة القدر يصلي وبعد ذلك ممكن يطلع على الشمس أول ما تخرج الشمس لو وجدتها مثل القمر تستطيع أن تنظر لها تكون هذه ليلة القدر التي كانت قبلها ، لو لها شعاع أنت تعلم لو أن لها شعاع لا تستطيع أن تنظر لها شعاع على الفور تكون هذه ليست ليلة القدر ، فجماعة يقولوا لي أنها كانت أمس كانت ليلة خمسة وعشرين ليس من الضروري ، لكن الصحيح والصواب من أراد أن يدركها فليقم العشر الأواخر كلها صح أغلب الأحاديث كما قال الترمذي - رحمه الله -: (أنها في الوتر في العشر الأواخر) مثل إذا كانت آخر ليلة في رمضان ، فما الذي

يضمنك المسألة كيف ستكون ؟ فإذا قمت العشرة الأواخر تكون أصبت ليلة القدر ، ونسأل الله Y ألا يجرمنا هذه الليلة المباركة .

نتمم كلامنا الخاص بخاطرة ابن الجوزي يقول ابن الجوزي - رحمه الله تعالى - : (رأيت جماعة من العلماء يتفلسفون ، ويظنون أن العلم يدفع عنهم وما يدرون أن العلم خصمهم و أنه يغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد وذلك لأن الجاهل لم يتعرض بالحق والعالم لم يتأدب معه ، ورأيت بعض القوم يقول: أنا قد ألقيت منجلي بين الحصادين ونمت ثم كان يتفلسف في أشياء لا تجوز ، فتفكرت فإذا العلم الذي هو معرفة الحقائق والنظر في سير القدماء والتأدب بآداب القوم ومعرفة الحق وما يجب له ليس عند القوم ، وإنما عندهم صور ألفاظ يعرفون بها ما يحل وما يحرم وليس ذلك العلم النافع ، إنما العلم فهم الأصول ، ومعرفة المعبود ، وعظمته وما يستحقه ، والنظر في سير الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته ، والتأدب بآدابهم ، وفهم ما نقل عنهم هو العلم النافع الذي يدع أعظم العلماء أحقر عند نفسه من أجهل الجاهل ، ورأيت بعض من تعبد مدة ثم فتر فبلغني أنه قال: قد عبدته عبادة ما عبده بها أحد ، والآن قد ضعفت ، فقلت: ما أخوفني أن تكون كلمته هذه سببا لرد الكل لأنه قد رأى أنه عمل مع الحق شيئا ، وإنما وقف يسأل النجاة بطلب الدرجات ففي حق نفسه فعل ، وما مثله إلا كمثل من وقف يُكدي فما ينبغي أن يمن على المعطي ، وإنما سبب هذا الانبساط الجهل بالحقائق).

هنا يذكر سيرة رجل الذي قال: عبدت الله عبادة ما عبده بها أحد والآن ضعفت أي اتكل على سابق جده وهو يصوغ ضعفه الآن وعوده عن العبادة بما كان من الجد في ماضيه ، يقول ابن الجوزي: (ما أخوفني أن تكون هذه الكلمة سببا لرد كل عمله ماضيه وحاضره ومستقبله) ، لماذا ؟ لأن فيه إدلالا بالعمل على الله ولا ينبغي لأحد أن يقع في هذا الإدلال بعدما قال رسول الله ﷺ: «اعلموا أنه لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله» ، قالوا: ولا أنت يا رسول الله ، قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته» ، أي إنسان بعد هذا الحديث يرى أنه عمل

شيئاً هذا ينبغي أن ينظر إلى نفسه الحمقاء وينظر ، ما الذي فعله أصلاً ؟ لأن المسألة كلها عبارة عن عبادة في مقابل نعمة فترى نعم الله عليك قال تعالى: ﴿وَأِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ (إبراهيم: ٣٤) ، قال بعض العلماء: جاءت لفظة نعمة مفردة إذا كنت لا تحصي ما في النعمة الواحدة فكيف بباقي النعم ؟ مع أن المقام مقام تكثير وليس تقليل كان يكون الكلام: ﴿وَأِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ النعمة الواحدة فيها نعم كثيرة قال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات: ٢١) يطول عجي واستغرابي أن أجد طبيباً ملحدًا أو زنديقاً أو فاسقاً أو لم يستفد من علمه شيئاً في تمجيد الله - تبارك وتعالى - وتسبيحه وتحميده أي عضو من أعضاء الإنسان فيه معجزات بعضنا علم بعضها وكثير جهل الكل ربنا Y عندما يقول: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ أولى الناس بهذا الذين يكلموننا على مسألة التشريح ، وكيف أن المخ يرسل الإشارة العصبية للعضو وكيف يعمل ؟ والأعصاب الإرادية التي داخل الجسم التي تشغل القلب والمعدة والأمعاء وأنت نائم ، ثم الأغرب من هذا لو تصورنا أن الإنسان هذا عبارة عن آلة أحسن موتور في الدنيا كلها يقول: عندما تقف بجواره لا تسمع له صوت لكن عندما تعطي أذنك تسمع زنة خفيفة أنا أريد كل عضو في جسمك يزن وهو يعمل ، اجعل المخ وهو يعمل يزن زنة خفيفة وأذنك تزن ورموشك تزن وأنفك وعينك وفمك واللثة ، كل عضو من الأعضاء هذه سنعتبره موتور ويزن ، هل ممكن أن تعيش ؟ المعدة عندما ترى حركة العدة حركة قوية جداً ومثل المسكين الذي يذهب ويأتي يذهب ويأتي ترى الحركة تستغرب جداً جداً ، كيف بطنك فيها سعة المعدة تذهب وتأتي فيها المعدة مزنوقة عندما ترى حركة المعدة في السنار وغير ذلك تسجد تخر ساجداً ، الدم أكيد أي واحد فعل سنار ورأى الدكتور يرفع صوت ضخ الدم أنظر مثل الشلال لأن القلب إذا انقبض يدفع الدم بمنتهى القوة إلى أخمص قدمك وعندما ينبسط يشفط الدم مرة أخرى ، القلب الذي ينقبض وينبسط هذا في ثواني غمضة عين أنت تحيل السرعة التي يدفع بها الدم والسرعة التي يأخذ منها الدم مرة أخرى ، عندما نجلس نتكلم عن بدن الإنسان وغير ذلك لا تنتهي ، فأنا لا أفهم

كيف يكون طبيب ولا يصلي مثلاً أو لا يسبح ربه Y ؟ أولى الناس بأنه يحني رأسه في الأرض هم الأطباء ، لماذا ؟ لأن كما قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ (غافر: ٥٧) نحن لا نعلم شيء لا نعلم شيء في السماوات ولا نعلم شيء في الأرض كل المسألة أنك كل الذي تفعله أنك مشوار حياتك تذهب للشغل ترجع من الشغل تذهب مثلاً تتفصح إذا كان لديك مال أو غير ذلك تركب طائرة ترى الغمام والطائرة فوق السحاب لكن لا ترى غابات ولا ترى حشرات ولا ترى شيء أقرب شيء إليك بدنك هذا أقرب شيء إليك الذي تستطيع أن تتأمل فيه ، أنا أحب المعرفة أجلس مع أي أحد أجعله يتكلم ، أجلس مع نجار مع سباك مع ميكانيكي مع أي أحد أحب أن أعلم الذي لديه وأقول له: سيحدث كذا لو حدث كذا وغير ذلك ، فبالتالي عندما أنا بدأت مع رحلة العلاج وغير ذلك بدأت أرى الأطباء الذين مررت عليهم أخذ من معارفهم ، فنظرت إلى شيء بسيط جداً المتعلق بسبب مرض السكر وهو نقص الأنسولين الذي يفرزه البنكرياس خلايا بيتا الموجودة في البنكرياس لا تفرز الأنسولين الكافي الذي لا يحرق السكر الزائد ، لا ، الأنسولين هذا معه مفتاح الخلية كل خلية لها شفرة ولها مفتاح ، فالمفترض أنك بعد ما تأكل والجسم يهضم الأكل كله والأمعاء تدفعه الحمالات تمصه تدفعه للجسم يكون الجسم الدم كله محمل بالغذاء الذي هضمه الجسم ، فالغذاء هذا يتحول لسكر طبيعي لأنه هو الذي يعطي الطاقة المفترض إن الخلايا تأخذ الدم المحمل بالغذاء تفتح بابها وتأخذ الدم المحمل بالغذاء والأكسجين لأن كل خلية تساوي بني آدم لها تنفس ولها إخراج مثل البني آدم بالضبط الخلية الواحدة مثل البني آدم لها خصائص الإنسان ، وأخبرني بعض علماء الطب إن الخلية هذه التي أنت لا تراها بالعين المجردة ملفوف فيها حبل الذين يسموه الداتا الذي فيه عمر الخلية وغير ذلك طوله اثنين متر أي لو أتيت بسن قلم ووضعت نقطة على الورق ، هل تستطيع أن تلف في سن القلم هذا اثنين متر ؟ تاريخ الخلية ، الخلية عندما تمرض ممكن يعلم تاريخ المرض من تاريخ الخلية نفسها ، فالأنسولين هذا عبارة عن معه المفتاح إذا نقص الأنسولين في الدم يقف الدم المحمل بالغذاء

والأكسجين على باب الخلية والخلية ترفض أن تفتح الباب ، لماذا ؟ المفتاح غير موجود تجد مريض السكر يخس ، لماذا يضر ؟ لأن فيه خلايا ماتت كانت المفروض تتغذى تأخذ غذاء تأخذ أكسجين فماتت الخلايا ، أنت عندما تأخذ الأنسولين ، الأنسولين أحدث نوع من أنواع الأنسولين الموجود حين الآن الأنسولين البشري يساعد إلى حد ما الأنسولين الطبيعي الباقي الذي يفرزه البنكرياس في أنه يفتح باب أكبر قدر من الخلايا المستطاعة ويحرق الباقي من الدم يحرق السكر الباقي من الدم لكن لا يمكن أبدًا يفعل فعل الأنسولين الطبيعي لأنك عندما تأخذ مثلًا عشر وحدات ، هل أنت تعلم الجسم يحتاج عشرة بالضبط أم لا ؟ ممكن تأخذ عشرة يحدث لك هبوط وتعرق وألحقوني بسكر وعسل لكي ترفع الجسم يعطي الأنسولين على قدر الحاجة ثم يقف البنكرياس عن الإفراز ، عندما تجلس والبنكرياس هذا شيء بسيط لو دخلت على الكبد أو غير ذلك الكبد هذا ملك آخر أو الكلية أو القلب مثلًا ، فرينا I عندما قال: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ الإنسان يتأمل في حركة يده مثلًا الجماعة الذين يلعبون ويسيروا على السرك ويلعبوا الألعاب الغريبة جدًا التي ترونها وغير ذلك مرونة الجسم في حد ذاتها إنسان ممكن يحني نفسه يجعل نفسه دائرة صح ليس كل الناس صحيح ، لكن هو نفس النبي آدم هذا كان مثلك وبعد ذلك مع التدريب وإلى آخره وصل إلى هذا ، فالذي يريد أن يعلم الحقيقة ينظر إلى نعم الله عليه ، ثم ينظر إلى عمله ، وماذا نفعل ؟ ونضعها في الميزان ، الميزان ينصب يوم القيامة أنا أريد أن أرى ، هل فينا أحد يستطيع إذا وضع عبادته كلها من يوم أن ولد إلى أن يموت لو عمر عمر نوح v ، هل ممكن بنعم الله أو بنعمة الله I ؟ فالذي يدل بعمله ويعتقد أن نفسه عمل شيء هذا لا يفهم ، مثل ما ذكرت لكم بعد ما النبي p قال هذا الكلام أغسل يدك وأرح رأسك إنما نعيش بفضل الله Y ونطمع في مغفرته ، وأنا في الحلقات السابقة قلت: إن النبي Y عندما أثنى على ربنا وكان هو ساجد قال: « لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك » فالنبي p أبان أنه غير قادر على أن يأتي بكلمات يوفي بها حق الله Y من التوقير والإجلال والإكرام ، وإذا كان هذا هو النبي p الذي ربنا I

يوم القيامة يفتح عليه بمحامد لم يفتحها على أحد قبله قط عندما قال: ارفع رأسك وأشفع تشفع إلى آخر الحديث المشهور ، فهذا عندما يدل بعمله ابن الجوزي مثل له مثلاً قال: فمثله كمثل من وقف يُكدي فلا ينبغي أن يمن على المعطي ، يُكدي: أي يتسول ، قال: مثل هذا كمثل واحد يمد يده يتسول وعندما أخذ المال يمن على من أعطاه المال فما أقبح هذه الصورة ؟ إذا كان هو عمل إنما عمل لنيل الدرجات فلنفسه فعل كان يفعل هذا لكي يصل إلى درجة معينة في الجنة وإلى آخره ، وبعد ذلك بدأ ابن الجوزي يضرب المثل ببعض العلماء قال: وأين هو ، هو الذي هو من ؟ الذي يقول: عملت عملاً ما فعله لكني ضعفت السبي آدم الذي يدل بعبادته ، قال: وأين هو من كبار علماء المعاملة الذين كان فيهم مثل صلة بن أشيم إذا رآه السبع هرب منه وهو يقول إذا انقضى الليل عند صلاته: يا ربي أجري من النار أو مثلي يسأل الجنة .

حكاية أبي الصهباء وهو صلة بن أشيم هذا كان زوج معاذة العدوية :

معاذة العدوية هذه الراوية عن عائشة مشهورة في الرواة ولم يروي إلا حديثاً واحداً عن ابن عباس أي كان متخلياً مترهداً قليل الرواية يكنى أبا الصهباء قتل هو وابنه في معركة مع الترك بسجستان سنة اثنين وستين هجرية ، وأنا حاولت أن أتي لكم بعضاً من كلام له وحكايات له ومنها الحكاية التي أوردها ابن الجوزي - رحمه الله - إذا رآه السبع يفر منه ، الكلام الذي سأحكيه هذا أسانيدهم صحيحه الذي فيه كلام سأقول لك: فيه كلام ، والذي إسناده صحيح سأقول لك: إسناده صحيح ، يقول راوي القصة حماد بن سلمة عن ثابت بن أسلم البناي أن صلة كان في الغزو ومعه ابنه فقال: أي بني تقدم فقاتل حتى أحتسبك ، ما معنى أحتسبك ؟ أي يموت بين يديه فحمل الولد فقاتل حتى قتل ، ثم تقدم صلة فقتل فاجتمع النساء عند امرأته معاذة فقالت: مرحباً إن كنتن جئن لتهنئني وإن كنتن جئن لغير ذلك فارجعن ، مات زوجها ومات ولدها تقول: إذا كنتم أتيتم تهنئوني أهلاً وسهلاً أتيتم تلطموا وتعددوا ولم يكن يومك وغير ذلك ، لا ، هو يومه ، كيف لا يكون يومه ؟ ﴿ إِذَا جَاءَ

أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ (يونس: ٤٩) ، يكون الذي مات أتى يومه أم لم يأتي ؟ أتى يومه ، يكون الذي يقول: لم يكن يومه هذا بني آدم جاهل لا يعلم حمق العبارة التي يتكلم بها كأنما حدث خطأ كان المفروض يعيش يوم أيضًا ، والحكاية القادمة قال الذهبي فيها: هذه كرامة ثابتة لصلته ولها أكثر من إسناد ليس لها إسناد واحد لها أكثر من إسناد

يقول صلة بن أشيم - رحمه الله - : (خرجنا في قرية وأنا على دابتي في زمان فيوض الماء أي أوقات الفيضان ، فسرت يومًا لا أجد ما أكل فلقيني عالج العجم من العجم أي رجل قوي من العجم ، يحمل على عاتقه شيئًا فقلت: ضعه فإذا هو خبز ، قلت: أطعمني قال: إن شئت ولكن فيه شحم خنزير ، فتركته ثم لقيت آخر ، فقلت: أطعمني ، قال: هو زادي لأيام ، هذا أكلي لمدة ثلاثة أربع أيام فإن نقصته أجمعتني فتركته ، فوالله إني لأسير إذ سمعت خلفي وجبة مثل دقة كوجبة الطير فالتفت فإذا هو شيء ملفوف في سب أبيض ، السب: هو الخمار ، فترلت إليه فإذا دوخلة الدوخلة -: القفة التي تصنع من الخوص لكن صغيرة على قد أن يوضع فيها تمر دوخلة من رطب في زمان ليس في الأرض فيه رطبة واحدة فأكلت منه ثم لففت ما بقيا وركبت الفرس وحملت معي نواهن ، النوى: نوى البلح ، عندما يتحدثوا كلام لعالم لكن نحن لا نعلم لماذا العالم هذا قاله ما هو السبب الذي قاله ؟ ، فممكّن يكون صلة بن أشيم واحد يقول له: أنا والله ذهبت وجعت ولم أجد من يطعمني وغير ذلك فيئست من نفسي ، فضرب له المثل بنفسه أنه إذا توكل قلبه على الله Y سخر الله Y له من أسباب الكون مالا يخطر على البال ، وهذه عادة المتوكلين الذين حققوا التوكل أي الذي يشبه هذا من الأحاديث حديث حبيب بن عدي أرسل النبي P عشرة رهط عينًا وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري قريش علمت بنو الحارث علموا القصة هذه إن في مجموعة من عشرة من أصحاب النبي P خارجين فانطلقوا خلفهم بمائتي رامٍ ، الرامي هذا: هو الفارس مثل الطائرات المقاتلة التي تكون دائمًا طليعة القوم هم الذين يفتتحوا ، مائتي رامٍ على عشرة ، فبدأ العشرة هؤلاء أول ما رأوا المائة رامٍ هم قالوا لهم: سلموا استسلموا ولكم العهد والميثاق ألا نضركم

، فعاصم بن ثابت الأنصاري قال: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر ، ولاذ بالجبل والتل والحجارة ، يحتبئوا وراءها يضربوهم ويضربوهم قتلوهم حتى قتلوا سبعة من العشرة بقي ثلاثة فقالوا: انزلوا على العهد والميثاق فتزلوا أول ما أمسكوا بهم قيدوهم فقال واحد من الثلاثة: هذا أول الغدر إن لي أسوة هؤلاء القتلى وأبي أن يسير معهم ومسك في الأرض بيده وأسنانه وجعلوا يجررونه على الأرض حتى قتلوه ، بقيا اثنين خبيب بن عدي وواحد آخر أما بنو الحارث فابتاعوا خبيباً لأنه كان قتل الحارث يوم بدر ، فطبعاً يريدوا الثأر فلن يشتفي بنو الحارث بقتل سيدهم إلا إذا قتلوا من قتله أخذوا خبيب بن عدي ، لكن كانت دخلت الأشهر الحرم فلا يستطيعوا في الأشهر كانوا يعظمون الأشهر الحرم برغم أنهم كانوا كفرة في الجاهلية ، فقالوا: نجبسه حتى يأتي الحل وبعد ذلك نقتله ووضعوا عليه امرأة سجانة تحبسه تحرسه لكي لا يخرج من محبسه ، فالمرأة لها ولد صغير يجلس على رجلها ومن طول الجلوس تنام على نفسها فنامت على نفسها ، فدخل الولد على خبيب بن عدي كان خبيب طلب قبلها موسا يستحذ بها ، لأن النبي ﷺ كما في حديث أنس وقت في شعر عانة ألا يزيد عن أربعين يوماً السنة هكذا السنة ألا يزيد عن أربعين يوماً ، هذا رجل مقتول وفي محبس ، ما الذي فيه ؟ ، وأين ذهنه ؟ وغير ذلك ، هو أراد أن يستحذ فمعه الموس المرأة أغلقت دخل الولد فخبيب أجلسه على ركبته والموس في يده المرأة انتبهت ، أين الولد ؟ فرغت أول ما رأت الموس في يد خبيب والولد على ركبته شهقت ، لماذا ؟ أنا ميت ميت نأخذ واحد بالمرة وهو كافر أيضاً يخلص تأرنا وتأثر الجماعة الذين قتلوهم ، فلما شهقت قال لها خبيب: تظني أني قاتله ؟ والله ما كنت لأفعل ، فقالت: ما رأيت أسيراً خيراً من خبيب ولقد رأيته وهو موثق بالحديد مكتف بالحديد يأكل قطعاً من عنب وما بمكة ثمرة ، وهذا طعام أطعمه الله خبيباً كان يأكل عنب وفي بعض الروايات وما على الأرض حبة عنب وهذا يأكل عنب ، جاءت أشهر الحل أخرجوه قال لهم: دعوني أصلي ركعتين ، يمكن الجماعة عشاوي والجماعة هؤلاء أخذوا الحديث هذا بعض الفقه والرجل على الطبلية والحبل في رقبته يقول له: ما الذي في نفسك ؟ حتى السؤال يفجر

المرارة هم الآن سيشدوا الطبلية من تحت قدمه الآن فسيترل بالحبل مقطوع أظهره وتنتهي القصة ، ما الذي في نفسك ؟ واحد وضعوه ، قالوا له: ما الذي في نفسك ؟ قال: نفسي أرى أولاد أولادي ، أنظر إلى الناس الذين يفهموا ، فهذا قبل أن يقتلوه قال لهم: دعوني أصلي ركعتين فكان خبيب هو أول من سن من يقتل لمن يقتل صبراً ركعتين ، يقتل صبراً: يقتل وهو مكتف إما يضربه بالنار أو يذبحه أو بالسهم أو غير ذلك مكتف هذا اسمه قتل الصبر ، ولذلك النبي p يقول: « **قتل الصبر لا يمر بذنب إلا محاه** » في قتل الصبر ، فصلى ركعتين وتجاوز فيهما ، ماذا يعني ؟ ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ** ﴾ (الكافرون: ١) ، ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ (الإخلاص: ١) وبعد ذلك قال لهم: لولا أن تظنوا أن بي جذعاً من القتل لأطلت ، ثم دعا عليهم اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تبقي منهم أحدا ، في بعض الروايات كان أبو سفیان موجود وكان ابنه معاوية معه أول ما خبيب بدأ يدعوا فكفا معاوية على وجهه حتى لا تصيبه دعوة خبيب بن عدي وما دعا على واحد منهم إلا وقتل ، لأن الدعوات تخرج حارة وتخرج وراء بعضها مثل النار مثل الصاروخ اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تبقي منهم أحدا ، فواحد مثل خبيب ، نحن من أين علمنا قصته ؟ من امرأة رأت بعدما أسلمت قصت كذلك كل حكاية من حكايات الورع أو كلام من الكلام هذا ما قصد العلماء الربانيون أبداً أن يظهروها ، لكن كانوا يحدثون بها الواحد بعد الواحد لمناسبة عرضت مثلاً ، أو لما يراه العالم من أنه يثبت الشخص إلى آخره فهذا ينقل القصة هذه وتنقلها السنة الرواة ، مثل ما حدث لصلة بن أشيم فيما يتعلق بأنه كان جائعاً القصة التي ذكرتها هذه وقال فيها الذهبي: تلك كرامة ثابتة أي لها أسانيد صحيحة .

في الحكاية التي أوردها ابن الجوزي أن السبع كان يهرب من صلة ، الحكاية هذه رواها الإمام عبد الله بن المبارك ومن طريقه رواها أبو نعيم في كتاب الحلية حلية الأولياء ، الإسناد فيه حماد بن جعفر بن زيد عن أبيه وحماد بن زيد هذا العلماء مختلفين هو واحد أم اثنين في حماد بن جعفر بن زيد البصري ، وحماد بن جعفر بن زيد العبدي العلماء هنا عالم يقولون: هؤلاء

اثنين وعالم يقول: هؤلاء واحد ، فرق بينهما البخاري وابن حبان وجعلهما واحداً ابن أبي حاتم في كتاب الجرح والتعديل ، ابن معين وثقه وكذلك ابن حبان وثقه وابن عدي أورد له حديثين منكرين في كتاب الكامل ، فالحكايات التي مثل هذه نحن نتسامح فيها لا نرى بأساً فيه رواية هذه ما لم يكن حديثاً مرفوعاً إلى النبي ﷺ الإشكال أن يرفع حديثاً إلى النبي ﷺ بعد أن نتحقق هم واحد أم اثنين .

يقول جعفر بن زيد: خرجنا إلى غازات في كابول ، أين كابول هذه ؟ في أفغانستان وفي الجيش صلة فترلوا فقلت: لأرمقن عمله ، فصلى ثم أضجع فالتمس غفلة الناس ثم وثب فدخل غيضة فدخلت ، الغيضة: مثل الشجر الكثير الملتف ببعضه ، فدخلت هو دخل وراءه فتوضأ وصلى ثم جاء أسد حتى دنا منه فصعدت شجرة هو رأى الأسد خاف صعد فوق الشجرة ، يقول: أفتراه التف إليه حتى سجد أي الأسد ، فقلت: الآن يفترسه فلا شيء لن نجد فيه جلد ولا عظم ، فجلس ثم سلم ، فجلس أي صلة ثم سلم فقال: يا سبيع أطلب الرزق في مكان آخر ، فولى وإن له زئيراً أقول تصدع منه الجبل ، أي زئير الأسد كأن من شدة زئيره كأن حجارة الجبل تصدعت ، ثم قال: اللهم إني أسألك أنت تجيرني من النار أو مثلي يجترأ أن يسألك الجنة ، هذا هو الذي أورده ، ابن الجوزي - رحمه الله - مثل ما ذكرت لكم الإسناد لا بأس به في مثل هذه الحكايات أي يتسامح العلماء ، لو راوي مختلف فيه أو غير ذلك نحن ندقق معه في الأحاديث المرفوعة إلى النبي ﷺ ، لماذا ؟ لأن قول النبي ﷺ إنما يكون حجة على الخلق جميعاً فلا نفرض شيئاً على المسلمين من لدن النبي ﷺ إلى أن تقوم الساعة بخبر واحد فيه مقال لا بد أن يكون ثقة ، إنما الحكايات التي مثل هذه في الغالب تكن صحيحة فهنا عندما يقول: أقمثلي يسأل الجنة ، النبي ﷺ سأل الله الجنة كثيراً ما سأل الله الجنة ولا شك أن صلة كان يسأل الله الجنة لكن أحياناً فترات تمر على المرء يرى أنه لا يستحق شربة الماء ، فيقول مقالته في تلك الحالة ليست كل حالة وإلا لا ينبغي لمثل صلة في علمه وزهده أن يقول: أنا لا أسأل الله الجنة هذا غير صحيح ، لكن ممكن تكون في حالة من الحالات أنت وأنا كلنا تمر بنا

حالات أحياناً تجد روحك خفيفة جداً وتريد أن تفعل الخيرات وتنطلق وإلى آخره ، وأحياناً تخرج في ركبتك وعندك إحباط ولديك يأس وغير ذلك وأحياناً يكون أنا أو أنت فعلنا ذنب أو غير ذلك ، فواحد يقول لك: ادعي لي إن ربنا يدخلني الجنة مثلاً ، فتقول: أنا ادعي لك أنا ، أنا مازلت خارج من الموضوع الآن ، أنا لا أصلح أن أدعو لك ، أنت يا عم الشيخ ؟ فنحن ، أين نذهب ؟ هو متخيل إن عم الشيخ هذا يسير على ميزان واحد حياته كلها طاعات وغير ذلك لا توجد غفلات ولا غير ذلك ، لا ، كلنا مثل بعض كل إنسان له ذلة وذلات وغير ذلك ، فممكن تأتي وأنا في حالة أنا فيها فعلاً أقول: أنا لا أستحق الحياة فتسألني فأجيب بهذا الجواب ، لكن ممكن تسألني في مقام آخر أنا فيه أكثر طاعة وعملت عملاً نافعاً فأتكلم بالكلام الطبيعي فأنا أيضاً ، لماذا أنبه على هكذا ؟ لا أريد أحد يأخذ كلام العلماء بالذات عباد البصرة والجماعة هؤلاء على علاقته ، لا ، هذه تكون حالات تمر بالإنسان قد يقول فيها القول ولكن لا يلزمه هذا القول دائماً .

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم .

انتهى الدرس التاسع نسألکم الدعاء أختکم أم محمد الظن.

بسم الله الرحمن الرحيم

(مدرسة الحياة - حقيقة العلم النافع)

الدرس العاشر

أبي إسحاق الحويني

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعين به ونستغفره ونعوذ بالله من شرر أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله تعالى فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد .

فهذا هو الدرس العاشر من شرح هذه الخاطرة من كتاب أبي الفرج - رحمه الله تعالى - الموسوم بصيد الخاطر والتي عنونت لها بعنوان (**حقيقة العلم النافع**) ، وكنا في المرة الماضية نتكلم عن صلة ابن أشيم ، لأن ابن الجوزي رحمه الله ضرب به المثل من علماء المعاملة ، علماء المعاملة: أي علماء السلوك الذين تؤخذ منهم الأخلاق والذين يؤتسى بهم ، يجري هذا الاصطلاح على لسان بعض العلماء كابن الجوزي يقول: علماء المعاملة: أي المعاملة مع الله I ، وكنت ذكرت خبر مقتل ابن صلة ثم مقتل صلة ، هذا الخبر ورد بسياق أبسط أي أوسع وفيه فوائد أي هذا البسط فيه بعض الفوائد .

يقول العلاء بن هلال: (أن رجلاً جاء إلى صلة فقال: إني رأيت أني آخذ شهدة وتأخذ شهدتين ، فقال: تستشهد وأنا وابني ، فلما كان يوم الترك قال صلة لابنه: يا بني ارجع إلى أمك ، فقال: يا أبت تريد الخير لنفسك ؟ تريد أن تأخذ الخير وترجعني أنا لأمي ؟ ، فقال له: تقدم فتقدم فقتل بين يديه ثم قاتل صلة حتى قتل هو الآخر - رحمة الله تعالى عليهم - ، العلماء الذين مثل صلة تجده أخبارهم في كتب التراجم قليلة ، لماذا ؟ ، لأنه لم يكن في الزمان القديم ثم تدوين ، إنما التدوين جاء متأخراً بعد ذلك ، لما بدأ العلماء يكتبون الكتب مثل ابن المبارك بخرسان ، ومثل ابن جريج بمكة ومالك بالمدينة ، وبعدهم جاء مسدد والإمام أحمد بن حنبل بدأت الكتب تدون فبدءوا يدونون أخبار هؤلاء وإلا لو كان هناك تدوين في هذه الفترة كنا وجدنا الكلام الكثير الطيب عن هؤلاء .

يقول ابن الجوزي بعد ما ذكر خبر صلة قال: (وأبلغ من ذا قول عمر: وددت أن أنجو كفافاً لا لي ولا علي) .

طبعاً قال: أبلغ من ذا لأن الترتيب أن يبدأ بمثل عمر ، ثم يثني بصلة ، ثم يثالث بسفيان الثوري ، ثم يربع بالإمام أحمد لأنه أتى بهم كلهم على الترتيب لكنه بدأ بصله ثم كأنما استدرك على نفسه وقال: (وأبلغ من هذا على أساس) لرفعة شأن عمر τ ولسابقته ولكثرة الأحاديث الصحيحة التي وردت في مناقبه τ ، أنه قال: (وددت أني نجوت منها كفافاً لا لي ولا علي) قال عمر هذا الكلام في وسط حكاية مقتله التي رواها البخاري - رحمه الله - في كتاب مناقب الأنصار في ذكر قصة البيعة والاتفاق على عثمان ، الحقيقة قصة عمر أنا شرحتها قبل ذلك في ثماني حلقات أو في عشر حلقات لا أدري من سنوات طويلة وفيها فوائد كثيرة وعبر أنا سأقف على بعضها (لأنني وددت أن أنجو منها كفافاً) ستستغرب جداً من هذا القول إذا عرفت حقيقة القصة ما قبلها وما بعدها ويتضاءل المرء أمام مثل عمر في هذه الكلمة .

الذي يروي الحديث عمر بن ميمون ، وعمر بن ميمون أدرك الجاهلية والإسلام فهو تابعي مخضرم ، وهو الذي رأى القردة الذين كانوا يرحمون القردة والبخاري روى هذا الكلام في صحيحه في باب أيام الجاهلية .

فعمر بن ميمون يقول: (كنت مع عمر بن الخطاب ليلة أصيب ، وكان أرسل حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف إلى الكوفة ليأتوا بخراج الأرض، فقال: لعلكما حملتما الأرض مالا تطبيق) مثلاً الفدان يكون عليه مثلاً خمسين جنيه أنظر في كم فدان فيجي هذا المال ويدخله لبيت المال ، فيقول: (لعلكما حملتما الأرض مالا تطبيق) ، لأن تحميل الأرض مالا تطبيق أنك تفرض على المزارع أو على زارعها أكثر مما تنتج، فعمر بن الخطاب يطمئن أن حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف لم يحملوا الأرض أكثر من حقها لكي لا يظلم صاحبها ، قالوا: (بل حملناها ما هي له مطيقة ، قال: انظروا أن تكونا حملتما الأرض مالا تطبيق ، قالوا: ما فيها فضل كبير فضل ، قال عمر: لئن سلمني الله لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي أبداً ،) كان سيفعل لهم مرتب من بيت المال ، فما أتت عليه رابعة إلا أصيب ، في صحيح مسلم

قال عمر: (رأيت كأن ديكًا نقري وما أرى إلا هذا بين يدي أجلي) لأن نقرة الديك في المنام تفسر بالموت أو تفسر بمصيبة ، أو استخذاء أي حاجة لا تبشر .

مثل ما حدث للفضل بن دكين مع محمد بن بشر العبدي لما مات مسعر بن كدام ، مسعر بن كدام من طبقة الأعمش لكن مسعر حفظه ما سأل عنه أبو حاتم الرازي قال: مسعر المصحف ، حفظه مصحف ، ومن الذي يقول الكلام هذا ؟ أبو حاتم الرازي، أبو حاتم الرازي جراح ، أي يجرح بالخطأ والاثنين لا يفوت شيئاً قط ، فإذا أثني أبو حاتم على رجل فشُد به يديك لم يترك أحد مثل أبو حاتم الرازي ، إلا ما يعرض للبشر يكون أبو حاتم الرازي أثني عليه وهو لا يستحق الثناء أيضاً لا يوجد واحد كلامه على طول دائماً يكون صح ، لكن في الغالب إذا أثني على رجل لا يوثق إلا صحيح الحديث ، عندما مات مسعر ، محمد بن بشر العبدي كان مختصاً بمسعر يتابعه باستمرار ، يأخذ منه الأحاديث ويحفظ وغير ذلك فكان لديه عن مسعر ألف حديث ، فبعدما مات وهم في جنازة مسعر الفضل بن دكين استشرف ورفع رقبته لفوق وكان هو أيضاً أحد المختصين بمسعر ، قال: (اليوم تجيئونني فتسألونني عن حديث مسعر) مسعر مات أنا بوابته الذي يريد أن يأخذ أي حديث عن مسعر يأتيني أنا ، وهم عند القبر يدفنوا مسعر قال هاتين الكلمتين ، فخرج له محمد بن بشر العبدي قال: كم تحفظ عن مسعر ؟ ، قال له: ألف حديث ، قال أبو نعيم الفضل بن دكين ، قال: فأغرب على سبعين حديثاً لمسعر ما سمعتها قط .

الشاهد قال أبو نعيم: (فقلت مستخذياً كأنما ديك نقري ،) ففي هذا اليوم قال: ما كان بيني وبين عمر إلا ابن عباس ، في بعض الطرق إن عمرو بن ميمون كان في الصف الثاني ليس في الأول الصف الثاني الذي وراء عمر على الفور ، قال: فسوى الناس وكان لا يصلي إلا إذا سوى الناس، وتسوية الصفوف دائماً تكون من العقب ليست من القدم ، فعمر بن الخطاب كان من عادته أنه يسوي الصف وبعد ذلك يرسل واحد آخر يكمل باقي الصفوف ، حتى إذا لم يرى خللاً تقدم فكبر وكان يقرأ بيوسف أو النحل في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس ، فما

هو إلا أن كبر حتى قال: قتلني الكلب أو أكلني الكلب وهو أبو لؤلؤة الجوسي ، كان المغيرة بن شعبة أتى به إلى المدينة ، وأرسل المغيرة إلى عمر في بعض طرق الحديث الأخرى خارج البخاري قال له: فيه واحد نجار ونقاش وحداد ويعمل أعمالاً كثيرة ونحن نريد أن نأتي به وسينفع المسلمين ، عمر بن الخطاب كان من مذهبه ألا تكثر العلوج بالمدينة العلوج: هم رجال العجم ، لكن العباس بن عبد المطلب ؓ كان يحب أن يأتي بمؤلاء العلوج ، وكان يأخذ خراج على كل عالج ، فأبو لؤلؤة الجوسي غلام المغيرة كان المغيرة واضع عليه أربع دراهم في اليوم هو حداد ونقاش ونجار معه أكثر من صنعة فبالتالي يكسب كثير فوضع عليه أربع دراهم، استكثرها أبو لؤلؤة الجوسي هذا ، وذهب لعمر يشتكي قال: إن هذا كثير عليه فعمر قال: إنك صاحب صنعة ومعك ألف من صنعة وهذا ليس بكثير وفي نية عمر أن يأمر المغيرة أن يضع عنه شيئاً من هذا الخراج يجعله يقول عمر لأبي لؤلؤة: إني تحدثت أنك تصنع رحي ؟ قال: نعم ، فقال له: أصنع لي رحي ، قال له: لأصنعن لك رحي يتحدث بها أهل المشرق والمغرب ، فهم عمر أنه يهدده بأن يؤذيه وكان أمير المؤمنين ، لم يتخذ أي إجراءات استثنائية ولا قبض عليه من باب الاحتياط ولا توسيع دائرة الاشتباه ولا القصص التي تحدث هذه إطلاقاً إنما ترك المسألة .

بعدما كبر وبدأ يدخل في الصلاة ضربه العالج بسكين ذات طرفين ، بحيث عندما يضرب فالضربة تصيب مكانين ، فعندما قال عمر: قتلني الكلب أو أكلني الكلب حدث نوع من المهرج في المسجد ، يقول عمر بن ميمون: أما الذين يلوون عمر فرأوا الذي رأيت ، وأما الذين في نواحي المسجد ففقدوا صوت عمر ، فجعلوا يقولون: سبحان الله سبحان الله ، فأخذ عمر بيد عبد الرحمن بن عوف وقدمه للصلاة وصلى عمر وجرحه يتزف لكنه لم يستطع أن يتم الصلاة ، لما وصل البيت صلى الصلاة عندما قال: أصلى الناس ؟ قالوا: نعم يا أمير المؤمنين ، فدعا بوضوء فتوضأ وصلى بركعتين خفيفتين ، أظن قرأ فيهما ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ (الكافرون: ١) و ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (الإخلاص: ١) ، بعد ما طعن أبو لؤلؤة

المجوسي عمر بن الخطاب يريد أن يخرج وهو خارج يضرب يمين وشمال فطعن ثلاثة عشر رجلاً مات منهم سبعة فواحد من المسلمين أول ما رآه هكذا فألقى عليه برنساً مثل ما تكون عباءة رماها على وجهه لكي لا يرى وبعد ذلك يركبوا عليه ، فلما رأى العليج أنه مأخوذ نحر نفسه ذبح نفسه لأنه مأخوذ واحتملوا عمر بن الخطاب وكأن الناس ما أصيبوا بمصيبة قبل ذلك .

فمن قائل: لا بأس ، ومن قائل: أخاف عليه ، كل واحد يكون له وجهة نظر ، قال عمر: يا ابن عباس قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج في المدينة هذه النتيجة ، فقال له ابن عباس: لو شئت فعلنا وفعلنا قتلناهم كلهم ، قال له: كذبت بعدما صلوا صلاتكم وحجوا حجكم ، يشير إلى أن دم المسلم صار معصوماً العليج هذا أسلم ، لا يوجد أحد في مكة والمدينة ممكن يكون كافر ، لماذا ؟ لأن النبي ﷺ قال: «أخرجوا اليهود من جزيرة العرب ولا يجتمع في جزيرة العرب دينان» فمكة والمدينة لا يدخلها كافر أبداً ، ولذلك وأنت في الطريق لمكة والمدينة تجد طريق يقول لك: غير المسلمين طريق غير المسلمين ، فبعدما هذا العليج أسلم فلا تستطيع أن تقتله لأنه صار معصوم الدم مثله مثلك إلا أن يأتي بما يوجب إهدار دمه من حد أو إلى آخره .

قال: يا ابن عباس أنظر من قتلي ، فجال في الناس جولاً ، وقال: غلام المغيرة ، قال: الصنع ؟ الصانع الذي معه أكثر من صنعة ، قال: نعم ، قال: قاتله الله لقد أمرت به معروفاً كان يسألني أحط الخراج عنه المغيرة وقد أمرت به معروفاً ، الحمد لله الذي لم يجعل ميتي ، وفي رواية منيتي برجل يدعي الإسلام ، وفي رواية برجل سجد لله سجدة ، أتوا بالطبيب قال له: أشرب نبيذ ، أنتم تعلمون النبيذ غامق فخرج من جرحه فلم يتبينوا أهذا نبيذ أم دم الدم يتزف ، والنبيذ الذي كانوا يشربوه ليس النبيذ الذي كان في الكوفة في الأزمنة المتأخرة ، لا ، أصل النبيذ عبارة عن تمرات تنبذ أي تلقى في الماء ليأخذ الماء من حلاوة التمرة ، تكون مياه فيها بعض حلاوة هذا هو النبيذ ، لما تقرأ النبي ﷺ كان ينبذ له ، وبعد ذلك تقرأ أن علماء الحجاز

حرموا النبيذ الذي يشربه أهل الكوفة لا تتصور النبيذ الذي كان النبي ﷺ وأصحابه كانوا يشربوه مثل النبيذ الذي كان في متأخري أهل الكوفة .

فلكي يتأكدوا من المسألة هذه سقوه لبنًا فخرج اللبن من جرحه فعلم أنه ميت ، فقال: أوصي يا أمير المؤمنين قل وصيتك ، أول شيء كان يهم عمر أن يدفن بجانب صاحبيه ، أي لما أرسل ابنه عبد الله بن عمر وقال له: يا بني الأول أنظر كم على من الدين فاقضه من مالي ، فإن عجزت فاقضه من بني عدي ولا تعدهم إلى غيرهم ، الدين الذي كان على عمر كان ستة وثمانين ألف ، عمر بن الخطاب هذا ، كيف يكون عليه هذا الدين ؟ ، كان يضيف الضيفان وكان يواسي وغير ذلك من جيبه ، ما كان يرضى إطلاقاً أن يمد يده على شيء من بيت المال لو أراد أن يتوسع في شيء لا يكون من بيت المال ، إنما كان يضرب المثل بنفسه مع بيت المال بالوصي اليتيم ، إن وجد استغنى وإن أكل أكل بالمعروف وتشديد عمر على نفسه معروف ، ما رأينا مثل عمر لا قبله ولا بعده بعد رسول الله ﷺ .

أبو بكر الصديق ؓ ولايته كانت سنتين وعدة أشهر وانشغل بقتال المرتدين والعرب وإلى آخره ، لكن عمر بن الخطاب طالت مدة ولايته فدون الدواوين وجيش الجيوش وفتح الفتوحات وغير ذلك وفعل أشياء لم يفعلها أحد قبله والذي جاء نسج بعد ذلك على منواله .

فأول شيء قال له: الدين لأن الدين لو أنت عشرة على عشرة وعليك دين تحبس بدينك حتى يقضيه أحد الناس ولا بد من جدية القضاء ، نحن نرى الجنازات السنوات المتأخرة وقبل أن يصلوا عليه يقول: يا جماعة أنا فلان الفلاني عنواني كذا إذا كان على الميت أي دين فأننا مسئول أن أسد عن الميت هذا الدين ، السؤال: هل بهذا القول ينتقل الدين عن الميت إلى الذي صرح بأن التبعة عليه أم لا ؟ كان النبي ﷺ من عادته إذا جاءت جنازة يسأل « عليه دين ؟ » ، إن قالوا: نعم ، يقول: « صلوا على صاحبكم » ، إن قالوا لا يصلي عليه ، فجيء مرة بجنازة رجل سأل: « عليه دين ؟ » ، قالوا: نعم ، قال: « صلوا على صاحبكم » فتقدم أحد المسلمين وقال: يا رسول الله دينه على فتقدم النبي ﷺ فصلى على الميت ، وبعد يومين لقي

الرجل قال: « قضيت الدين عن صاحبك ؟ » قال: بعد، بعد عدة أيام قال: يا رسول الله قد قضيت عنه الدين ، قال: « الآن برد جلده » ، بالرغم أنه تعهد في البداية أنه سيسد الدين . متى ينتقل الدين ؟ عندما يكون فيه توثيق لهذا الدين أي كان مكتوب شيكات أعدنا كتابتها بدلاً من أن تكون على الأب أصبحت على الابن أو الكمبيالات أو غير ذلك يكون حدث نقلاً لهذا الدين ، لو افترضنا جدلاً حدث نقل لهذا الدين على شيك أو كمبيالة والولد ولم يسدد يكون الذي مات مسئول ، لأجل هذا نحرص جميعاً كل ما الإنسان يتخفف من دينه يتخفف من دينه ، يكتب وصيته ويقضي دينه ابتداءً إذا استطاع أن يقضي الدين يقضي الدين على الفور ولا يتأخر في المسألة هذه .

أول شيء عمر بن الخطاب قالها قال: أنظر ما عليه من الدين سده الشيء الثاني: اذهب إلى أم المؤمنين عائشة ؓ وقل لها: إن عمر ولا تقل لها أمير المؤمنين فلاني لست اليوم بالمؤمنين بأمير ، خلع نياشينه ولم يعد له شيء من ألقاب الدنيا يأخذها معه، قل لها: إن عمر يريد أن يدفن بجانب صاحبيه ، لكي تكون المسألة في الدنيا والآخرة .

يقول الشيخ الحويني حفظه الله :

أتعلم من هو ثاني اثنين؟

الجواب:

إنه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، كما وصفه الله عز وجل في القرآن ﴿ثَانِي اثْنَيْنِ﴾ (التوبة: ٤٠) كان ثاني اثنين في كل شيء :

١ - كان ثاني اثنين في الإسلام ، حيث أسلم بعد النبي ﷺ .

٢ - وكان ثاني اثنين في الهجرة .

٣ - كان ثاني اثنين في الغار .

٤ - كان ثاني اثنين في المجلس كان دائماً يجلس بجواره .

٥ - كان ثاني اثنين في إمامة الصلاة .

٦ - كان ثاني اثنين في خلافة المسلمين .

٧ - كان ثاني اثنين في القبر .

تمت له هذه الصفة ثاني اثنين في حياته وبعد مماته ﷺ .

عمر بن الخطاب ثالثهم ، كما روى البخاري ومسلم وغيرهما من حديث عبد الله بن عمر ، قال: كنت كثيراً ما أسمع النبي ﷺ يقول: « دخلت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر » ، وما كان أبو بكر وعمر يتركان النبي ﷺ إلا وهو داخل إلى أبيات زوجاته ، فقال: قل لها: إن عمر يريد أن يدفن بجانب صاحبيه ، قال عبد الله بن عمر: فدخلت عليها فإذا هي تبكي ، فقلت لها: إن عمر بن الخطاب يريد أن يدفن بجانب صاحبيه ، قالت: (كنت أدخره لنفسه) لأن زوجها وأبوها ، كنت أدخره لنفسه (ولأثره اليوم على نفسي) فوافقت أن يدفن في الحجرة ، فكان عمر بن الخطاب نائماً ، عندما رأى عبد الله بن عمر: أجلسوني ، ثم قال له: هه ، قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين ، قال عمر: (الحمد لله ما كان شيء أهم على من ذلك) بدأ المسلمون يدخلون على عمر بن الخطاب ﷺ أفواجاً ، فبدأ الناس كالعادة يمشرون الميت أو الذي يحتضر يمشرون به ما كان له من سابق عملٍ صالح لأن هذا يرفع من معنويات الميت ، لا تدخل مثلاً مثل عمرو بن عبيد دخل على واحد قال له: لقد مات أبي بمرضك ومات عمي كذلك ، إنما ينفس له ، لماذا ؟ لعله ترتفع معنوياته إذا أحد يلقيه الشهادة ، فبدعوا يدخلوا على عمر بن الخطاب هنيئاً لك الشهادة يا أمير المؤمنين صحبت رسول الله ﷺ فمات وهو عنك راضٍ ، وصحبت أبا بكر فمات وهو عنك راضٍ ووليت وعدلت ، أي يقول لك الكلام هذا من صحبة النبي ﷺ ، دخل شاب من الأنصار وقال لعمر بن الخطاب كلمتين مثل هذا لتنهك الشهادة والصحبة وسابقة في الإسلام وأشياء مثل هذا ، فقال عمر: يا ابن أخي: (وودت لو أني خرجت منها كفافاً لا لي ولا على) ، عمر يقول هذا :

أولاً: قد سمع بأذنه البشارات الكثيرة أنه من أهل الجنة من النبي ﷺ وعمر سمعها بأذنه ومع ذلك يعمل عمل خائف ، كان جيل الصحابة هكذا ، عبد الله بن سلام كان هكذا أيضاً ،

رأى رؤيا في عهد النبي ﷺ أنه في واحة خضراء كبيرة معشبة والحديث في صحيح مسلم وفي وسط العشب هذا عمود والعمود رأسه في السماء وفي آخر العمود حلقة ، فواحد قال له: أفقر أمسك الحلقة التي فوق هذه ، قال: لا أستطيع فجاء منصف الخادم وضعه على كف وألقاه لأعلى فمسك الحلقة ، قال: فاستيقظت وإنها لفي يدي ، جاء النبي ﷺ يفسرها له قال له: « الروضة: الإسلام ، العمود: عمود الإسلام ، وتلك العروة الوثقى وأنت على الإسلام تموت » كلام صريح سمعه بأذنه وفي رواية أخرى قال: « وأنت مستمسك بالعروة الوثقى » ، كان عبد الله بن سلام إذا دخل السوق وكان غني عنده علوج كثيرون ، كنت تجده يحمل الشوال على كتافه وخارج من السوق ، فيقولوا له: عندك أعبد كثيرون، قال: إني سمعت النبي ﷺ يقول: « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » فيخاف على نفسه فيحمل الشوال بنفسه لكي يدفع الكبر الذي ممكن أن يدخل على النفس .

برغم أن النبي ﷺ قال له وهو حي قال: « إنك على الإسلام تموت » ، لا تجده أغتر ونام وأوقف الشغل وغير ذلك ، لا ، لماذا ؟ لأنه كان إيمانهم صحيحاً والإيمان مستلزم لصحة العمل حتى تموت وأنت تعمل عملاً صحيحاً ، فالشاب قال هاتين الكلمتين، فقال عمر له: (وودت لو أتي نجوت منها كفافاً) ، لماذا ؟ لأنه سيسأل عن كل هؤلاء، قال ﷺ: « ما من والي عشرة إلا جاء يوم القيامة مغلولاً إلى عنقه يداه ، فكه عدله أو أكبه في النار جوره » ، من العاقل أنه يقبل يصدر نفسه في القصة هذه ؟ .

في انتخابات الرئاسة واحد يقول: أنا الحقيقة ترشحت عندما لم أجد أحد يملئ عيني ، لكن لو وجدت من هو أفضل مني أنا سأترك الرئاسة ، ما معنى هذه ؟ أنه لا يوجد أفضل منه ؟ وغير ذلك ، ما الذي ستدخل عليه ؟ داخل على ملحمة مطلوب منك تطعم الجائع وتكسو العاري والذي ليس له سكن تأتي له سكن ، ومطلوب أنك تجوع نفسك مثل ما هم جوعانين ، أقل شيء أن تواسيهم ميزانية الدولة لا تكفي وغير ذلك لا تصرف وتأتي لي بدلاً من السيارة خمسين سيارة وغير ذلك مثل ما كان حاصل عندنا ، السادات مثلاً قديماً أخرج قرار ، قال:

لا يوجد حاجة اسمها الوزير يركب مرسيديس ، لا ، السيارة فولكس فاينج التي تسمى الآن ولكن الخنفسة الصغيرة ، والخنفسة الصغيرة هذه موتورها من الخلف وتبريد هواء فقط لا يوجد فيه مياه - الله يرحمه الشيخ عبد اللطيف كان إمام مسجد العزيز بالله وكان يحفظ القرآن كاملاً كان يعمل في شركة فولكس فاينج ولديه سيارة موديل سبعة وستين من السيارات هذه ، فيقول له: أنا لا أفهم المفترض السيارة التي يكون موتورها في الخلف يكون في تبريد مياه وهواء لأن الموتور في الخلف .

لأن الموتور عندما يكون في الأمام السيارة تصادم الريح مع السرعة فتبرد ومع ذلك تجدها فيها تبريد مياه وفيها مروحة مع المياه ، والهواء الذي يدخل عليها مع السرعة وغير ذلك يساعد في التبريد ، كيف هذه تكون في الخلف وتبريد هواء فقط ولا يوجد مياه ؟ ، قال: إن هتلر أوقات الحرب العالمية طلب من العلماء الألمان يصنعوا له سيارة تسير في الصحراء لا تحتاج إلى مياه ، وتوعدهم إن لم تفعلوا السيارة هذه سيسلقهم في الفرن ، ففعلوا هذه السيارة ، وهى سيارة حتى معقدة في كهربتها معقدة جداً قل من يفقه فيها السيارة ، فركب سيارة فولكس فاينج وذهب للإسماعيلية ، فوجد أسرة اثنين واقفين فأخذهم في طريقه طبعاً هؤلاء أمن دولة لا تعتقد أنهم أي اثنين ، لا ، العملية مرتبة بدليل أن واحد التقط لهم صورة أنت أخذت مصور معك ، ماذا تفعل به ؟ والواقفين هؤلاء واقفين هكذا كانوا ذاهبين للإسماعيلية لا يجدوا مواصلات ، لا

مأتي بهم معروفين ومفتشين أيضاً وكل شيء ، مثل الرئيس المخلوع يتكلم بعد ما مات حفيدة وبعد ذلك أول مرة يتكلم فيها كانوا أتوا معه مذيع ويحاولوا أن يخرجوه من الحالة النفسية التي كان هو فيها آنذاك ، قال له: أنا أفعل خير كثير ، أنا مرة أتيت من إسكندرية وبعد ذلك وأنا أسير ذاهب للقاهرة أتى من الطريق الصحراوي لحت واحد مسكين بجوار الطريق ، فبعد ما مشينا قلت له: وقف وقف أرجع للخلف أرى المسكين هذا المسكين هذا مخبر ليس واحد مسكين ، ووجدته يريد أن يعالج عالجته وجلست أتابعه بنفسى وأشياء من هذا القبيل ، هذه

كلها تكون أشياء متحضرة الشاهد السادات عندما قال: المرسيدس وغير ذلك ونأتي بالفولكس فايجن هذه ، أتى بها ولم يسحب المرسيدس من الوزراء يكون كل وزير لديه ، سيارتان ، فكل من تولى حكومة سواء كان رئيس دولة ، رئيس وزراء ، وزير ، مدير في مؤسسة هو مسئول تماماً عن كل هؤلاء لكن رأس الدولة مسئول عنهم كلهم .

فعمر بن الخطاب ثبت عنه أنه قال: (ربي رق عظمي وكبرت سني وانتشرت رعييتي فاقبضني إليك) ، قالها في نفس الشهر الذي طعن فيه ، يقول: انتشرت رعييتي هم كانوا ، كم مليون ؟ لكن كان يخاف ، ولذلك المدينة التي في حدود مراقبته كان يسير يعسس في الشوارع ويرى ، ما هذا ، وما هذا ، وما فعل هذا ؟ وغير ذلك ، وعندما كان يصله مثلاً أن أحد الولاة قصر يعزله فوراً ، مثل ما فعل مع سعد بن أبي وقاص عزله عن الكوفة ، وسعد هو الذي بني الكوفة أيضاً سنة سبعة عشر ، دخل العراق سنة سبعة عشر وظل والياً عليها حتى سنة واحد وعشرين مجرد فقط واحد أرسل شكوى ، الآن كم من الشكاوى كانت في وزير الزراعة الأسبق عندنا الذي سمم بدننا وكل المأكولات الخضراوات والفواكه وغير ذلك أخذ الجينات المسممة حتى أن أصبحت مصر من الدول القياسية في الفشل الكلوي والكبد والسرطانات ، من ثلاثين سنة مثلاً الأطباء يقولوا لي: إذا وجدنا حالة سرطان واحدة كنا كلنا نتجمع عليها لكي نراها ، اليوم في مستشفى كامل لأورام الأطفال ، كل هذا أتى من البذور المهجنة التي إسرائيل واليهود والجماعة هؤلاء سمموها وخصبوها بحيث أنك لا بد أن تموت موتاً بطيئاً .

تفقد كل فترة عضو من أعضائك يفسد لك الأرض حتى البذرة نفسها كانت تفسد الأرض ذاتها ، أي بعد عدة سنوات تفقد الأرض خصوبتها أخرجوا وأتوا بمستندات ونشروا المستندات أيضاً وغير ذلك ولا حياة لمن تنادي ، وأغلقت جريدة الشعب آنذاك التي كانت تفضح هذا الوزير الذي هو في السجن الآن ، أغلقت الجريدة ولم يصرح لها بظهور حتى اللحظة التي أتكلم فيها هذه ، وبدل من أن كان وزير الزراعة أصبح الأمين العام للحزب الوطني الأمين العام ، وبعدما خرج من الحزب جلس في اليوم لديه مئات الأفدنة التي كلها

فواكة ومانجو وغير ذلك وجالس سلطان زمانه ، لولا هذا الذي حدث مؤخراً عندنا في مصر كان زمانه جالس على تلها مثل ما كثير جالسين على تلها ، هل يعتقد أنه سيفلت ؟ لا لن يفلت إطلاقاً لا هذا سيفلت ولا هذا سيفلت ، فالولاية مسألة في غاية الصعوبة التي يتصدر لها فيتصدر للمسائلة عن كل فرد فرد ، لا يوجد أحد عاقل ممكن يقبل القضية هذه إطلاقاً .

المهم الشاب قال له هاتين الكلمتين ، قال له: **(وددت لو أني نجوت منها كفافاً لا لي ولا على)** ، وبعد ذلك والشاب خارج إذا بعمر ينظر إليه فإذا به يجرجر ثوبه قال: **(ردوا عليه الغلام)** ، أنظر يتحمل المسؤولية لآخر رمق ، ردوا عليه الغلام ، ثم قال: **(يا ابن أخي ارفع ثوبك فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك)** ، لأن إسبال الإزار تحت الكعبين حرام ، فعمر بن الخطاب وهو يحتضر وقال لعبد الله بن عمر قبل أن يأتي الغلام ، قال: **(قل لعائشة: عمر يقول ولا تقل أمير المؤمنين فيني لست اليوم للمؤمنين بأمير)** ، فكان المفترض أنه لم يعد أمير ولا غير ذلك ، لكن النصح لكل مسلم حتى آخر رمق يقول له: ارفع ثوبك ، هذا فيه رد على الجماعة الذين يجادلون في مسألة إطالة الإزار ويقولوا: لا يوجد فيها شيء إلا إذا كان خيلاء أو غير خيلاء ، ونحن ناقشنا القضية هذه في أول رمضان في الخاطرة التي سميتها (كلام في الأولياء)

لكن هذه المرة هذه سأقول شيء تضاف أيضاً يقول لك: أنه كان في واحد اسمه جبلة بن الأيهم ، هذا كان رجلاً من الملوك ومن عادة الملوك أن يطيلوا ثيابهم ، وهو يطوف بالكعبة جبلة هذا واحد يسير وراءه فوطء طرف فلف جبلة وضربه في وجهه ، فرد الرجل الضربة وضربه ، أنت رجل من أفناء الناس وأنا جبلة بن الأيهم كيف تضربني في وجهي ؟ فأخذه وذهب لعمر بن الخطاب وقال له: حدث كذا وكذا قال عمر: الطمه بدلها، فغضب ولحق بالنصارى وتنصر الكاتب أو الداعية الذي كتب كتابه يقول: عمر لم يقل له: يا أخي أنت مخطئ قصر ثيابك ، فلما لم يقل له: قصر ثيابك دل على جواز إطالة الإزار ، نحن نقول: أولاً: القصة على بعضها برمتها لم تصح .

ثانيًا: جبلة بن الأيهم اختلف العلماء أسلم أو لم يسلم من أصله ليس أنه أسلم وارتد أو تنصر ، لا ، اختلفوا هل أسلم أصلًا أو لم يسلم ؟ حتى لو سلمنا أنه أسلم القصة نفسها لم تصح ، تريد أن تعلم مذهب عمر بن الخطاب في القضية هذه عندنا حديث البخاري قال: (ردوا عليه الغلام ، قال: يا ابن أخي ارفع ثوبك) ، فلو كان الأمر فيه سعة ما كلف عمر نفسه ، أن يرجع الغلام في حالة جرحه يتزف دمًا، إلا أنه يرى أن ذلك حرام وأنه لا يجوز ، قال: ردوا عليّ الغلام وقال له هذه العبارة ط ، وأين في الناس مثل عمر ؟ أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم . انتهى الدرس العاشر أختكم أم محمد الظن.

بسم الله الرحمن الرحيم

(مدرسة الحياة - حقيقة العلم النافع)

الدرس [١١]

أبي إسحاق الحويني

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعين به ونستغفره ونعوذ بالله من شرر أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله تعالى فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمدٍ ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد .

فهذا هو الدرس الحادي عشر والأخير في هذه الخاطرة من كتاب أبي الفرج رحمه الله تعالى صيد الخاطر ، والذي عنونتها بعنوان: (حقيقة العلم النافع) .

قال أبو الفرج - رحمه الله - : (وأين هو أي الذي قال: عبت الله بعبادة ما عبده بها أحد ولكني الآن ضعفت _ يرد على هذا المتكلم المدل بعمله ، _ قال: وأين هو من كبار علماء المعاملة الذين كان فيهم مثل صلة بن أشيم إذا رآه السبع هرب منه وهو يقول إذا انقضى الليل عند صلاته: يا ربي أجري من النار أو مثلي يسأل الجنة ، وأبلغ من ذا قول عمرؓ: وددت أن أنجو كفافاً لا لي ولا علي ، وقول سفيان عند موته لحماذ بن سلمة: أترجو لمثلي أن ينجو من النار ؟ وقول أحمد: لا بعد) .

ابن الجوزي - رحمه الله - : يسرد بعض الأمثلة للرد على هذا المدل على الله Y بعمله فذكر قول صلة أو حال صلة وذكر أبلغ منه قول عمرؓ ، ثم ذكر ثالثاً قول سفيان لحماذ بن سلمة: (أترجو لمثلي أن ينجو من النار ؟) ، طبعاً قصة سفيان لأنني أحبه ومتميم به فقد ذكرتها كثيراً وكثيراً جداً ، لكن طالما جاء الكلام عليه فلا بد أن نذكر شيئاً ليس على سبيل البسط كما كنت أفعل قبل ذلك ، ولكن تذكرة ليظهر موضع الشاهد من كلام ابن الجوزي .

سفيان الثوري - رحمه الله - عليه كوفي وحماذ بن سلمة بصري ، وكان الرشيد آنذاك أمير المؤمنين يجمع حوله من أفاضل أهل العلم ، كان صاحب دين كان يحج عاماً ويغزو في سبيل الله عاماً وهو هارون الرشيد ، النصراني الروم طبعاً صوروه أنه صاحب جوارى وموسيقى وغير ذلك، لأنه أزلهم وسيرته معروفة ، فكان حوله العلماء مثل محمد بن الحسن الشيباني وحتى الشافعي أيضاً ذهب في ذلك الزمان ، و كان يريد سفيان الثوري يكون بجواره يستشيره في شيء أو غير ذلك ، فأول ما سفيان علم القصة هذه هرب ترك الكوفة وذهب إلى البصرة ليتوه في الزحام ، أنظر هل أحد يهرب من أمير المؤمنين الذي دينه مثل هارون الرشيد، فعندما هرب سفيان الأول هرب في الكوفة اختبأ بحثوا عليه لم يجده ، فواحد من أصحاب سفيان الملازمين له دخل على هارون الرشيد فواحد قال له: هذا يقابل سفيان ، فكان الخاتم أي مثل

ختم النسر عندنا الذي يفتح كل باب مغلق وهو الشعار الرسمي للدولة ، خاتم الخلافة الذي يحتتم به على الأوراق وعلى الأوامر وغير ذلك أخذه وألقاه ، لهذا الرجل الذين قال له: خذ هذا وقل لأبي عبد الله أحكم في الناس بالكتاب والسنة ، فالتلميذ رجع لسفيان قال له: لماذا تقرب منه ؟ ، هو يريدك بجواره ، قال له: (يا ناعس أنا لا أخشى إهانتهم ، لكني أخشى إكرامهم فلا أرى منكرهم منكرا) رجل بصير يعلم قدرات نفسه ، لأن فيه جماعة من أكابر العلماء الزهاد العباد الفضلاء كانوا دائما بجوار الخلفاء لكي لا يسيء أحد الظن بالعلماء الذي اختارهم الخلفاء كانوا علماء أجلاء ، لكن كل واحد يعرف نفسه ، أنا أعلم أنني لو اقتربت من الخليفة الإحسان يدق عنقي إذا أحسن إلي بشيء خرس لساني ولا أعرف أن أقول له أن ما تفعله خطأ ، فلماذا أقرب طالما ليس عندي الموهبة أنني أعترض .

لكن فيه إنسان جريء تطعمه يأكل لكن عند المنكر يقول لك قف هذا منكر ، مثل ابن جريج بمكة ، وهذا وقف لأبي جعفر المنصور وأحمد بن حنبل هو من يقول هذا الكلام ، سئل أيهما أفضل مالك أم ابن جريج ؟ ، هما الاثنين من طبقة واحدة مالك كان بالمدينة وابن جريج كان بمكة ، قال: ابن جريج أقوم لله بالحق من مالك ، قال لأبي جعفر: إن أولاد المهاجرين والأنصار يموتون ببابك جوعاً ، فيعلق أحمد فيقول: وأبو جعفر أبو جعفر ليس له حل يطير الرقاب على الفور أبو جعفر أبو جعفر لا يقال له الكلمة هذه ، لكن قالها له ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز - رحمة الله عليه - ، فهذه ملكات ، سفيان خائف من الإكرام رجل إذا فعلت فيه جميلاً يظل طول عمره يؤدي لك في الجميل ويشعر أنه لم يؤدي الجميل ، فيه ناس هكذا مرضى بالوفاء ، وفي الآخر يرى أنه لم يقدم لك شيئاً الذي مثل هذا تخاف عليه لما يقرب ، سفيان خائف على نفسه ، قال: (لا أخشى اهانتهم ، ولكن أخشى معروفهم فلا أرى منكرهم منكرا) .

لأن الإهانة تبرز وحش التحدي داخل كل إنسان ، لما كان أمن الدولة مثلاً يأخذوا الشباب من هؤلاء ويضربوه ويعلقوه وغير ذلك ، هل كان يخرج ويترك الالتزام مطلقاً أم كان يخرج

ملتزما ؟ لماذا يخرج متمسك فيها ؟ هكذا الطبيعة وأنا ذكرت لكم في أوائل هذا الشهر عندما رأيت المسجد غير ممتلئ كالعادة ، يمكن كثير منكم لم يكن حاضر لم يكن في اعتكاف وغير ذلك ، المسجد مسجد شيخ الإسلام هنا العادة في رمضان يصلوا في الشارع ، السنة هذه وجدت العدد قليل، وهذه لم تحدث في تاريخ هذا المسجد من يوم ما فُتح سنة ألف وأربعمائة وثمانية عشر، هذه السنة لم يعد لا رقيب ولا حسيب ولا مخبرين ولا أعطني البطاقات ولا أعطني غير ذلك الهم الذي كل سنة نعطي لهم أسماء محروقة ، ما معنى محروقة ؟ يعرفونها فيقول: هل لا يعتكف غير هؤلاء كل سنة ؟ أتوا بأشياء جديدة فتعطي له بطاقتين ثلاثة وهم يعرفوا الجامع ممتلئ ويسيروا المسائل لا توجد مشكلة .

المتصور بعد ذهاب هذا الكلام وجود كثرة من المصلين لكنه حدث العكس ، هذه ظاهرة لا بد من تحليلها، فربطت وقتها ما بين الولد الذي نشأ في بيت ملتزم والولد الذي نشأ في بيت مضاد للالتزام ، تجد الأولاد الذين نشئوا في البيوت الملتزمة التزامهم هش ضعاف ، خرج وجد أبوه ملتحي التحى خرج وجد أبوه يصلي صلى البنت وجدت أمها منتقبة انتقبت ، ما الجديد في الموضوع ؟ إنما البيت المخالف أول ما يترك لحيته صغيرة أمك بالثلاثة حنفي وشافعي ومالكي لو لم تحلق هذه الشعيرات يأتي يا عم الشيخ الوضع كذا وكذا أقول له: يا بني إعفاء اللحية واجب لا يجوز حلقها ، هب أن النبي ﷺ لقيك في الطريق وقال لك: لما لا تعفي لحيتك اعف لحيتك ، وذهبت إلى بيتك فقال لك أبوك: احلق لحيتك ، ماذا تفعل يا بني ؟ تسمع كلام من؟

في الأول دائماً أحضه على، الثبات على الطاعة ، والصبر على أذى الوالد ، إياك أن تفتح عينك فيه ولا لا أخذ معهم شوطاً كبيراً حتى يصل لمرحلة لا يستطيع الصبر عليها، وصلنا لآخر الطب الكي أقول له: يا بني اعتبر نفسك يتيماً وتوكل على الله واضرب في الأرض وغير ذلك ، فيصبر على الأذى ويذهب ينام على الرصيف وغير ذلك ولا يقبل أن يحلق لحيته أبداً ، لأن المقاومة تقوي من عزيمة القلب ، لما تكون تسبح ضد التيار تجد ساعد ذراعك قوي وتجد

قلبك أيضًا ضحه قوي لأنك ضد التيار ، لكن الذين نشئوا في البيوت الملتزمة مثل ما يكون التيار هو الذي يحمله ويسير معه أي يسير مع الموج فلا يوجد جديد لديه ، فتكون دائمًا المقاومة دائمًا من وراءها خير ، لماذا ؟ ، تخرج وحش التحدي لاسيما إذا كان بحق أنت ملتزم وتريد أن تتمسك بإسلامك وغير ذلك .

فكل إنسان لابد أن يكون بصيرًا على نفسه ، سفيان الثوري قال: أنا أخاف يؤكلني وأنا رجل الجميل يكسر عنقي فمن الأفضل الهرب ، و ظل مختبئًا حتى قال الخليفة من سيأتي به سأعطي له عشرة آلاف درهم ، عندما علم أن الخليفة نذر به قال: لم أعد أستطيع أن أجلس في البلد ، لماذا ؟ ، لأن كبار تلاميذه كانوا يترددون عليه في مخبأه يخرج من بيت على بيت في الآخر أيضًا سيمسك ، فخرج إلى البصرة عند حماد بن سلمة الذي يقول له هاتين الكلمتين ، ويحيى بن سعيد القطان والجماعة البصريين هؤلاء ، وشعبة بن الحجاج كان بصريًا أيضًا ومن أقران سفيان ، ذهب للبصرة لبس وغير حاله لكي لا يُكشف ، فذهب لصاحب بستان وقال له: ممكن أشتغل غفير عندك أحرس لك البستان وغير ذلك ، قال له: نعم ،

فكان داخل السور عين مياه يشرب منها وإذا جاع كان يأكل من التمر الذي يحرسه ، حتى مر به رجلان جوعى ، قالوا له: أعطنا نأكل رطب نحن جوعى أتى لهم بالرطب ووضع لهم لأن من حق عابر السبيل أن يأكل على رغم أنف صاحب الثمر لكن لا يملأ حجره لأولاده ، كما قال النبي **p: « ما أصاب من ذي الحاجة بفيه غير متخذٍ حُبنة »** الحُبنة: الحجر ، حتى لو منعك صاحب الثمرة تأخذها رغمًا عنه ، فأعطى لهم فكالعادة جالسين يتسامروا مع بعض الغفير ، مع من ؟ مع الاثنين عابري السبيل، فقالا له: أرطب البصرة أحلى أم رطب الكوفة ؟ فسفيان قال له: أما رطب البصرة فما ذقتها ، فقال الرجل: عجبًا لك إن الكلاب في البصرة تأكل الرطب ، أي من كثرتها فأنحنى أحدهما على صاحبه وقال له: احلف لك هذا سفيان الثوري الذي يبحثوا عنه تعالى نبلغ فيه لكي نأخذ العشرة آلاف الذين قال عنهم هارون الرشيد ، فسمع سفيان كلامهما فما إن انصرفا حتى خرج هاربا من البصرة هائياً ظل يمشي

يَمْشِي ، وكان يتلفت يمنة ويسرة، لأنه خائف من أن يقبض عليه، وكان التلفت قديمًا مسار الريبة بل كان من خوارم المروءة .

كتاب الظرف والظرفاء لأبي الطيب كتاب درسته وأنا في الكلية قسم اللغة العربية كان الدكتور عبد السميع محمد أحمد - رحمة الله عليه - كان عميد الكلية وكان يدرس لنا اللغة العربية مادة المعاجم العربية ، وقد قرر علينا في ذلك الوقت فصل من كتاب الظرف والظرفاء لأبي الطيب المشائي ، فتزلت في مكتبة الكلية لكي أبحث عنه وجدته جلست أقرأ فيه فكان من جملة ما قرأت في هذا الكتاب أنه من خوارم المروءة للالتفات في الطريق ، لماذا ؟ لأنه لم يكن أي داعي قديمًا أنك تلتفت في الطريق ، فكان هذا من خوارم المروءة ، فمع أنه من خوارم المروءة ، في القرن الثالث الهجري وكان من خوارم المروءة في البصرة أيضًا .

لأن شعبة بن الحجاج عندما رأى رجلًا يركب يجري ملء فروج أسقط روايته ، لماذا ؟ قال: لأن هذه من خوارم المروءة فأيضًا كان أيضًا في حشمة لديهم ، فعندما وجدوه يلتفت مسكوه وأرسلوه للمسئول عن المنطقة أو عن المقاطعة التي كانت موجودة ، فلما دخل فسأله: ما أسمك ؟ قال: اسمي عبد الله بن عبد الرحمن ، صدق هو عبد الله وأبوه عبد الرحمن ، فمعن بن زائدة كان أمير المنطقة آنذاك شعر إن المسألة ليس مضبوطة وعينه ووجهه يقول أنه لا يقول الحقيقة ، التي يسمونها قرائن الأحوال وشواهد الحال ، فأخرج العسس أي أصحاب الشرطة ، وقال له: أقسمت عليك بالله لمن انتسبت ؟ أأنت سفيان الثوري ؟ وكان المحافظ آنذاك ، قال: بلى ، قال له: خذ أي طريق شئت ، فوالله لو كنت تحت قدمي ما رفعتها ، لأن سفيان لم يذنب ، ولا يعد مافعله مع سفيان الثوري مخالفة لأمير المؤمنين ، فهو لم يذنب ، نعم إذا ثبتت عليه الجناية ، لكن معن بن زائدة يعلم أن هارون الرشيد يطلب سفيان ليكون من جملة حاشيته ، وليس بمعجم وليس بمذنب ويعلم هذه الحقيقة ومعن بن زائدة كان يضرب به المثل في الكرم والجود والأخلاق وإلى آخره وغير ذلك ، غابوا جدًا حتى عرفوا مكان سفيان ، فسألوه: لماذا تشتد هربًا ؟ رسول أمير المؤمنين بالباب ، فكلح وجهه ودخل عليه رسول أمير

المؤمنين فسلم عليه فلم يرد عليه السلام ، وكان آنذاك هاربا في بيت تلاميذه مرة عند يحيى بن سعيد القطان ، مرة عند عبد الرحمن بن مهدي مرة عند حماد بن سلمة ، مرة عند مرحوم بن عبد العزيز ، كلهم بصريون إما من أقرانه مثل حماد بن سلمة وإما من تلامذته مثل يحيى القطان وعبد الرحمن بن مهدي

وهو في الترع كان خائفا جدا ، فحماد بن سلمة كان حاضرا في هذا الموقف هذا عندما اهتز ، قال له: اثبت فإنك قادم على الذي كنت تعبد ، قال: أو ترجو لمثلي النجاة ؟ وأيضا عندما قال له أيضا حماد بن سلمة فيما أذكر: أتخشى ذنوبك ؟ فتناول قشة من على الأرض ، وقال: لذنوبي أهون علي من هذه ولكن أخشى سوء الخاتمة ، أنا لي تعليق ولكن بعد فترة .

وقول أحمد: (لا بعد ،) ذكروا في ترجمة الإمام أحمد أنه وهو يحتضر ظل يقول: لا بعد ، لا بعد ، فلما أفاق سأله ماذا تقصد بقولك لا بعد ؟ قال: إن الشيطان قام بحذائي واقف بجواره ، وقال: فتني يا أحمد ، فقال له: لا بعد مازالت في روعي لكن عندما تخرج روعي في هذه فقط أكون قد فلت منك ، لا يؤمن المرء بما يختم له ، هؤلاء كانوا من كبار علماء المعاملة أو من كبار علماء المعاملة مثل ما ابن الجوزي ضرب المثل ، الجماعة الأولياء أصحاب علي جمعة في الديار المصرية فعلوا قاعدة مثل ما المبتدعة يفعلوا أي قاعدة ، المبتدعة الذين يريدون أن يعطوا أسماء الله I ولا يجروها على حقيقتها مع قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى: ١١) ، فيقول: نضع أشياء نسميها قواعد ، عندما تناقشني أقول لك: كيف تقول هذا والقاعدة تقول: كذا وكذا من الذي وضع القاعدة ؟ أنت الذي وضعتها ، وهل أنا وافقت عليها ؟ .

أنت عندما تأتي تقول: من لبس مثلاً اللون الفلاني حبس خمسة عشر يوم ، فضبط واحد متلبس باللون الممنوع فوضعه في السجن يا جماعة ، لماذا هكذا ؟ ، قال له: هل نحن حبسناك ظلم وعدواناً نحن حبسناك بسيادة القانون ، نحن كتبنا في الدستور هكذا تلبس غامق تدخل السجن ، أنا أريد أن أفهم من الذي وضع القانون ؟ ، لا تأتي تضع قانون على مزاجك وبعد

ذلك تعاقبني به وتقول لي: نحن ننفذ سيادة القانون وأنا لم أتجاوز حدود القانون ، لا ، أنا أناقشك في القانون نفسه ، لا تقول: أنا أطبق عليك القانون أنا لم أخالف القانون والدستور وغير ذلك ، فيقول: الخبر الواحد لا يؤخذ به في العقيدة ، قال: قاعدة ، لماذا لا يؤخذ به في العقيدة ؟ قال: لأن أدنى من ذلك كانوا يتثبتون فيه .

وعمر بن الخطاب كما في الصحيحين استأذن عليه أبو موسى الأشعري وهو مشغول فلم يرد عليه ، أبو موسى الأشعري طرق الباب ثلاثة مرات فلما لم يرد عليه فرجع ، لكنه سمع صوته فعرف أنه هو الذي كان موجودا على الباب المهم عندما أنهى الشغل الذي كان في يده قال: أدخلوه ، خرجوا لم يجدوا أحد ، فعمر τ قال: أتوا به ، فأتوا به ، فقال له: ألسنت أنت الذي كان يطرق الباب ؟ نعم أدق الباب ، لماذا انصرفت ؟ قال له: لأن النبي ρ قال: « إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع » ، قال عمر: لتأتيني بيعة على ما تقول أو لأوجعنك ، فقال: لم يقبل خبر الواحد ، هل أبو موسى الأشعري يكذبه أحد ، فلماذا رد عمر خبره ؟ .

الرواية تقول: أن أبو موسى الأشعري ذهب يبحث في مجالس الأنصار وهو منتقع اللون عمر قال له: سأضربك إذا لم تأتني لي بأحد ممكن لا يجد أحد سمع هذا الحديث النبي ρ في المجلس أو أحد سمعه لكن بعيد موجود في شغل في تجارة ، المهم ذهب وجد مجلس من الأنصار جالسين قال لهم: حقيقة الأمر ، فتعجبوا أن سنة الاستئذان هذه تخفى على مثل عمر مع ملازمته ، أنا كنت أقول في المحاضرة الماضية ابن عمر كان يقول: كان كثيراً ما النبي ρ يقول: « دخلت أنا وأبو بكر وعمر ، خرجت أنا وأبو بكر وعمر » ، فالملازمة هذه تجعله ، كيف تمر عليه سنة الاستئذان ؟ ، قالوا: والله لا يقوم معك إلا أصغرنا ، وكان أصغر واحد فيهم في المجلس أبو سعيد الخدري ، فشهد عند عمر أنه سمع هذا الحديث .

حتى هنا والمبتدع يضع نقطة على أساس أن الكلام انتهى ، لا ، الكلام لم ينته ، لأجل هذا أي مبتدع إياك أن تصدقه حتى لو قال لك حتى بالجزء والصفحة ، يقول: روى البخاري برقم ثلاثة آلاف وأربعمائة وخمسين حديث كذا كذا كذا ، ارجع للرقم هؤلاء كذابون ونحن

جربنا عليهم الكذب ، وغير ذلك كل ما يعطيك الرقم والجزء والصفحة أنت ينطبع في ذهنك تقول: ليس من المعقول يكون فاجر للدرجة هذه ، يدلك على أنه كذاب ممكن يقول لك روى البخاري في صحيحه ، سنأخذ وقتًا طويلاً على ما نرى ، أين روى البخاري ؟، فأنت تفتر همتك أنك تراجع وراءه على أساس أنه من المستحيل أن يكون فاجر للدرجة هذه ، باقي الحديث قال عمر لأبي موسى: **(أما إني لم أهتمك ، ولكن الحديث عن رسول الله شديد)** ، لأجل كل واحد عندما يتكلم عن النبي لابد أن يكون متأكد مائة في المائة أنه سمع ، لكن أنا لم أهتمك أنا قبلت خبرك وخبرك على العين والرأس ولكن أنا أحببت أن أتأكد وهذا كان مذهباً لعمر ، كان يتثبت أكثر من الصحابة الآخرين وكان يمنع بعض الصحابة من الحديث كما منع أبا هريرة مثلاً من أن يحدث كثرة الأحاديث وغير ذلك .

فيضع القاعدة يقول: (خبر الواحد لا يقبل في العقائد) أول ما تأتي بحديث من صحيح مسلم يقول: هذا خبر واحد لا يقبل في العقائد ، ومن الذي قال لك أنني قبلت أصلك هذا ؟ أصلك الذي أسسته هذا باطل ، تعالى نناقش الأصل قبل الفرع لا نقول: صفة ولا غير ذلك تعالى نناقش الفرع ، و هذا الكلام استفدناه لما قرأنا مناظرات العلماء وأصول المناظرة ، كنا قديماً من حوالي ثلاثين سنة هكذا الجماعة أصحاب التكفير والهجرة يجوبوا يناقشوننا تعالوا أول ما نتكلم ، الحاكم كافر أم مسلم ؟ مسلم لا كافر لا نتشاجر مع بعض ، لا ، الأول نعرف ما هو الكفر ؟ ، وما هو الإسلام ؟ ، الإيمان الأول لأن كافر أو مسلم هذا فرع على أصل ، فأنا لا أناقش في الفرع وأترك الأصل فلم نكن نعرف الكلام هذا ، فلم نكن نخرج بنتيجة إطلاقاً لابد كنا نتشاجر مع بعض ويخرج يلعن بعضنا بعضاً وفي الآخر لا نخرج بشيء ولا حللنا قضية ، لا ، تعالى نفك الأصل عروة عروة اختلفنا في الأصل كل واحد يرجع لبيته إذا اختلفنا في الأصل فلن نتفق في فرع فنريح رأسنا .

فالجماعة الصوفية المبتدعة هؤلاء الذين على رأسهم مفتي الديار وضعوا قاعدة ، قالوا: أن الله Y إذا وهب ما سلب ، قاعدة هذه تشبه من في خاطرتنا ؟ ، الذي رمى منجله بين الحصادين

وهو يغط في النوم ، رمى منجله في وسط الذين يقطعوا وقال: أحصد يا منجل إذا وهب ما سلب ، أعطى له خاتم الولاية أخذه على قفاه خاتم الولاية وذهب يزني لا يحدث شيء إذا وهب ما سلب ، يكرر بالجوزة ما إذا وهب ما سلب ، وأيضًا يقول لك: فيه مرة ولي من الأولياء عمل نفسه أنه يزني ، هل ينفع إن أحد يفعل نفسه يزني ؟ فأخذ واحدة ودخل بها وأغلق عليهم الباب ، فتلامذته أول ما رأوه أغلق على نفسه الباب أعوذ بالله أغلق على نفسه الباب مع واحدة أجنبية ، والأغبياء هؤلاء الذين لا يفهمون شيء في الشرع فروا من المنظر إلا الولد الذكي الذي فهم معنى الولاية .

أتى بيوتاجاز وأشعله ووضع الماء يسخن له ماء ، الرجل الذي فعل نفسه يزني هذا عمل نفسه يزني خرج لم يجد غير صاحبنا هذا قال له: يا ولد ، ماذا تفعل ؟ ، قال: والله أنا قلت ستخرج جنب فقلت: أسخن لك الماء لكي تلحق صلاة العصر جماعة ، وهل هذا يكون ولي ؟ يقول: نعم يكون ولي ، لماذا ؟ لأنه إذا وهب ما سلب ، فالصحابه كلهم لم يكونوا أولياء ، ولماذا عمر خائف ؟ يقول: وددت أي نجوت كفافًا ، لماذا كان خائفًا ؟ ، هذا ملك الملوك وهبه حقًا ليس كذبًا ، ومع ذلك خائف ، وفي الرواية الثانية في مقتله π ، قال: (لو أي لي طلاع الأرض ذهبًا لافتديت به من عذاب الله يوم ألقاه) ، ي هل كان عمر بن الخطاب غير فاهم لهذه القاعدة (هذه إذا وهب ما سلب) ، والكلام المنسوب لأبي بكر الصديق: لو كانت إحدى قدمي في الجنة ما أمنت مكر الله ، وعبد الله بن سلام وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل وسائر العلماء كانوا خائفين ومرعوبين من سوء الخاتمة أن يختم له بشر .

لكن هؤلاء لأنهم بطالين فيضعوا القاعدة هذه (إذا وهب ما سلب) كل الأمثلة هذه ترد على الكلام الفارغ ، وهذا الكلام المخالف للدين والمخالف للمروءة أيضًا ليس مخالف للدين فقط للمروءة ، فيه واحد يفعل نفسه أنه يزني يسير مع واحدة ، هذه المصيبة التي نعيش فيها عندما يكون واحد رأس مثل هذا وأتوا به في الإفتاء وفيه من يزنه بألف مرة ، علي جمعة عندما تتبع حواشيه على الكتب تجد فضائح ، مثلًا أمية بن أبي الصلت عندما يترجم له يقول: شاعر

وأديب مات سنة أربعمائة واثنين وستين ، أمية بن أبي الصلت هذا كان أوقات ابن جعدان قبل النبي كان في الجاهلية فيكون مات سنة أربعمائة واثنين وستين هجرية مثلاً ؟ بعث من قبره لا يوجد حل غير هكذا هل لا يعلم شيء ؟ ، نعم لا يعلم شيء لا في الحديث ولا في الطبقات ولا غير ذلك أستاذ في أصول الفقه ، نحن نعلم أساتذة الجامعة ليس طبعاً كلهم في أساتذة جامعة فضلاء وناس أقوياء وناس متان وناس لا يفهمون شيء وأخذ لقب أستاذية .

أنا لقيت أستاذ في أصول الفقه أنا أولادي كلهم في كليات شريعة الذي شريعة ، والذي أصول دين ، والذي دراسات إسلامية وغير ذلك ، فالأولاد الذين عندي في الشريعة لا يفهموا شيء في أصول الفقه لأنهم أتوا بكتب من أتعس الكتب وقرروها لا يريدون أن يغيروها ، وفيه كتب أقدم منهم وأسهل في العبارة لا يريدون أن يقرروها ، ولا يريدون أن يغيروا المناهج البالية التي كانت تصلح قديماً للجماعة أصحاب المتون ، يجلس يحفظ متن هكذا ليل نهار باللوح وغير ذلك ، الدنيا تغيرت فيه كتب لا أقول تؤلف كتاباً ، لا خذ كتاباً لأبي مظفر السمعاني مثلاً قواطع الأدلة في أصول الفقه ، خذ كتاب الرسالة للشافعي نفسه سيكون أسهل مائة مرة من الأرئوي والبيضاوي والبدخشي وهؤلاء الجماعة ، فالأستاذ أستاذ أصول فقه .

أقول له: بالله عليك الإيماء في أركان العلة في القياس هل تستطيع أن تشرحه لي مثل ما هو في الكتاب ؟ ، لم يعرف أن يشرحه وهو الذي قرره ليس كتابه ، لكن هو الذي يدرس المادة لم يستطيع أن يأتي به ، أنت أستاذ أصول فقه ، أنا أعلم أساتذة كثيرة جداً في أصول الحديث في كليات أصول الدين في مصر وفي غير مصر ، عندما تجلس معه تستغرب ، هذا كيف أصبح أستاذ ؟ ، لا يستطيع أن يخرج حديث ولا يستطيع أن يخرج علة حديث ولا غير ذلك ، ولو أعطيته سؤال حتى نظري لكن غير موجود في الكتب إنما موجود في حواشي الكتب ويريد خيرة وغير ذلك يغطس في شبر مياه ، وهذا أستاذ وممكن يكون رئيس قسم أيضاً الحديث ، وأنا كنت أعرف رئيس قسم الحديث في كلية أصول الدين في فترة من الفترات كان يأتي له

برنامج في إذاعة القرآن الكريم تقريباً كان يحضر أحاديثه من السلسلة الضعيفة للشيخ ناصر تقريباً معظم أحاديثه إما منكر أو باطل أو شاذ أنا أستغرب ، كيف يكون هذا أستاذ في أصول الحديث هذا رئيس قسم في أصول الحديث ؟ ، فليس كل واحد ينسب إلى علم وغير ذلك ممكن أسميه عالم ولا أقول: أصل معه أصول الفقه وغير ذلك ، ليس معنى أنه يتكلم كلمتين حلوين ويستطيع أن ينادم في الجلسة أن لديه علم ، لا ، نحن ابتلينا فعلاً بأمثال هؤلاء الذين تصدروا للإفتاء وأضلوا كثيراً من الخلق بأشياء كثيرة منها القاعدة الباطلة العاطلة وهي: إذا وهب ما سلب .

ابن الجوزي - رحمه الله تعالى - يقول: (فأنا أحمد الله Y إذ تخلصت من جهل المتسمين بالعلم _ من هم ؟ الصناعات ، نحن قلنا: العلم الذي لا يهديه إلى الله يكون هذا صنيعة يحسن صنعة في العلم لكن ليس بعالم ،) المتسمين بالعلم من هؤلاء الذين ذممتهم ، وبالزهد من هؤلاء الذين عبتهم فإني قد اطلعت من عظمة الخالق وسير المحققين على ما يخرس لسان الانبساط ويمحو النظر إلى كل فعل)، يقول: أنا مهما فعلت ما اطلعت عليه من سير الأنبياء وعلى رأسهم نبينا ﷺ والصحابة والتابعين وتابعيهم وغير ذلك يجعل الواحد يخجل من العمل الذي يعمل ، ليس أنه يدل بهذا العمل ويقول: أنا فعلت وفعلت ، (وكيف أنظر إلى فعلي المستحسن وهو الذي وهبه لي وأطلعني على ما خفي من غيري ، فهل حصل ذلك بي أو بلطفه ؟ .

وكيف أشكر توفيق الشكر ؟) ، أي كونه ألهمني الشكر هذا يحتاج إلى شكر لأن في ناس تأخذ النعمة وتجدد ، وفي الإسرائيليات قال موسى: (يا رب ، كف أشكرك ولك في كل شعرة من بدني نعمتان: أن لينت أصلها وطمست رأسها) لم تكن مثل الإبرة كان ممكن تكون مثل الإبرة تأتي تنام كأنك تنام على إبر أو على جمر ، كل شعرة فيها نعمتان: لينت أصلها الجلد الطري اللين هذا وطمست رأسها ، (فقال: يا موسى أما قد عرفت ذلك فقد شكرتني) فإذا علم أن الذي أنعم عليه بهذا هو الله جل جلاله I يكون رد الفضل إلى أهله ،

فيقول: الذي جرى لي ووفقني أن أشكر على الشكر إنما كان بلطف الله - تبارك وتعالى - ،
(ثم أي عالم إذا سير أمور العلماء من القدماء لا يحتقر نفسه هذا في صورة العلم فدع معناه ،)
يريد أن يقول: حتى لو كنت تعمل صناعي لو أنا وضعت بجوار واحد من القدماء هل ممكن
أن تجري معه ؟ قال: هذا صورة العلم معناه أنت أبعد عنهم ، إذا كانت صورة العلم أنت
كصناعي لا تعرف أن تباريهم في الصنعة دع معنى العلم الذي نتكلم عنه وهو معرفة المعبود
- تبارك وتعالى - وما يجب له من الأسماء والصفات والتوقير وإلى آخره ، يقول: (هذا في
صورة العلم أي الصناعية فدع معناه إذا كنت عاجز أن تكون صناعي فأنت أعجز أن تكون
عالمًا على الحقيقة .)

يقول: وأي عابد يسمع بالعباد ولا يجري في صورة التبعيد فدع المعنى ، أيضًا نفس الكلام
الذي مضى ، نسأل الله Y ، كلامه الجميل الأخير الدعوة التي كتبها بقلمه الرشيق .
قال: نسأل الله Y معرفة تعرفنا أقدارنا حتى لا يبقى للعجب بمحتقر ما عندنا أثر في قلوبنا،
ونرغب إليه في معرفة لعظمته تخرس الألسن أن تنطق بالإدلال، ونرجو من فضله توفيقًا
نلاحظ به آفات الأعمال التي بها نزهو حتى تثمر الملاحظة لعيوبها الخجل من وجودها ، أي
أنت تعمل العمل وأنت خجلان إن العمل هذا سيعود إلى ربنا يصلي وينقر مثل مكبس القش
ويقول: الحمد لله صليت ويقبل يديه وجهه وظهره ويخرج ، ألسنتك تخجل من نفسك أنك فعلت
شيء مثل هذا لرب العالمين I وأي عمل يصعد إليه ؟ نقر الديك التي تفعله هذا ، هذا هو
معنى الكلام .

يقول: حتى تثمر الملاحظة لعيوبها الخجل من وجودها من وجود مثل هذه العبادة التي ترفعها
إلى الله Y إنه قريب مجيب ، غدًا بإذن الله تبارك وتعالى سنبدأ في خاطرة جديدة ، لكن لن
تكون طويلة فيها كل هذه المعاني حتى نستطيع أن نأخذ أكثر من معنى .
أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم .

انتهى الدرس الحادي عشر وانتهت السلسلة نسألکم الدعاء اختكم أم محمد الظن.

